حقيقة المهاوية والغيبة

دراسة تأصيلية نقدية لشبهات الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري
في كتابه أصول مذهب الشيعة

تأليف: يحيى عبد الحسن الدوخي

بسم الله الرحمن الرحيم

حقیقه المهدویه و الغیبه

کاتب:

یحیی عبدالحسن دوخی

نشرت فی الطباعهٔ:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
حقیقه المهدویه و الغیبه ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
دیباجة المرکز ----- ۲۱
المقدمة ----- ۲۳
المنهجیّة الصحیحة للحوار ----- ۲۴
غیاب المنهجیّة العلمیّة عند الدکتور ناصر القفاری ----- ۲۶
تحقیق خال من الصدق والأمانة والموضوعیّة ----- ۲۸
اشارة ----- ۲۸
۱- شهادات مزوّرة لنفی ولادة الإمام المهدی (عج) ----- ۲۸
اشارة ----- ۲۸
شهادة ابن طومار ----- ۳۰
شهادة الإمام العسکری (ع) ----- ۳۲
شهادة جعفر (أخ الإمام الحسن العسکری (ع)) ----- ۳۶
۲- أحکام جزافیّة روحها التعصّب المذهبی والطائفی ----- ۳۹
أ- الشیعة تتبع إمام معدوم وکتاب موهوم وجعفر مزعوم!! ----- ۳۹
اشارة ----- ۳۹
إقرار أهل السنّة بفضل الإمام الصادق (ع) ----- ۴۱
ب- رجال أحادیث الشیعة أسماء لا مسمّی لها ----- ۴۲
اشارة ----- ۴۲
وثیقة الإمام علیّ (ع) فی علم الدرایة والرجال ----- ۴۴
تصحیح الأحادیث المرویّة عن الخوارج والنواصب ----- ۴۶

ج- استعارة لغة ابن تيميّة وابن الجوزى فى التطاول على أئمّة أهل البيت: وتضعيف الإمام العسكرى (ع) ---- ۴۹
اشارة ---- ۴۹
جلّ كتب ابن تيميّة (وجادة) لا سند متّصل لها ---- ۵۱
الدكتور محمود سعيد ممدوح يصرّح بوجادة كتب ابن تيميّة ---- ۵۱
توبيخ علماء السنّة لابن تيميّة ---- ۵۲
ابن الجوزى يُضعّف الإمام العسكرى ٧ ---- ۵۴
ابن الجوزى حاطب ليل ---- ۵۵
سقطات ابن الجوزى وأغلاطه ---- ۵۵
الذهبى يبجّل ويثنى على الإمام الحسن العسكرى (ع) ---- ۵۶
سبب اختيار البحث ---- ۵۹
الهدف من البحث ---- ۶۱
منهجنا فى البحث ---- ۶۳
خطّة البحث ---- ۶۵
الفصل الأوّل: الشبهات المثارة حول أصل وجود الإمام المهدى (عج) ---- ۷۰
تمهيد ---- ۷۰
الإمام المهدى (عج) شخصيّة خيالية أُسطوريّة رمزيّة ---- ۷۱
اشارة ---- ۷۱
الجواب: الإمام المهدى (عج) حقيقة وليس أُسطورة ---- ۷۱
المنكرون لفكرة المهدويّة ---- ۷۱
عالميّة الإيمان بفكرة المنقذ والمخلّص ---- ۷۴
صحّة أحاديث الإمام المهدى (عج) ---- ۷۷
تواتر أحاديث المهدى (عج) ---- ۸۰
إنكار خروج الإمام المهدى (عج) موجب للكفر ---- ۸۴
النصوص المبشّرة بالإمام المهدى (عج) قبل ولادته ---- ۸۴

الأحادیث الخاصّة التی تحدّد وتشخّص هویّة الإمام المهدی (عج) ----- ۸۵
المهدی من أهل البیت: ----- ۸۵
طعن ابن خلدون فی هذا الحدیث وجوابه ----- ۸۶
المهدی (عج) من ولد النبیّ (ص) ----- ۸۸
المهدی (عج) من ولد فاطمة (س) ----- ۸۹
المهدی من ولد علیّ (ع) ----- ۹۱
المهدی من ولد الحسین (ع) ----- ۹۲
الأحادیث العامّة الدالّة علی هویّته واستمرار وجوده (عج) ----- ۹۴
اشارة ----- ۹۴
۱-- حدیث الاثنی عشر خلیفة ----- ۹۴
اشارة ----- ۹۴
الأئمّة الاثنا عشر هم أهل البیت (علیهم السلام) ----- ۹۷
تضارب آراء السنّة فی فهم حدیث (الاثنی عشر) ----- ۹۹
الانطباق القهری علی أئمّة أهل البیت (علیهم السلام) ----- ۱۰۱
حدیث (الاثنی عشر) سابق للتسلسل التأریخی للأئمّة (علیهم السلام) ----- ۱۰۳
۲-- حدیث الثقلین ----- ۱۰۳
اشارة ----- ۱۰۳
صحّة حدیث الثقلین عند أهل السنّة ----- ۱۰۴
دلالة الحدیث علی وجود الإمام المهدی (عج) ----- ۱۰۵
۳-- حدیث (لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة) ----- ۱۰۵
اشارة ----- ۱۰۵
الآلوسی یصرّح بخلافة الإنسان الکامل إلی قیام الساعة ----- ۱۰۶
۴-- حدیث (من مات ولیس فی عنقه بیعة مات میتة جاهلیّة) ----- ۱۰۷
اشارة ----- ۱۰۷

دلالات الحديث وتفسيره ----- ۱۰۸
شبهة التعارض فی أحاديث الإمام المهدی (عج) ----- ۱۱۰
شبهة عدم إخراج البخاری ومسلم أحاديث المهدی فی صحيحهما ----- ۱۱۱
شبهة أنّ الإمام العسكری ۷ مات بلا عقب ----- ۱۱۶
اشارة ----- ۱۱۶
رأی الإماميّة فی جعفر الكذّاب ----- ۱۲۱
اعتراف علماء الأنساب بولادة الإمام المهدی (عج) ----- ۱۲۴
اعتراف علماء السنّة بولادة الإمام المهدی (عج) ----- ۱۲۶
الروايات الدالّة علی ولادة الإمام المهدی (عج) من طرق الشيعة ----- ۱۳۸
اشارة ----- ۱۳۸
الإمام الحسن العسكری (ع) يخبر بولادة الإمام المهدی (عج) ----- ۱۳۸
الشهادات الحسية لولادة الإمام المهدی (عج) ----- ۱۴۱
۱- شهادة من رآه من أصحابه ومن كان معه ومع أبيه ۸ ----- ۱۴۱
۲- إكثار العقائق عن الإمام المهدی (عج) ----- ۱۴۴
۳- رؤية الوكلاء له (عج) ----- ۱۴۵
۴- تعامل السلطة العبّاسيّة بعد وفاة الإمام العسكری (ع) ----- ۱۴۶
اشارة ----- ۱۴۶
خلاصة ما تقدّم ----- ۱۴۷
شبهة اضطراب أمر الشيعة بعد وفاة الإمام العسكری ۷ ----- ۱۴۸
شبهة بطلان دعوی أنّ للإمام الحسن ۷ ولداً خفيّاً ----- ۱۵۰
اشارة ----- ۱۵۰
الأوّل: قطع أوصال النصوص المثبتة للولادة ----- ۱۵۰
الثانی: ادّعاء بلا دليل ----- ۱۵۱
الثالث: قياس مع الفارق ----- ۱۵۱

الرابع: عصمة النبيّ ونبوّته وإجماع الأمّة تنفيان هذه الدعوى ----- ۱۵۱
الفصل الثانی: أسباب نشوء الاعتقاد بالمهدويّة والغيبة ----- ۱۵۵
شبهة تطّلع الشيعة لقيام كيان سياسی مستقلّ عن دولة الإسلام ----- ۱۵۵
اشارة ----- ۱۵۵
الإمامة الامتداد الطبيعی للنبوّة ----- ۱۵۷
شبهة القول بالمهديّة ينشط دعاته بعد وفاة كلّ إمام ----- ۱۶۱
شبهة سبب القول بالغيبة الرغبة فی الاستئثار بالأموال ----- ۱۶۲
اشارة ----- ۱۶۲
الخمس فی القرآن والسنّة ----- ۱۶۲
اشارة ----- ۱۶۲
البخاری يعترف بالخمس للإمام ----- ۱۶۳
الخمس عند الشيعة الإماميّة ----- ۱۶۴
روايات الخمس عند الشيعة ----- ۱۶۵
الخمس حقّ لمنصب الإمامة ----- ۱۶۷
شبهة رجوع القول بالمهديّة والغيبة إلى أُصول مجوسيّة ----- ۱۶۷
اشارة ----- ۱۶۷
كلمات المستشرقين ----- ۱۶۸
الدكتور طه حسين يحمل على خصوم الشيعة ----- ۱۷۲
شبهة المقابلة بين عبد الله بن سبأ وعثمان بن سعيد العمری ----- ۱۷۲
اشارة ----- ۱۷۲
بيان الشبهة ----- ۱۷۳
الجواب: دعوى لا محصّل لها ----- ۱۷۴
ملاحظات لبيان الحقيقة ----- ۱۷۵
علماء الشيعة وكتبهم تصرّح بأُسطورة عبد الله بن سبأ ----- ۱۷۷

اشارة ----- ۱۷۷
۱- السیّد محمّد حسین کاشف الغطاء ----- ۱۷۷
۲- السیّد محمّد حسین الطباطبائی ----- ۱۷۸
۳- السیّد مرتضی العسکری ----- ۱۷۸
۴- السیّد الخوئی ----- ۱۷۹
تطابق الرؤی فی خرافة وأُسطورة ابن سبأ ----- ۱۷۹
اشارة ----- ۱۷۹
۱- الدکتور طه حسین ----- ۱۷۹
۲- الأُستاذ کرد علیّ ----- ۱۸۰
۳- حسن بن فرحان المالکی ----- ۱۸۱
۴- الدکتور حامد حفنی داود ----- ۱۸۱
۵- إبراهیم بیضون ----- ۱۸۲
سبأیّة عثمان بن سعید العمری ----- ۱۸۳
اشارة ----- ۱۸۳
أحادیث الغیبة فی کتب الفریقین ----- ۱۸۴
غیاب هویّة ولیس غیاب شخص ----- ۱۸۵
روایات الغیبة فی کتب أهل السنّة ----- ۱۸۵
اشارة ----- ۱۸۵
۱- المقدسی الشافعی (ت ق ۷ ه) ----- ۱۸۶
۲- الحموینی الشافعی (ت ۷۲۲ ه) ----- ۱۸۶
۳- القندوزی الحنفی (ت ۱۲۹۴ ه) ----- ۱۸۷
مفهوم الغیبة فی الفکر الشیعی ----- ۱۸۷
مفهوم الغیبة فی مؤلّفات الشیعة ----- ۱۸۷
روایات الغیبة عند الشیعة ----- ۱۸۸

السنن التأريخيّة للغيبة ----- ۱۹۰
اشارة ----- ۱۹۰
غيبة نبى الله إدريس (ع) ----- ۱۹۲
غيبة نبى الله هود (ع) ----- ۱۹۲
غيبة نبىّ الله إبراهيم (ع) ----- ۱۹۳
غيبة نبى الله صالح (ع) ----- ۱۹۳
غيبة نبىّ الله يوسف (ع) ----- ۱۹۴
غيبة نبىّ الله موسى (ع) ----- ۱۹۵
غيبة نبىّ الله يونس (ع) ----- ۱۹۵
غيبة أصحاب الكهف ----- ۱۹۶
قصص أُخرى يذكرها القرآن ----- ۱۹۷
سفراء الإمام المهدى (عج) ----- ۱۹۸
اشارة ----- ۱۹۸
وثاقة السفراء الأربعة الذين اتّهمهم القفارى باختلاق المهدويّة ----- ۱۹۸
السفير الأوّل: عثمان بن سعيد العمرى الأسدى ----- ۱۹۹
صفاته ----- ۱۹۹
سفارته ----- ۱۹۹
وثاقته وجلالته ----- ۲۰۰
وفاته ----- ۲۰۲
السفير الثانى: محمّد بن عثمان العمرى، أبو جعفر ----- ۲۰۲
منزلته ----- ۲۰۲
سفارته ----- ۲۰۲
وثاقته وجلالته ----- ۲۰۴
رؤيته للإمام المهدى (عج) ----- ۲۰۵

وفاته ----- ۲۰۵
السفیر الثالث: الحسین بن روح أبو القاسم النوبختی ----- ۲۰۵
اشارة ----- ۲۰۵
جلالته ووثاقته ----- ۲۰۶
سفارته ----- ۲۰۶
وفاته ----- ۲۰۷
السفیر الرابع: علیّ بن محمّد السمری ----- ۲۰۷
وثاقته وسمو شأنه ----- ۲۰۷
سفارته ----- ۲۰۷
وفاته ----- ۲۰۸
تحقیق الأهداف بالغیبة الصغری ----- ۲۰۹
اشارة ----- ۲۰۹
نتیجة ما تقدّم ----- ۲۰۹
السیّد محمّد باقر الصدر ونظریّة حساب الاحتمالات ----- ۲۱۰
شبهة تسریب نظریّة المهدی والغیبة عن طریق حکیمة ----- ۲۱۱
اشارة ----- ۲۱۱
لفت نظر وتنبیه ----- ۲۱۲
ترجمة السیّدة حکیمة بنت الإمام الجواد ۷ ----- ۲۱۴
اسمها ونسبها ----- ۲۱۴
جلالتها ووثاقتها ----- ۲۱۵
مشاهدتها وحضورها لولادة الإمام المهدی (عج) ----- ۲۱۵
وفاتها ----- ۲۱۶
الفصل الثالث: شبهات یلزم منها عدم التصدیق بالإمام المهدی (عج) ----- ۲۲۱
شبهة التنافی بین علّة الغیبة- خوف القتل- وبین العلم بموته ----- ۲۲۱

اشارة ----- ۲۲۱
جواب الشبهة ----- ۲۲۱
شبهة غیبات بعض الأنبیاء لا تدلّ علی وقوع غیبة المهدی ----- ۲۲۴
اشارة ----- ۲۲۴
الجواب ----- ۲۲۴
اشارة ----- ۲۲۴
أحادیث الغیبة عند الإمام الصادق (ع) ----- ۲۲۷
من أنکر المهدی فقد أنکر رسول الله (ص) ----- ۲۲۹
شبهة استبعاد بقاء الإمام المهدی (عج) حیّاً کلّ هذه السنین ----- ۲۳۱
اشارة ----- ۲۳۱
جواب الشبهة ----- ۲۳۲
اشارة ----- ۲۳۲
ابن تیمیّة والمنافاة بین طول العمر والعادة المطّردة ----- ۲۳۲
لا ملازمة بین الأمرین ----- ۲۳۲
الإمکان وعدمه فی مسألة طول العمر ----- ۲۳۴
المفکّر الإسلامی محمّد باقر الصدر یقرّر نظریّة الإمکان ----- ۲۳۵
الأدلّة علی الوقوع ----- ۲۳۸
الدلیل الأوّل: القرآن الکریم ----- ۲۳۸
اشارة ----- ۲۳۸
الفخر الرازی و نظریّة البقاء الذاتی الإنسانی ----- ۲۴۰
الدلیل الثانی: السنّة النبویّة ----- ۲۴۱
مسلم النیسابوری یروی حیاة الدجّال الأبدیّة ----- ۲۴۱
عیسی (ع) یقتل الدجّال ----- ۲۴۳
حیاة الخضر وإلیاس (علیهما السلام) ----- ۲۴۴

علماء السنّة يذهبون إلى بقاء حياتهما ---- ۲۴۴
دفع شبهة المقارنة بالهداية ---- ۲۴۷
فجوابه ---- ۲۴۷
شبهة الدفاع عن الغيبة أبطلها الشيعة أنفسهم ---- ۲۴۹
الجواب ---- ۲۴۹
الفصل الرابع: الطعن والتشكيک بعدد أئمّة الشيعة ---- ۲۵۴
تمهيد ---- ۲۵۴
شبهة أئمّة الشيعة ثلاثة عشر وليس اثنى عشر ---- ۲۵۵
اشارة ---- ۲۵۵
بيان الشبهة ---- ۲۵۶
مرتكزات الشبهة ---- ۲۵۷
الجواب ---- ۲۵۸
علماء أهل السنّة يصرّحون أنّ الأئمّة اثنا عشر عند الشيعة ---- ۲۵۹
دعوى أصحّيّة جميع ما ورد فى الكافى ---- ۲۶۱
اشارة ---- ۲۶۱
الجواب ---- ۲۶۱
روايات الكلينى التى يتوهّم منها أنّ الأئمّة ثلاثة عشر ---- ۲۶۳
روايات الكلينى التى وقع فيها التصحيف ---- ۲۶۵
الرواية الأُولى ---- ۲۶۵
اشارة ---- ۲۶۵
سند الرواية ---- ۲۶۵
شرح متن الرواية ---- ۲۶۶
الكتب التى ذكرت الرواية الأُولى من دون تصحيف ---- ۲۶۶
الرواية الثانية ---- ۲۶۷

اشارة ----- ۲۶۷
سند الروایة ----- ۲۶۷
شرح متن الروایة ----- ۲۶۸
الکتب التی ذکرت الروایة الثانیة من دون تصحیف ----- ۲۶۹
الروایة الثالثة ----- ۲۷۱
اشارة ----- ۲۷۱
سند الروایة ----- ۲۷۱
شرح متن الروایة ----- ۲۷۱
الکتب التی ذکرت الروایة الثالثة من دون تصحیف ----- ۲۷۲
الروایة الرابعة ----- ۲۷۳
اشارة ----- ۲۷۳
سند الروایة ----- ۲۷۳
شرح متن الروایة ----- ۲۷۳
الکتب التی ذکرت الروایة الرابعة من دون تصحیف ----- ۲۷۳
الروایة الخامسة ----- ۲۷۴
اشارة ----- ۲۷۴
سند الروایة ----- ۲۷۴
شرح متن الحدیث ----- ۲۷۵
الکتب التی ذکرت الروایة الخامسة من دون تصحیف ----- ۲۷۵
الأئمّة (الاثنا عشر) فی روایات الکافی ----- ۲۷۶
کثرة الروایات التی مفادها أنّ الأئمّة اثنا عشر ----- ۲۷۶
نتیجة ومقارنة ----- ۲۷۹
بطلان دعوی أنّ هناک فرقة من الشیعة تقول: إنّ الأئمّة ثلاثة عشر ----- ۲۷۹
الأئمّة ثلاثة عشر فی کتاب سلیم بن قیس ----- ۲۸۰

دعوی التواتر فی من یری أنّ الأئمّة ثلاثة عشر دعوی کاذبة ---- ۲۸۱
شبهة حصر الأئمّة عند الشیعة بعدد معیّن لا یقبله العقل ومنطق الواقع ---- ۲۸۲
اشارة ---- ۲۸۲
بیان الشبهة ---- ۲۸۳
أساسیّات الشبهة ---- ۲۸۳
الجواب ---- ۲۸۴
اضطرار الشیعة للقول بنیابة المجتهد ---- ۲۸۴
حدود نیابة الفقیه وقیام الدولة الإسلامیّة ---- ۲۸۵
شبهة کتمان وسرّیّة مبدأ الإمامة وعدم تعیین أشخاص الأئمّة ---- ۲۸۷
اشارة ---- ۲۸۷
بیان الشبهة ---- ۲۸۷
مرتکزات الشبهة ---- ۲۸۸
الجواب ---- ۲۸۹
سرّیّة الإمامة بسبب الخوف من السلطة ---- ۲۹۲
التحریف فی مضامین الروایات ---- ۲۹۴
بیان عدد الأئمة: ---- ۲۹۷
اشارة ---- ۲۹۷
القسم الأوّل: الروایات التی تنصّ علی أنّ الأئمّة هم من ولد الحسین (ع) ---- ۲۹۷
القسم الثانی: ما نصّ علی أسماء الأئمّة: جمیعاً ---- ۲۹۹
خلاصة البحث ---- ۳۰۴
کلمة خاتمة ---- ۳۰۶
خطر الجهل والجمود الفکری علی الدین والشریعة ---- ۳۰۶
المراجع والمصادر ---- ۳۱۰
تعریف مرکز ---- ۳۲۶

حقیقه المهدویه و الغیبه

اشارهٔ

نام کتاب: حقیقهٔ المهدویهٔ و الغیبهٔ

نویسنده: یحیی عبد الحسن الدوخی

موضوع: اعتقادات و پاسخ به شبهات

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: نشر مشعر

مکان چاپ: تهران

نوبت چاپ: ۱

ص: ۱

اشارهٔ

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

ديباجة المركز

الحمدلله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

إنّ الإعتقاد بمستقبل مشرق لأى أمّة بظهور المنقذ فى آخر الزمان من أصول الاعتقادات المتفق عليها بين جمع الأمم، ولا يشذ المسلمون عن هذا الإعتقاد، بل هو من ضروريات دينهم الإسلامى، وقد عرّفه نبى الإسلام (ص) بالمهدى هذه الأمّة، وأنه من ولد فاطمة (س).

وقد حاول البعض ممن فى قلوبهم مرض أن يروّجوا بأنّ العقيدة المهدوية عقيدة شيعيّه فحسب؛ تشويهاً لهذه الحقيقه الإلهية الناصعة، ويعد الدكتور عبدالله ناصر القفارى الوهابى فى طليعة هؤلاء المنكرين لهذه الحقيقة؛ إذ لا يعبأ باستفاضة الأحاديث الواردة بخصوص المهدى (عج) فى كتب المسلمين؛ ليطفأ بذلك نور الله يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ؛ مثيراً بذلك العديدة من الشبهات والادعائات والافترائات بهذا الخصوص.

وقد قام الأستاذ الدكتور يحيى عبدالحسن الدوخى، بدرء جميع هذه الشبهات

ص: ۶

وإبطالها ببحثه الشامل تحت عنوان «حقيقة المهدوية والغيبة» ليكشف عن زيف هذه الإدعائات الكاذبة والشبهات الواهية، دفاعاً منه عن الحقيقة الإسلامية الثابتة عند الجميع.

وفى الختام يتقدّم مركز بحوث الحج بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ المحقق الفاضل، ونأمل بأن ينير هذا الأثر الطريق لطلاب الحقيقة والباحثين عن الحق.

انه ولى التوفيق

مركز بحوث الحج

قسم الكلام والعقائد الإسلامية

ص: ۷

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، وبعد:

من الصعب أن ينطق الإنسان بالحقيقة ويلامسها إذا كان عاجزاً عن إيجاد بعض الثغرات إن لم نقل بعدمها، لاسيما فى الأُمور العقائديّة والمذهبيّة، ومنطق التأريخ يحدّثنا عن صراع جدلى تحكمه الأيديولوجيّات والعادات والتقاليد والموروث السلفى التقليدى الجامد، فعندما ظهر التشيّع الذى أرسى أُصوله وقواعده رسول الله (ص) ظهرت معه بوادر ذلك الصراع من خلال التشكيك وإلقاء الشبهات، ولم يتوقّف هذا السيل المتدفّق من خصوم هذا المذهب تشكيكاً فى أُصوله ومبادئه وفروعه.

ولا يزال يجترّ أصحاب هذه الشبهات ما ورثوه من أسلافهم، ولكن ألبسوها ثوباً جديداً محاولين أن يضفوا عليها طابع العلميّة والموضوعيّة، ولكنّ الحقيقة تأبى إلّا قبول الحقّ.

واليوم نجد أنّ هناك حملات مسعورة ضدّ التشيّع وأهله، فقد وجّهوا حملاتهم الضارية بافتراء وكَيل الاتّهامات والشبهات جزافاً- ويكاد يكون العقل مغيّباً عن هذا الأمر- وذلك للنيل من كيان هذا الصرح الإسلامى

ص: ۸

العريق.

فی حين أنّ الآيات القرآنيّة الكريمة والسنّة النبويّة الشريفة تؤكّدان على أن يكون الجدل والنقاش بالتی هی أحسن مع إقامة الحجج والبراهين، وأن يكون مطابقاً للحقّ وعدم الخوض فی الباطل.

قال تعالى: وَجَادِلْهُم بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ (النحل: ۱۲۵).

وقال تعالى: الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِی آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا (غافر: ۳۵).

وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِی آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِی صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ (غافر: ۵۶).

وقد فسّر السلطان بالحجّة والبرهان الصحيح.

وقال النبیّ الأكرم (ص): «ومن خاصم فی باطل وهو يعلمه لم يزل فی سخط الله حتّى ينزع عنه، ومن قال فی مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال (۱) حتّى يخرج ممّا قال» (۲).

المنهجيّة الصحيحة للحوار

فالواجب الذی يفرضه المنطق والعقل والحكمة أن يكون الباحث والمحقّق العلمی متحلّياً بالموضوعيّة والأمانة والصدق، متّبعاً بذلك المنهج العلمی الدقيق والصحيح، الذی يخلو من التشنّج والتحيّز إلى مذهبه أو طائفته، وأن

۱- ردغة الخبال: هی عُصارة أهل النار. وقيل: هو الطين والوحل الكثير؛ لسان العرب، ج ۸، ص ۴۲۷ «ردغ».

۲- سنن أبی داود، أبو داود السجستانی، ج ۲، ص ۱۶۴. وقد صحّحه الألبانی فی إرواء الغليل، قال: «قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رجال مسلم، غير يحيى بن راشد، وهو ثقة، وقد توبع من ثقات آخرين» ... إرواء الغليل، محمّد ناصر الألبانی، ج ۷، ص ۳۴۹.

ص: ۹

يبتعد قدر إمكانه عمّا ورثه من رواسب فكريّة جامدة من أشياخه وعمّن يقلّدهم؛ طالباً وراسماً بذلك هدفاً للوصول إلى الحقّ الذى ينشده.

وعليه أن يتحرّى ويستقى المصادر الصحيحة من الفرقة أو الطائفة التى يريد أن يجادلها ويناقش أفكارها، معتمداً على أقوال كبار علمائهم وفقهائهم التى تمثّل كلمتهم الفَصل فى مسائل العقيدة وغيرها.

وكذا لابدّ أن يلاحظ أنّ المسألة التى يفنّدها أو يشكّك فيها هى مورد تسالم وإجماع عند الآخرين، لا أن يلتزم بقول من لا يمثّل إلّا رأيه ويجعله هو الفيصل، ومن ثمّ ينسبه بلا ورع ولا أمانة إلى تلك المدرسة أو الطائفة.

مضافاً إلى ذلك يجب عليه أن يراعى حرمة أدب الحوار فى التعاطى مع من يناقشه أدباً وخلقاً ومنطقاً، منزّهاً لسانه عن السباب والذمّ والتهريج، بلا وازع من دين، فإذا كان الأسلوب المتّبع بهذه الطريقة والتى تتنافى مع خلق وروح الإسلام، فواضح أنّه يفتقد إلى الدليل والبرهان الذى يجب أن يقدّمه إلى من يناظره أو يجادله، فيلجأ إلى هذا الأُسلوب، هرباً وعجزاً عمّا وقع فيه.

فمن يريد طرق الحقيقة والبحث عنها والوصول إليها ومن ثمّ نوالها، لابدّ أن يسلك هذا المنهج الذى قدّمناه آنفاً، لاسيما وأنّ هذا المناظر أو المجادل أو الكاتب ممّن يريد أن يدافع عن الإسلام بحسب مدّعياته ومبتنياته الفكريّة والعقائديّة.

وأمّا إذا كانت غايته ومنهجه هى الهدم وليس النقد وكانت نيّته مبيّتة؛ والغرض هو التشنيع والتكفير والتبديع، فهذه من الطامّات التى ابتليت بها الأُمّة الإسلاميّة على طول التأريخ.

ومن البديهى أنّ من يسلك هذا المنهج فلازمه أن يكون خطأوه أكثر من صوابه، وفساده أكثر من إصلاحه.

ص: ۱۰

غياب المنهجيّة العلميّة عند الدكتور ناصر القفارى

وهـذا ما نجده شاخصاً وجليّاً عند الدكتور السـلفى (ناصـر بن عبد الله بن علىّ القفارى) فى كتابه الموسوم ب- (أُصول مذهب الشـيعة الإماميّة الاثنى عشريّة) والذى هو فى الأصل أُطروحة نال بها درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأُولى من جامعة الملك محمّد بن سعود الإسلاميّة، ولاسيّما فى بحثه الذى عقده للمهدويّة، والذى أسماه (المهديّة والغيبة).

فالمتتبّع لكلام الـدكتور القفارى فى كتابه هـذا لم يجـده يفهم كلام الآخرين ولم يتعلّمه إطلاقاً؛ لعـدم وجود المنهـج الذى ينطلق منه عند نقده لآرائهم وأُسسهم الفكريّة؛ وهذا ناشئ من أمرين:

إمّا الجهل، أو الحقـد والبغض للتشـيّع، ولعلّ كلا الأمرين لا يعـدوانه؛ لـذا تجـده يتّهم ويتقوّل عليهم بلا برهان وحجّة صـحيحة، وبهذا يخفى عجزه عن مواجهة الآخر، وتضطرب كلماته بدون تأمّل وإنصاف فى نقل وجهة نظر الطرف المقابل له.

ثمّ لو تنزّلنا وقلنا: إنّه متفهّم ومتعلّم لكلام الآخرين؛ ولكنّ الأمَرّ والأدهى من ذلك أنّ التهمة للآخرين هى الأصل عنده، فلا يمكن أن تكون كلماته متوازنة وفق منهج صحيح ورؤية صادقة فيما يقول، فهو ينطلق من أنّ الآخر ضالّ وكافر وخارج عن الدين.

وهذا ما نجده فى طيّات كلامه، قال: «وقد تبيّن أنّهم كفرة ليسوا من الإسلام فى شىء ...» (۱).

ثمّ عقد بحثاً أسماه (القول بكفرهم)، وأجهد نفسه مفتخراً ومزهواً فى البحث

۱- أُصول مذهب الشيعة، ناصر بن عبد الله القفارى، ج ۳، ص ۱۵۵۲.

ص: ۱۱

عمّن يقول بكفر الشيعة من أئمّة السنّة (۱). وعليه يتّضح أنّ لغة التكفير للمسلمين هى اللغة السائدة عند الدكتور القفارى.

لذا نجد استغراب بعض العقول المتحرّرة من هذا الفكر، كالاستاذ السعودى حسن بن فرحان المالكى، حيث يستهجن هذا الخطاب وينقده بشدّة، مستغرباً ومستفهماً لغة هذا الخطاب اللامنهجى واللامعرفى،

قال: «أنا لا أستغرب صدور مثل هذه الأساليب، فنحن لم نتعلّم- إلى الآن- كيف نفهم كلام الآخرين؟! وكيف نحكم على أقوالهم ونيّاتهم؟! بمعنى إنّنا لم ندرس فى حياتنا الدراسيّة منهجاً يعلّمنا ضوابط المعرفة لكلام الآخرين، وعلى

۱- ادّعى القفارى أنّ أئمّة السنّة تفتى بكفر الشيعة كمالك وأحمد والبخارى، قال: «وقد ذهب إلى هذا كبار أئمّة الإسلام، كالإمام مالك، وأحمد، والبخارى، وغيرهم». ج ۳، ص ۱۵۰۹.

ص: ۱۲

هـذا يجب على القارئ ألّا يسـتغرب أبـداً أن يجد فى كتابات بعض الناس اتّهامات كثيرة بالتلميح أو التصـريح؛ لأنّ هذا هو الأصل فى طريقـة تفكير كثير منّا، وطريقـة تناوله لموضوعات المختلفين معه فى الرأى، ولأنّ فيها إخفاء للعجز عن المواجهـة، كما أنّ التهمة عند كثير من الناس- للأسف- هى الأصل حتّى تثبت البراءة، بينما العكس هو الصحيح أو المفترض» (۱).

وقـد أصاب الشـيخ ابن فرحان المالكى كبـد الحقيقـة، وهـذا الكلام هو عين ما نجده عند الدكتور القفارى، فمنهجيّة الجدل بالتى هى أحسن، وبالحكمة والموعظة الحسنة والصدق والأمانة، لا نجد لها نصيباً فى كتابه الذى يتّهم فيه الشيعة بأنواع التهم والافتراءات.

تحقيق خال من الصدق والأمانة والموضوعيّة

اشارة

ولنأخـذ عيّنات من كلامه قبل الورود إلى صـميم البحث؛ ليطّلع قارئنا العزيز على مـدّعياته التى تخلو من الصدق فى القول والأمانة فى النقل:

۱- شهادات مزوّرة لنفى ولادة الإمام المهدى (عج)

اشارة

قبل أن ننقل هـذه الشـهادات المحرّفـة نأخـذ عيّنات من كلامه، قال فى مقدّمـة كتابه: «وحقّقت القول بوجود المهـدى الذى يقوم عليه مذهب الاثنا عشريّة اليوم، وعرض شهادات مهمّة صادرة من أُسرة الحسن العسكرى وأهل البيت

۱- مع الدكتور العودة فى عبد الله بن سبأ ودوره فى الفتنة الكبرى، حسن بن فرحان المالكى، ص ۶.

ص: ۱۳

والحسن العسكرى نفسه، ومأخوذة من كتب الشيعة ذاتها» (۱). ويقصد بتلك الشهادات هى الشهادة بعدم وجود وولادة الإمام المهدى (عج).

وقال أيضاً: «والموضوعيّة الصادقة أن تنقل من كتبهم بأمانة، وأن تختار المصادر المعتمدة عندهم، وأن تعدل فى الحكم، وأن تحرص على الروايات الموثّقة عندهم أو المستفيضة فى مصادرهم» (۲).

وقال أيضاً: «والخلاصة أنّنى لم أعمد إلّا إلى كتبهم المعتمدة عندهم (۳)، فى النقل والاقتباس لتصوير المذهب» (۴).

حينئذٍ نقول: إنّ أهمّ تحقيق وصل إليه الدكتور القفارى فى نقده لمسألة المهدويّة هى عرض الشهادات المهمّة- بنظره- من أُسرة الإمام الحسن العسكرى وأهل البيت (عليهم السلام)، والحسن العسكرى (ع) بعدم ولادة الإمام المهدى (عج)، وألزم نفسه بأن يكون موضوعيّاً وصادقاً وأميناً فى النقل من الكتب والمصادر المعتمدة عند الشيعة، وأن يكون عادلًا فى الحكم.

أمّا الشهادات المهمّة- بنظره- فهى كالتالى:

۱- شهادة أهل البيت (عليهم السلام)، أى: (ابن طومار) أحمد بن عبد الصمد، نقيب الطالبيّين كما يدّعى.

۱- أُصول مذهب الشيعة، ناصر بن عبد الله القفارى، ج ۱، صص ۱۵ و ۱۶.

۲- المصدر نفسه، ص ۱۶.

۳- الكتب التى اعتمد عليها القفارى فى الحكم على الشيعة معظمها من المصادر المعتمدة عندهم وليس العكس، لاسيّما كتب ابن تيميّة وابن الجوزى والجبهان، فهذه هى المرجعيّة الفكريّة له، وكثيراً مّا ينقل من كتب ثانويّة للشيعة كالبحار والوافى وغيرها، بل نجده ينقل من كتب مجهولة المؤلّف فى بعض الأحيان، وذلك عندما طرح فى بحث (عقيدة المعاصرين فى كتاب الله) حيث نقل من كتاب اسمه (الشيعة والسنّة فى الميزان، محاكمة بقلم س خ)، ج ۳، ص ۱۲۰۴، فهنا نسب هذا الكتاب إلى الشيعة، ولا نعلم من هو (س خ)، فهل التزم القفارى بكلامه أنّه عمد إلى الكتب المعتمدة عند الشيعة؟!

۴- أُصول مذهب الشيعة، ج ۱، ص ۲۷.

ص: ۱۴

۲- شهادة أُسرة الحسن العسكرى (ع)، أى: جعفر الكذّاب (أخ الإمام العسكرى (ع)).

۳- شهادة الإمام العسكرى (ع) نفسه.

شهادة ابن طومار

فلو تأمّلنا ورجعنا إلى كلماته وأقواله فى الشهادة الأُولى- أى: شهادة ابن طومار- فهل صدق الدكتور القفارى فى هذه الشهادة؟ وهل طبّق المعيار الآنف الذكر؟

قال: «إنّ لأهل البيت موقفاً صريحاً حاسماً فى هذا الأمر، وهو من البراهين الواضحة على بطلان هذه الدعوى، حيث جاء فى تاريخ الطبرى فى حوادث سنة ۳۰۲ ه: إنّ رجلًا ادّعى فى زمن الخليفة المقتدر أنّه محمّد بن الحسن بن علىّ بن موسى بن جعفر، فأمر الخليفة بإحضار مشايخ آل أبى‌طالب، وعلى رأسهم نقيب الطالبيّين أحمد بن عبد الصمد المعروف بابن طومار.

فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن، وقد ضجّ بنو هاشم من دعوى هذا المدّعى وقالوا: يجب أن يشهر هذا بين الناس، ويعاقب أشدّ عقوبة، فحمل على جمل وشهر يوم التروية ويوم عرفة، ثمّ حبس فى حبس المصريّين بالجانب الغربى، وهذه الشهادة من بنى هاشم، وعلى رأسهم نقيب الطالبيّين مهمّة؛ لأنّها من نقيب العلويّين الذى كان عظيم العناية بتسجيل أسماء مواليد هذه الأُسرة فى سجّل رسمى» (۱).

الجواب:

إنّ هذه الدعوى باطلة لعدّة وجوه:

۱- أُصول مذهب الشيعة، ج ۲، صص ۱۰۹۴ و ۱۰۹۵.

ص: ۱۵

الأوّل: إنّ هذه الواقعة ليس لها سند، فكيف يمكن الوثوق بحيثيّات هذه الواقعة؟! والدكتور ممّن ينادى ويطالب الشيعة بذكر الأسانيد، وهذا معيب جدّاً أن تذكر واقعة يفنّد بها عقائد الآخرين بلا سند.

فهذا لا يصدر إلّا ممّن جهل العلم فى هذه الصناعة، أو أنّ العصبيّة غلبت عليه فأنسته كيفيّة الاستدلال.

أضف إلى ذلك إنّها وردت فى صلة تاريخ الطبرى للقرطبى (۱)، وليس فى تاريخ الطبرى.

الوجه الثانى: من هو ابن طومار؟ فلابدّ أن نبحث عن ترجمة له لكى نثق بما يقول، فالشيعة لم تذكر ترجمة له، فهو مهمل عندهم.

وأمّا فى التراجم السنّيّة فهو مجهول من حيث الوثاقة والضعف، بل نقل بعضهم أنّه من الذين لهم صنعة فى الغناء.

قال الصفدى: «أحمد بن عبد الصمد أبو العبّاس المعروف بابن طومار، كان يتولّى النقابة على جميع بنى هاشم العبّاسيّين والطالبيّين، جالس الموفّق والمعتضد .. له شعر وعلم بالغناء وصنعة فيه» (۲).

إذن فمن كان مجهولًا ومهملًا، وله صنعة فى الغناء، كيف نثق بنقله ونجعله حجّة للطعن فى عقائد الطوائف الإسلاميّة؟!

الوجه الثالث: ولو سلّمنا- ولا نسلّم قطعاً؛ لعدم وجود السند- بصدق هذه الواقعة، لكن نقول: إنّها لا علاقة لها بالإمام المهدى ولا الإمام الحسن العسكرى (عليهما السلام)؛ فليس فيها ذكر للإمام المهدى (عج)، فإنّ هذا الرجل ادّعى أنّه (محمّد بن الحسن بن علىّ بن موسى بن جعفر الرضا (ع))، ونؤكّد كلمة

۱- صلة تاريخ الطبرى، القرطبى، ص ۳۵

۲- الوافى بالوفيات، الصفدى، ج ۷، ص ۴۲.

ص: ۱۶

«الرضا» التى ذكرت فى المصدر الأصل عند الطبرى، بينما الذى تعتقد به الشيعة ويعترف به غيرهم هو (محمّد بن الحسن بن علىّ بن محمّد بن علىّ بن موسى بن جعفر الصادق (ع)) وأين هذا من ذاك؟ وللأسف نجد أنّ الدكتور حذف كلمة «الرضا» لعلمه المسبق بأنّ هناك اختلافاً بين الاسمين.

الوجه الرابع: إنّ الدكتور أتحفنا بأنّ المعيار فى النقل هو الصدق والموضوعيّة والأمانة، واعتماد المصادر الشيعيّة، بل ادّعى أنّه قد اعتمد ألّا ينظر فى المصادر الناقلة عنهم، وأن يتعامل مباشرة مع الكتاب الشيعى حتّى لا يتوجّه البحث وجهة أُخرى.

ولم نجده يلتزم بهذا الأمر؛ فمن حيث المصادر فالطبرى ليس شيعيّاً؛ ومن حيث السند فساقط لا اعتبار له، ومن حيث الدلالة فهناك حذف لبعض الكلمات التى لها علاقة بأصل المسألة، فهى غير مرتبطة بالإمام المهدى (عج) مطلقاً، فكان الأحرى بالدكتور أن ينأى بنفسه عن ذكر هذه الشروط؛ لعدم الوفاء بها، وكذلك يفقد مصداقيّة القارئ له.

شهادة الإمام العسكرى (ع)

أمّا الشهادة الثانية التى ذكرها الدكتور القفارى فهى: أنّ الإمام العسكرى (ع) هو من نفى ولادة ولده المهدى بنفسه، قال: «وعلاوة على ذلك كلّه فإنّ الحسن العسكرى نفسه المنسوب له هذا الولد قد نفى ذلك وأنكره، حيث أسند وصيّته فى مرضه الذى توفّى فيه إلى والدته، وأوكل لها النظر فى أوقافه وصدقاته، وأشهد على ذلك وجوه الدولة وشهود القضاء، كما يروى ذلك الكلينى فى

ص: ۱۷

الكافى، وابن بابويه فى إكمال الدين» (۱).

الجواب:

إنّ ما استدلّ به الدكتور القفارى على هذه الدعوى باطل من وجوه:

الأوّل: إنّ هذا الاستدلال غريب، وهو ينبئ عن جهل أو استخفاف بعقل القارئ، فمن أين فهم القفارى أنّ الإمام العسكرى نفى وأنكر ولادة ولده؟ وهل إسناد الوصيّة لغير ولده تدلّ على نفى الولد؟! وأىّ ملازمة بين الأمرين؟ نعم، لو شهد الإمام بنفسه- بمعنى أنّه تفوّه بإنكار ولده بلسانه- لصحّ هذا الكلام.

ثمّ إنّ أجواء الرواية تدلّ على أنّ السلطة الحاكمة آنذاك تبحث عن الولد بحيث تقول الرواية: «كانت سر من رأى يومئذ شبيهاً بالقيامة .. والسلطان يطلب أثر ولد الحسن بن علىّ» (۲). وهذا دليل على الثبوت وليس النفى.

الوجه الثانى: إنّ الدكتور القفارى أغفل ذكر الروايات الأُخرى التى ذكرت أنّ الإمام العسكرى (ع) قد صرّح بوجود ولده، وهذه الروايات صريحة بالمطابقة، وليس بالملازمة مع بعدها عن الواقع.

ومن تلك الروايات ما ذكره الكلينى بسند صحيح (۳) عن محمّد بن يحيى العطّار، عن أحمد بن إسحاق، عن أبى‌هاشم الجعفرى، قال: قلت لأبى محمّد (ع): جلالتك تمنعنى من مسألتك، فتأذن لى أن أسألك؟ فقال: «سل»، قلت: يا سيّدى، هل لك ولد؟ فقال: «نعم»، فقلت: فإن حدث بك حدث فأين أسأل عنه؟ قال: «بالمدينة» (۴).

۱- أُصول مذهب الشيعة، ج ۲، صص ۱۰۹۸ و ۱۰۹۹.

۲- الكافى، محمّد بن يعقوب الكلينى، ج ۱، ص ۵۰۵.

۳- ترجمنا لهذا السند وإنّه فى غاية الصحّة والوثاقة، راجع شبهة (أنّ الإمام العسكرى ۷ لم يعقب).

۴- الكافى، ج ۱، ص ۳۲۸.

ص: ۱۸

وروى الكلينى أيضاً فى الكافى والمفيد فى الإرشاد بسند صحيح عن علىّ بن محمّد، عن محمّد بن علىّ بن بلال، قال: «خرج إلىّ من أبى محمّد قبل مضيّه بسنتين يخبرنى بالخلف من بعده، ثمّ خرج إلىّ من قبل مضيّه بثلاثة أيّام يخبرنى بالخلف من بعده» (۱). وهناك روايات أُخرى سنذكرها فى بحوث لاحقة.

فكان الأولى بأمانة الدكتور ومصداقيّته أن يذكر هذه الروايات المصرّحة بالولادة، لاأن يكتفى برواية واحدة، وهى بالحقيقة لا تدلّ على مراده، بل هى تعلّل وتفسّر ما وقع على الإمام العسكرى (ع) من جرأة السلطات الحاكمة؛ ممّا أدّى إلى إخفاء ولده، وهذا إثبات وليس نفى كما قلنا آنفاً.

الوجه الثالث: إنّ الشيخ الطوسى قد أجاب على هذا الإشكال، حيث فرضه أوّلًا، ثمّ أجاب عنه، قال: «فإن قيل: كيف يجوز أن يكون للحسن بن علىّ (ع) ولد مع إسناده وصيّته فى مرضه الذى توفّى فيه. ..؟ ولو كان له ولد لذكره فى الوصيّة.

قيل: إنّما فعل ذلك قصداً إلى تمام ما كان غرضه فى إخفاء ولادته، وستر حاله عن سلطان الوقت، ولو ذكر ولده أو أسند وصيّته إليه، لناقض غرضه، خاصّة وهو احتاج إلى الإشهاد عليها وجوه الدولة، وأسباب السلطان، وشهود القضاة ليتحرّس بذلك وقوفه، ويتحفّظ صدقاته، ويتمّ به الستر على ولده بإهمال ذكره وحراسة مهجته بترك التنبيه على وجوده، ومن ظنّ أنّ ذلك دليل على بطلان دعوى الإماميّة فى وجود ولد للحسن (ع)، كان بعيداً من معرفة العادات.

وقد فعل نظير ذلك الصادق جعفر بن محمّد (عليهما السلام) حين أسند وصيّته إلى خمسة نفر، أوّلهم المنصور؛ إذ كان سلطان الوقت، ولم يفرد ابنه موسى (ع) بها

۱- الكافى، ج ۱ ص ۳۲۸؛ الإرشاد، ج ۲، ص ۳۴۸.

ص: ۱۹

إبقاء عليه، وأشهد معه الربيع وقاضى الوقت، وجاريته أُم ولده حميدة البربريّة، وختمهم بذكر ابنه موسى بن جعفر (عليهما السلام)؛ لستر أمره وحراسة نفسه، ولم يذكر مع ولده موسى أحداً من أولاده الباقين؛ لعلمه كان فيهم من يدّعى مقامه من بعده، ويتعلّق بإدخاله فى وصيّته، ولو لم يكن موسى (ع) ظاهراً مشهوراً فى أولاده معروف المكان منه، وصحّة نسبه واشتهار فضله وعلمه، وكان مستوراً لما ذكره فى وصيّته، ولاقتصر على ذكر غيره، كما فعل الحسن بن علىّ والد صاحب الزمان (عج)» (۱).

الوجه الرابع: إنّ علماء الأنساب والحفّاظ من أهل السنّة صرّحوا بولادة الإمام المهدى (عج)، وأنّه من ولد الإمام العسكرى (ع)، وسنذكر بعض هذه الأقوال- كمثال- محيلين القارئ لشبهة (إنّ الإمام العسكرى (ع) لم يعقب) فهناك فصّلنا القول فى دفع هذه الشبهة.

فمن علماء الأنساب: السيّد الشريف نجم الدين أبى الحسن بن محمّد العلوى العمرى، النسّابة المشهور، من أعلام القرن الخامس فى كتابه «المجدى فى أنساب الطالبيّين»، قال: «ومات أبو محمّد (ع) وولده من نرجس (س) معلوم عند خاصّة أصحابه وثقات أهله ... وامتحن المؤمنون، بل كافّة الناس بغيبته» (۲).

وكذلك فخر الدين محمّد بن عمر الرازى الشافعى (ت ۶۰۶ ه) فى كتابه «الشجرة المباركة فى أنساب الطالبيّة»، قال: «أمّا الحسن العسكرى الإمام (ع) فله ابنان وبنتان: أمّا الابنان فأحدهما: صاحب الزمان، والثانى موسى، درج فى حياة أبيه ..» (۳).

۱- الغيبة، الطوسى، صص ۱۰۷ و ۱۰۸.

۲- المجدى فى أنساب الطالبيّين، علىّ بن محمّد العلوى العمرى، ص ۱۳۰.

۳- الشجرة المباركة، الفخر الرازى، صص ۷۸ و ۷۹.

ص: ۲۰

ومن الحفّاظ: شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت ۷۴۸ ه) فى كتابه تاريخ الإسلام فى ترجمة الإمام الحسن العسكرى ۷، قال: «وأمّا ابنه محمّد بن الحسن الذى يدعوه الرافضة القائم الخلف الحجّة، فولد سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة ستّ وخمسين ..» (۱).

يقول الأستاذ مصطفى الرافعى فى كتابه (إسلامنا) بعد أن ذكر جملة من كبار علماء السنّة الذين قالوا بولادته: «وكثير غيرهم من علماء السنّة الأجلّاء الذين ذاع صيتهم ويذكرون بكلّ إعجاب وتقدير، هؤلاء وكثير غيرهم ممّن لا يتّسع المقام لذكرهم يقولون بمقولة الإماميّة من أنّ المهدى هو محمّد بن الحسن العسكرى، وأنّه حىّ .. ولا يجدون فى مقولتهم هذه ما يناهض العقل» (۲).

إذن فهل يمكن أن يصدّق القارئ بهذه الدعاوى، أم من حقّه أن يحاكم هذا الكاتب لهذا التشويه والتزوير الجلى والواضح؟!

شهادة جعفر (أخ الإمام الحسن العسكرى (ع))

أمّا الشهادة الثالثة، قال القفارى: «وعلاوة على شهادة نقيب الطالبيّين وبنى‌هاشم، فإنّ أقرب الناس إلى الحسن العسكرى- وهو أخوه جعفر- يؤكّد أنّ أخاه مات ولانسل له ولا عقب، والشيعة يعترفون بذلك، بل ينقلون أنّه حبس جوارى أخيه وحلائله حتّى ثبت له براءتهن من الحمل، وأنّه شنّع على من ادّعى ذلك، وأبلغ دولة الخلافة الإسلاميّة بتآمره ..» (۳).

ثمّ قال بعد أسطر: «ولموقف جعفر المتميّز ضدّ محاولات الرموز الشيعيّة

۱- تاريخ الإسلام، الذهبى، ج ۱۹، ص ۱۱۳، حوادث سنة (۲۵۱- ۲۶۰ ه).

۲- إسلامنا، مصطفى الرافعى، ص ۱۹۲.

۳- أُصول مذهب الشيعة، ج ۲، ص ۱۰۹۵.

ص: ۲۱

اختراع ولد لأخيه، ضاق الشيعة ذرعاً بأمره، حتّى لقّبوه بجعفر الكذّاب» (۱).

الجواب:

أيضاً هذه الشهادة باطلة لعدّة وجوه:

الأوّل: قول الدكتور القفارى باعتراف الشيعة بهذه الشهادة من أخيه جعفر يتناقض مع قوله الآخر: إنّ الشيعة ضاقت ذرعاً بأمر جعفر بحيث لقّبوه بالكذّاب، فكيف نجمع بين هذين القولين المتضاربين؟!

ثمّ كيف تعترف الشيعة بذلك وصلب عقيدتهم هى الإيمان بوجود الإمام الثانى عشر؟ وهو من أُصولهم الاعتقاديّة التى من المفترض أن يناقشهم عليها فى أُطروحته التى تحمل عدد أئمّتهم (أُصول مذهب الشيعة الاثنى عشريّة)، فهو يعترف أنّهم يعتقدون باثنى عشر إماماً، و المهدى هو الإمام الثانى عشر عند الشيعة الإماميّة، فكيف هم يعترفون بنفى ذلك؟! فلا نعلم أىّ تناقض هذا، أليس هذا الكلام ينفى موضوع الرسالة التى تحمل هذا العنوان؛ لأنّه فرض مسبقاً أنّ الشيعة تنفى ذلك؟!

الوجه الثانى: إنّ الشيخ الطوسى ردَّ على هذه الشبهة بكونها: «ليس بشبهة يعتمد على مثلها أحد من المحصّلين؛ لاتّفاق الكلّ على أنّ جعفراً لم يكن له عصمة كعصمة الأنبياء، فيمتنع عليه لذلك إنكار حقّ ودعوى باطل، بل الخطأ جائز عليه، والغلط غير ممتنع منه. وقد نطق القرآن بما كان من ولد يعقوب (ع) مع أخيهم يوسف (ع)، وطرحهم إيّاه فى الجبّ، وبيعهم إيّاه بالثمن البخس، وهم أولاد الأنبياء، وفى الناس من يقول كانوا أنبياء. فإذا جاز منهم مثل ذلك مع عظم الخطأ فيه، فلِمَ لا يجوز مثله من جعفر بن علىّ مع ابن أخيه، وأن يفعل معه من الجحد طمعاً فى الدنيا ونيلها؟ وهل يمنع من ذلك أحد

۱- المصدر نفسه، ص ۱۰۹۶.

ص: ۲۲

إلّا مكابر معاند؟!» (۱).

وقد أشكل القفارى على هذا الدليل بقوله: «فالطوسى لا يقبل الإنكار من جعفر؛ لأنّه غير معصوم، ولكن الطوسى ومعه طائفة الاثنا عشريّة يقبلون دعوى عثمان بن سعيد فى إثبات الولد ودعوى بابيّته، وهو غير معصوم، أليس هذا تناقضًا؟!» (۲).

وهذا من الغرائب التى تنمّ عن جهل آخر يحمله الدكتور عن عقائد الشيعة وأُصولهم، فالطوسى والشيعة الاثنا عشريّة يؤمنون بإثبات ابن الإمام العسكرى (ع) للأدلّة التى أخبر بها رسول الله (ص) والأئمّة من أهل بيته (عليهم السلام)، وينكرون من ينفى ذلك لما ورثوه من هذه الأدلّة؛ لذلك دفع الشيخ الطوسى شبهة جعفر الكذّاب؛ لعدم عصمته فالخطأ جائز فى حقّه، ثمّ أعطى مصداقاً ذكره القران الكريم بما كان من ولد يعقوب (ع) مع أخيهم يوسف (ع)، وطرحهم إيّاه فى الجبّ، وبيعهم إيّاه بالثمن البخس، لقاعدة: «حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد»، فإذا جاز هناك جاز فى هذا المورد.

ثمّ متى كان عثمان بن سعيد/ فى مقام الإثبات للإمام، فلم نسمع بهذه الدعوى إلّا من القفارى نفسه، فقياس جعفر الكذّاب بعثمان بن سعيد لا وجه له، وهو قياس مع الفارق.

الوجه الثالث: ولإبطال هذه الشهادة فقد اعترف جملة كبيرة من أعلام الطائفة السنّيّة بولادة الإمام المهدى (عج)، وهو من ولد الحسن العسكرى (ع)، كما ذكرناه آنفاً وسيأتى لاحقاً بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

الوجه الرابع: أضف إلى ذلك إنّ هذه الشهادة باطلة؛ لأنّها تجر نفعاً

۱- الغيبة، ص ۱۰۷.

۲- أُصول مذهب الشيعة، ج ۲، صص ۱۰۹۵ و ۱۰۹۶.

ص: ۲۳

لصاحبها، كما تقرّر فى باب القضاء، ومن المعلوم أنّ الروايات قـد حـدّثتنا أنّ جعفراً قد صـرّح بذلك علناً عندما قال للسـلطان: «اجعل لى مرتبة أبى وأخى وأوصل إليك فى كلّ سنة عشرين ألف دينار مسلّمة ...» (۱).

إذن فهـذه الشـهادات الثلاـث التى عقـد عليهـا الـدكتور القفـارى الأمـل وأوصـله التحقيق إليهـا كلّهـا باطلـة، بل لم نجـد تلك الأمانة والموضوعيّة والصدق التى وعدنا بها الدكتور، فكيف يمكن أن نثق ونطمئنّ بمجمل أبحاثه لهذه العقيدة؟ وسيجد قارئنا العزيز الكثير من هذه الدعاوى الموهومة والمختلقة التى سنكشف- بإذنه تعالى- زيفها، وسنثبت أنّها لا نصيب لها من الصحّة والواقعيّة.

۲- أحكام جزافيّة روحها التعصّب المذهبى والطائفى

أ- الشيعة تتبع إمام معدوم وكتاب موهوم وجعفر مزعوم!!

اشارة

ومن النمـاذج الخاليـة من التحقيق العلمى والموضوعى أيضـاً قوله فى خلاصـة خاتمـة الكتاب: «وكم هى معاناة أن تقرأ وتسـتمع لقوم أشقاهم الله، فأضلّهم وأعمى أبصارهم، فصاروا يتبعون إماماً معدوماً، ويقولون بكتاب موهوم، وجعفر مزعوم، وأساطير أُخرى ..» (۲).

فى هـذا المقطع أصـدر الدكتور القفارى حكماً على الشـيعة بأنّهم قوم أشـقياء أعمى الله بصـيرتهم؛ لأنّهم يتبعون الإمام المهدى (عج) المعـدوم فى نظره!! وكـذلك يقولون بكتـاب موهوم، ولعلّه إشـارة إلى القرآن الكريم وأنّه محرّف!! وجعفر مزعوم!! إشارة إلى الإمام الصادق (ع) الذى يعدّ المرجع للطائفة

۱- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ص ۴۴.

۲- أُصول مذهب الشيعة، ج ۳، ص ۱۵۴۱.

ص: ۲۴

الشيعيّة فى الأحاديث والروايات.

فهنا حكم سلفاً على طائفة من المسلمين بأُمور تجانب وتجافى الحقيقة تماماً، وأغمض عينيه عن الحقائق التى دعت الشيعة للتمسّك بأهل البيت (عليهم السلام)، فالشيعة إنّما تتبع الإمام‌المهدى (عج) لما ورثوه من روايات متواترة أنبأ وأخبر بها رسول الله (ص) قبل ولادته بمئات السنين، وقد أخرج الأئمّة من أهل السنّة أحاديث الإمام المهدى (عج) مسندة إلى الإمام علىّ (ع) وابن عبّاس وطلحة وابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى وأُم‌سلمة وغيرهم.

فقد روى أبو داود السجستانى فى سننه والترمذى فى صحيحه قول رسول الله (ص): «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث فيه رجلًا منّى أو من أهل بيتى، يواطئ اسمه اسمى» (۱).

وقال الحافظ أبو الحسن محمّد بن الحسين الآبرى السجزى (ت ۳۶۳ ه) فى كتابه (مناقب الشافعى): «وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله (ص) بذكر المهدى، وأنّه من أهل بيته، وأنّه يملك سبع سنين، وأنّه يملأ الأرض

۱- وهناك من أورد إشكالًا على هذا الحديث بإضافة (اسم أبيه اسم أبى) فيكون اسم أب الإمام المهدى هو (عبد الله) وليس (الحسن العسكرى)، ولكن يرد عليه:

ص: ۲۵

عدلًا، وأنّ عيسى (ع) يخرج فيساعده على قتل الدجّال، وأنّه يؤمّ هذه الامّة، ويصلّى عيسى خلفه. فى طول من قصّته وأمره» (۱).

وقال القرطبى المالكى (ت ۷۱۶ ه) فى تفسيره: «الأخبار الصحاح قد تواترت على أنّ المهدى من عترة الرسول (ص)» (۲).

وهكذا جاءت عبائر طائفة كبيرة من كبار علماء أهل السنّة الذين صرّحوا بولادة الإمام المهدى (عج)، كما سيأتى بيانه مفصّلًا فى لاحق الأبحاث.

وأمّا الكتاب الموهوم فلا يوجد فى بيوت الشيعة ومساجدهم سوى هذا المصحف الذى بين يدى المسلمين، ولعلّ أكثر الطبعات هو ما كان على نفقة الملك فهد بن سعود المشهورة.

إقرار أهل السنّة بفضل الإمام الصادق (ع)

وأمّا الإمام الصادق (ع)- المزعوم عند القفارى- فقد ذكروا مشايخ القفارى أنّ جلّ علمائهم الكبار كانوا ممّن يرجع إليه ويأخذ العلم عنه، كمالك والزهرى وأبى حنيفة والشافعى، فهم (عليهم السلام) قدوة وأُسوة أهل السنّة كما يعبّرون فى نصوصهم.

يقول الدكتور أحمد محمود صبحى: «ويقرّ أهل السنّة للصادق بهذا الفضل (أى: بالرجوع إليه وأخذ العلم منه)؛ إذ يقول صاحب التحفة الاثنى عشريّة إنّ الأئمّة المتأخّرين- كالسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا- كانوا قدوة أهل السنّة وأُسوة لهم؛ إذ علماؤهم- كالزهرى وأبى حنيفة ومالك- أخذوا العلم عنهم، وقد روى محدّثو أهل السنّة عنهم فى كلّ فن- لاسيّما فى التفسير-

---

۱- تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج ۹، ص ۱۲۶.

۲- الجامع لأحكام القرآن، القرطبى، ج ۸، صص ۱۲۱ و ۱۲۲.

ص: ۲۶

أحاديث كثيرة» (۱).

والذهبى المعروف بتشدّده يصف الإمام الصادق (ع) قائلًا: «أحد الأعلام، برّ، صادق، كبير الشأن» (۲).

ومع عداوة ابن خلدون للشيعة (۳)، فإنّه لا ينكر فضل الإمام الصادق (ع) وأهل بيته من الولايـة، ويقرّ لهم بصـحّة أسانيدهم، قال: «ولو صـحّ السـند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المسـتند من نفسه أو من رجال قومه، فهم أهل الكرامات، وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنّك بهم علماً وديناً وآثاراً من النبوءة وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروعه».

وقال: «تقرّر فى الشـريعة أنّ البشـر محجوبون عن الغيب إلّا من أطلعه الله عليه من عنده فى نوم أو ولاية». وقال: «وقع لجعفر وأمثاله من أهـل الـبيت كـثير مـن ذلـك، مسـتندهم فيه- والله أعلم- الكشـف بمـا كـانوا عليه من الولايـة، فهم أولى النـاس بهـذه الرتب الشـريفة والكرامات الموهوبة» (۴).

إذن فهل يسـتقيم قول الـدكتور القفارى حين قـذف- وبلا حياء- طائفة كبيرة من المسـلمين: «بأنّهم قوم أشـقاهم الله فأضـلّهم، وأعمى أبصارهم، فصاروا يتبعون إماماً معدوماً، ويقولون بكتاب موهوم، وجعفر مزعوم ...» (۵)؟!

ب- رجال أحاديث الشيعة أسماء لا مسمّى لها

اشارة

۱- نظريّة الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشريّة، أحمد محمود صبحى، ص ۳۷۵؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج ۱، ص ۳۳۱.

۲- ميزان الاعتدال، الذهبى، ج ۱، ص ۱۱۴.

۳- صرّح بهذه المفردة (العداوة للشيعة) الدكتور أحمد محمود صبحى، ص ۳۷۵.

۴- تاريخ ابن خلدون، ج ۱، ص ۳۳۱؛ وانظر: نظريّة الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشريّة، ص ۳۷۵.

۵- أُصول مذهب الشيعة، ج ۳، ص ۱۵۴۱.

ص: ۲۷

وقال أيضاً: «ورجال أحاديثهم فيهم أسماء لا مسمّى لها، وأكثرهم ينتحل المذاهب الفاسدة فى نظر الاثنى عشريّة نفسها، فهم فى عداد الكفرة ... والرافضة تقيم كلّ عقائدها ومبادئها على روايات من وضع هؤلاء الأفّاكين، نسبوها للأئمّة، والأئمّة منها براء؛ إذ منهم من هو خليفة راشد يجب طاعته كالخلفاء قبله وهو علىّ، ومنهم من هو من أئمّة العلم والدين كعلىّ بن الحسين، وأبى جعفر الباقر، وجعفر الصادق، ويجب لهم ما يجب لأمثالهم من أئمّة العلم والدين، ومنهم دون ذلك، ومنهم من ضعّفه بعض أهل العلم وهو الحسن العسكرى، ومنهم معدوم ولا وجود له وهو إمامهم المزعوم منذ سنة (۲۶۰ ه)، وكلّ ما ينسبونه لهم من غلو هو من اختراع زنادقة القرون البائدة» (۱).

فهذا النصّ الذى ذكره الدكتور القفارى يكشف عن نفس عدوانيّة متعصّبة لا تعى ما تقول، وإن وعت فهى لا تريد إدراك الحقّ.

فنسأل الدكتور: من هم هؤلاء الأفّاكين الذين تقيم الشيعة عليهم عقائدها، وهم أسماء لا مسمّى لهم؟ فياليته ذكر ذلك وأفصح وأبان عنه، ولكن أنّى له ذلك؟! فرجال أحاديث الشيعة لهم من الفضل والعلم والتقوى ما هو مقرّر فى كتب تراجمهم، ويشهد بفضلهم العامّ والخاصّ، وهم بدورهم يخضعون أسانيد كلّ كتبهم بما فيها الكتب الأربعة- للكلينى والصدوق والطوسى- إلى القواعد المقرّرة فى علم الرجال والدراية وعلم الجرح والتعديل.

۱- أُصول مذهب الشيعة، ج ۳، ص ۱۵۴۸.

ص: ۲۸

وثيقة الإمام علىّ (ع) فى علم الدراية والرجال

ولو تأمّلنا فى تلك الوثيقة الرائعة التى يرسمها أمير المؤمنين (ع) بأبهى وأروع صورة فى علم الرجال والدراية والجرح والتعديل، فهو يُعدّ المؤسّس لهذا العلم (۱)، قال ابن أبى‌الحديد فى شرح نهج البلاغة:

ومن كلام له (ع) وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعمّا فى أيدى الناس من اختلاف الخبر، فقال (ع): «إنّ فى أيدى الناس حقّاً وباطلًا، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصّاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول‌الله (ص) على عهده حتّى قام خطيباً، فقال: «من كذب علىّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار»، وإنّما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان، متصنّع بالإسلام، لا يتأثّم ولا يتحرّج، يكذب على رسول الله (ص) متعمّداً، فلو علم الناس أنّه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوا قوله،.. فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه، فوهم فيه ولم يتعمّد كذباً، فهو فى يديه، ويرويه ويعمل به، ويقول: أنا سمعته من رسول الله (ص)، فلو علم المسلمون أنّه وهم فيه لم يقبلوه منه، ولو علم هو أنّه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله (ص) شيئاً يأمر به، ثمّ إنّه نهى عنه، وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شىء، ثمّ أمر به، وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ، ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنّه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه.

۱- وبهذا تسقط تلك الشبهات التى تقول بأنّ الشيعة ليس لهم علم جرح وتعديل، فإنّ هذه الوثيقة تدحض هذه الشبهة.

ص: ۲۹

وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله مبغض للكذب؛ خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله (ص)، ولم يهم، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على سمعه، لم‌يزد فيه ولم ينقص منه، فهو حفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنّب عنه، وعرف الخاصّ والعامّ، والمحكم والمتشابه، فوضع كلّ شيء موضعه.

وقد كان يكون من رسول الله (ص) الكلام له وجهان: فكلام خاصّ، وكلام عامّ، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله سبحانه به، ولا ما عنى رسول الله (ص)، فيحمله السامع ويوجّهه على غير معرفة بمعناه، وما قصد به، وما خرج من أجله، وليس كلّ أصحاب رسول الله (ص) من كان يسأله ويستفهمه، حتّى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابى والطارئ، فيسأله (ع) حتّى يسمعوا، وكان لا يمرّ بى من ذلك شيء إلّا سألته عنه وحفظته. فهذه وجوه ما عليه الناس فى اختلافهم وعللهم فى رواياتهم» (۱).

ولذا طالما كان أمير المؤمنين (ع) يخاطب شيعته قائلًا: «إذا حدّثتم بحديث فاسندوه إلى الذى حدّثكم، فإن كان حقّاً فلكم، وإن كان كذباً فعليه» (۲).

والشيعة تتبع هذا المنهج الذى رسمه إمام الموحّدين، فهم الأكثر تشدّداً فى هذا المجال، وتكفيك نظرة فى (معجم رجال الحديث) للسيّد الخوئى (رحمة الله)، فقد دقّق ومحّص هذا العالم وأبلى البلاء الحسن فى الأخذ والردّ فى هذا الفن.

نعم، قد ورد فى بعض الأسانيد من هو ليس من مذهبهم، فطبّقوا على تلك الأحاديث بعض القواعد، منها: الوثوق أو الوثاقة فى حجّية الخبر، فالخبر إذا كان صحيحاً لا يضرّ فساد ناقله، وكتب الحديث السنّيّة المشهورة مشحونة بهذه

۱- نهج البلاغة، محمّد عبده، ج ۲، صص ۱۹۰ و ۱۹۱.

۲- الكافى، ج ۱، ص ۵۲.

ص: ۳۰

الأحاديث لاسيما فى كتب الصحاح (البخارى) و (مسلم) فقد صحّحوا للنواصب والخوارج والمبتدعة وغيرهم، فهل يصحّ لنا أن نطرح هذه الصحاح لإفك هؤلاء كما يدّعى الدكتور القفارى؟

تصحيح الأحاديث المرويّة عن الخوارج والنواصب

قال المحقّق أحمد محمّد شاكر (ت ۱۳۷۷ ه) (۱) فى شرحه كتاب (الباعث الحثيث)، عند تعرّضه للأقوال فى رواية المبتدع: «وهذه الأقوال كلّها نظريّة، والعبرة فى الرواية بصدق الراوى وأمانته، والثقة بدينه وخلقه، والمتتبع لأحوال الرواة يرى كثيراً من أهل البدع موضعاً للثقة والاطمئنان، وإن رووا ما يوافق رأيهم» (۲).

وقال المحدّث أحمد بن الصدّيق المغربى (ت ۱۳۸۰ ه) (۳) فى كتابه (فتح

۱- عالم بالحديث والتفسير، مصرى، مولده ووفاته فى القاهرة. وأبواه من بلاد (جرجا) بصعيد مصر ... انقطع للتأليف والنشر إلى أن توفّى. أعظم أعماله شرح (مسند الإمام أحمد بن حنبل) خمسة عشر جزءاً، و (عمدة التفسير) أربعة أجزاء منه فى اختصار تفسير ابن كثير. ومن كتبه (نظام الطلاق فى الإسلام) لم يتقيّد فيه بمذهب ... الأعلام، خير الدين محمود بن محمّد الزركلى، ج ۱، ص ۲۵۳.

۲- الباعث الحثيث، أحمد محمّد شاكر، ص ۱۰۲.

۳- هو: شهاب الدين أبو الفيض أحمد بن محمّد بن الصدّيق، الإدريسى الحسنى، ينتهى نسبه إلى الحسن السبط بن علىّ بن أبى طالب:. ولد الشيخ يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة ۱۳۲۰ بقبيلة بنى سعيد، تلقّى الشيخ أحمد بن الصدّيق مبادئ العلوم فى بلده على يد والده وتلامذته. ثمّ توجّه إلى مصر للدراسة بالأزهر الشريف سنة ۱۳۳۹ ه، يعدّ الشيخ أحمد بن الصدّيق الغمارى رحمه الله أحد أعلام المحدّثين الذين برزوا فى القرون المتأخّرة، ولا أدلّ على ذلك من كتبه وأجزائه الحديثيّة الكثيرة، التى برز فيها سعة اطّلاعه، وتمكّنه فى الصناعة الحديثيّة، وقوّة استحضاره للمتون، وبراعته فى توظيف القواعد الحديثيّة، ومعرفته التامّة بالرجال وطبقاتهم، الشىء الذى أهلّه لأن يدّعى لنفسه الاجتهاد فى التصحيح والتضعيف، والردّ والقبول، بل والتجريح والتعديل.

ص: ۳۱

الملک العلیّ): «وما سمعته فی مطاوی فحاوی هذه النقولات من الخلاف فی أصل المسألة إنّما هو فی لسان المخالف لا فی عمله، وفی مقاله لا فی تصرّفه، فإنّهم مجمعون علی توثیق المبتدعة، وقبول روایتهم، والاحتجاج بأخبارهم، لم یخالف فی ذلک أحد منهم أصلًا» (۱).

والذی صحّح ونظّر لهذه المعادلة هو ما نجده فی طیّات کلام الخطیب البغدادی فی «الکفایة» بسنده عن أبی عبید محمّد بن علیّ الآجری، قال: «سمعت أبا داود سلیمان بن الأشعث یقول: لیس فی أصحاب الأهواء أصحّ حدیثاً من الخوارج، ثمّ ذکر عمران بن حطّان، وأبا حسّان الأعرج» (۲).

ونجد عین هذا الکلام عند ابن تیمیّة الحرّانی، قال: «والخوارج صادقون، فحدیثهم من أصحّ الحدیث، وحدیث الشیعة من أکذب الحدیث» (۳).

وقال فی کتابه «الجواب الصحیح»: «لم یکن فیهم [الخوارج] من یعرف بالکذب، بل یقال: هم من أصدق الناس حدیثاً» (۴).

وقال التهانوی: «والخوارج أصدق من الرافضة، بل الخوارج لا نعرف عنهم أنّهم یتعمّدون الکذب، بل هم من أصدق الناس» (۵).

۱- فتح الملک العلیّ، أحمد بن الصدّیق المغربی، ص ۱۰۴.

۲- الکفایة فی علم الروایة، الخطیب البغدادی، ص ۱۵۸.

۳- مجموع الفتاوی، ابن تیمیّة الحرّانی، ج ۱۳، ص ۲۰۹.

۴- الجواب الصحیح لمن بدّل دین المسیح، ابن تیمیّة الحرّانی، ج ۶، ص ۴۵۵.

۵- قواعد فی علوم الحدیث، ظفر أحمد التهانوی، ص ۴۴۳.

ص: ۳۲

وقد دافع ابن حجر فی «فتح الباری» بحرارة عن البخاری لیصحّح ما رواه عن ابن حطّان الخارجی الناصبی، قائلًا: «إنّه من المتابعات»، ثمّ قال: «ورأیت بعض الأئمّة یزعم أنّ البخاری إنّما أخرج له ما حمل عنه قبل أن یری رأی الخوارج، ولیس ذلک الاعتذار بقویّ؛ لأنّ یحیی بن أبی کثیر إنّما سمع منه بالیمامة فی حال هروبه من الحجّاج وکان الحجّاج یطلبه لیقتله لرأیه رأی الخوارج وقصّته فی ذلک مشهورة» (۱).

فهو یعترف بأنّ البخاری أخرج له، ثمّ ردّ من قال بأنّ البخاری خرّج له قبل أن ینتحل رأی الخوارج.

وقال ابن حجر فی «النواصب»: «فأکثر من یوصف بالنصب یکون مشهوراً بصدق اللهجة والتمسّک بأُمور الدیانة ..» (۲).

إذن هناک ممّن هو خارجی مبتدع وناصبی، ولکن نجد أنّ کبار أهل السنّة وحفّاظهم قد خرّجوا لهم فی کتبهم وصحاحهم، فی حین أنّهم یروون فی الوقت عینه أنّ الخوارج وغیرهم خارجین ومارقین عن الدین.

فقد أخرج البخاری فی «صحیحه» بسنده عن یسیر بن عمرو، قال: قلت لسهل بن حنیف: هل سمعت النبیّ یقول فی الخوارج شیئاً؟ قال: سمعته یقول- وأهوی بیده قبل العراق-: «یخرج منه قوم یقرأون القرآن لا یجاوز تراقیهم، یمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمیة» (۳).

وأخرج مسلم فی صحیحه بسنده عن زید وهب الجهنی: أنّه کان فی الجیش الذین کانوا مع علیّ الذین ساروا إلی الخوارج، فقال علیّ (ع): «أیّها الناس، إنّی سمعت رسول‌الله یقول: یخرج قوم من امّتی یقرأون القرآن لیس قراءتکم إلی

۱- مقدّمة فتح الباری، ابن حجر العسقلانی، ج ۱، ص ۴۳۲.

۲- تهذیب التهذیب، ابن حجر العسقلانی، ج ۸، ص ۴۱۱.

۳- صحیح البخاری، محمّد بن إسماعیل البخاری، ج ۶، ص ۲۵۴۱.

ص: ۳۳

قراءتهم بشىء، ولاصلاتكم إلى صلاتهم بشىء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء، يقرأون يحسبون أنّه لهم، وهو عليهم، لاتجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام، كما يمرق السهم من الرمية» (۱).

وحينئذ نقول للدكتور القفارى: هل أحاديث الشيعة فيها أسماء لا مسمّى لها، وأكثرهم ينتحل المذاهب الفاسدة، فهم فى عداد الكفرة ... وأنّ الرافضة تقيم كلّ عقائدها ومبادئها على روايات من وضع الأفّاكين، أم أنّ صحاحكم هى من حوك هؤلاء الأفّاكين من الخوارج والمبتدعين والنواصب، الذين أجمعت عليهم أيضاً كتبكم بمروقهم عن الدين والملّة والإسلام؟! وعليه فلابدّ من مراجعة وتنقية تلك الأسانيد ممّا علق بها من شوائب النصب والبدع وغير ذلك، بدل قذف المسلمين بتهم لا طائل منها، وتفتقد للأمانة والصدق.

ج- استعارة لغة ابن تيميّة وابن الجوزى فى التطاول على أئمّة أهل البيت: وتضعيف الإمام العسكرى (ع)

اشارة

وأمّا قوله: «منهم من هو خليفة راشد يجب طاعته ..، ومنهم دون ذلك، ومنهم من ضعّفه بعض أهل العلم، وهو الحسن العسكرى، ومنهم معدوم ولا وجود له، وهو إمامهم المزعوم منذ سنة (۲۶۰ ه) ..» (۲).

نقول: فى هذا النص نجد أنّ التطاول على رموز مذهب أهل البيت (عليهم السلام) قد طفح وبان شأوه (۳)، فهو يستعير لغة ابن تيميّة وابن حزم فى الطعن على أئمّة المذهب الشيعى، وهذا ليس غريباً فقد سبقه فى ذلك شيخه شيخ الإسلام فقد اتّهم الإمام علىّ وفاطمة (عليهما السلام) بأبشع التهم التى يقشّعر منها بدن الإنسان، قال فى

۱- صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج النيسابورى القشيرى، ج ۲، ص ۷۴۶.

۲- أُصول مذهب الشيعة، ج ۳ ص ۱۵۴۸.

۳- شأوه: أى رائحته وغايته. كتاب العين، ج ۶، ص ۲۹۷ «شأو».

ص: ۳۴

«منهاج السنة»: «وقد أنزل الله تعالى فى علىّ: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ)، لمّا صلّى فقرأ وخلط».

وقال النبىّ (ص): «وكان الإنسان أكثر شىء جدلًا»، لمّا قال له ولفاطمة: «ألا تصلّيان؟»، فقالا: «إنّما أنفسنا بيد الله سبحانه وتعالى» (۱).

فابن تيميّة ينصب العداء لأهل البيت (عليهم السلام)، بشهادة بعض العلماء كما سنذكره، وعليه فالقفارى يقتفى نفس الأثر فى النصب، وهذه الشبهة تلاحقه فى جميع أبحاثه؛ قال الغمارى فى «فتح الملك العلىّ» فيمن تنكّر لفضائل علىّ (ع): «كما صرّح به بعض من رفع جلباب الحياء عن وجهه من غلاة النواصب، كابن تيميّة وأضاربه، ولذلك تراهم عندما يضيق بهم هذا المخرج ولا يجدون توصّلًا منه إلى الطعن فى حديث- لتواتره أو وجوده فى الصحيحين- يميلون به إلى مسلك آخر، وهو التأويل وصرف اللفظ عن ظاهره» (۲).

ونفس هذا الأسلوب سار عليه واقتفاه الدكتور القفارى فى تعامله مع أحاديث الإمام المهدى (عج) المتواترة، فتارة يقول بالخرافة والأُسطورة، وتارة أُخرى ينفى ولادته مع اعتراف جملة كبيرة من كبار علماء طائفته، وتارة يسخّف آراء الآخرين ويتلاعب بالألفاظ، وذلك بصرفها عن ظاهرها، كما ستجده فى معظم أبحاثه التى سوف نطرقها قريباً.

إذن فمن كان هذا حاله فكيف يمكن الوثوق بموضوعيّته وأمانته وصدقه؟! فشهادته قطعاً تكون مجروحة، والقارئ الحصيف لا يمكن أن يطمئن بما ينقله عن عقائد الشيعة وإن ادّعى ذلك.

۱- منهاج السنّة، ابن تيميّة الحرّانى، ج ۷، ص ۲۳۷.

۲- فتح الملك العلىّ، ص ۱۰۹.

ص: ۳۵

جلّ كتب ابن تيميّة (وجادة) لا سند متّصل لها

أضف إلى ذلك إنّ شيخ الإسلام الذى قد امتلأت رسالة الدكتور القفارى باجترار ما يقول- لو أحصينا كلماته لوجدناها تبلغ نصف هذه الرسالة أو أكثر- جلّ كتبه هى وجادة، فالإشكال الكبير الذى يرد على الدكتور القفارى هو أنّ رسالته حملت مفاهيم وأفكار ابن تيميّة فى كتبه المشهورة، فقد أحصيت الموارد التى ردّدها عن ابن تيميّة فبلغت أكثر من مائة وخمسين مورداً، وغير ذلك من الموارد التى بلورت بصيغة أُخرى ولم ينسبها إليه، وعلى هذا تكون أكثر شبهات هذه الرسالة هى من كلام ابن تيميّة؛ فى حين أنّ كتب ابن تيميّة وجادة لا- سند متّصل لها، والوجادة- كما هو معلوم بداهةً عند أهل الفن- من أضعف طرق التحميل، وعليه فيكون كلام ابن تيميّة وتبعاً له كلام القفارى تشوبه هذه الشبهة ممّا يجعلنا نتوقّف فى مرويّاته ومجازفاته وحملاته الظالمة ضدّ الشيعة.

الدكتور محمود سعيد ممدوح يصرّح بوجادة كتب ابن تيميّة

قال الدكتور محمود سعيد ممدوح، فى محاضرة له عن السلفيّة: «إنّ جلّ مصنَّفاته (وجادة) ما معنى هذا؟ .. ابن تيميّة بينه و بين أهل عصره شدٌّ و جذبٌ، و كان بينه و بين أهل عصره ردود و مخالفات. و عندما تُوفّى رحمه الله انتقل هذا الشقاق و الخصام إلى تلاميذه، و لكن ضعُفت الحدّة والقوّة، (وبوفاة تلاميذه انتهى هذا الأمر نهائيّاً).

بعض الحنابلة كانوا يحبّون ابن تيميّة ووجدوا كتب ابن تيميّة و أرادوا أن يحافظوا عليها، وجاء أحدهم- و هو ابن عروة الحنبلى- و أخذ نسخة من هذه

ص: ۳۶

الكتب، و كان كثير من الناس ينسخوا فى حياته، فأخذ نسخة من هذه الكتب، فوضعها فى داخل شرح له فى البخارى، و وضعها فى المكتبة الظاهريّة فى دمشق- هذا ابن عروة الحنبلى- فعل ذلك بعد وفاة ابن تيميّة بعشرات السنين، ثمّ تركت هذه الكتب فى المكتبة الظاهريّة، إلى أن جاء القرن الثالث عشر الهجرى، ابتدأت العناية بعض الشيء لكتب ابن تيميّة، فوجدوها، فهى (وجادة) يعنى وجدوها هكذا لا سند متّصل بها بابن تيميّة، ولامقروءة على مشايخ قرأوها على مشايخهم إلى ابن تيميّة، كما هى العادة فى جميع الكتب ... ينبغى أىّ كتاب يكون مخطوط يكون موثّق، قرئ على بعض العلماء، قرئ على المصنّف، و كتب على خطّ مصنّف، أو المصنّف عمل عليه سماعات أو مثل هذه الأشياء.

أمّا كتب ابن تيميّة فلا نجد فيها هذا، فهى عبارة عن وجادات، يعنى أشياء قد وجدت، فالوجادة عند المحدّثين من أضعف طرق التحمّل» (۱).

توبيخ علماء السنّة لابن تيميّة

أضف إلى ذلك أيضاً أنّ ابن تيميّة غير مرضى ولا مقبول الحال عند العلماء، فقد وبّخه وأنّبه كبار علماء أهل السنّة، منهم: ابن حجر العسقلانى، وابن حجر الهيتمى، والذهبى فى رسالته الذهبيّة المشهورة وغيرهم.

قال ابن حجر العسقلانى: «ومنهم من ينسبه إلى النفاق؛ لقوله فى علىّ: إنّه كان مخذولًا حيثما توجّه، وأنّه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وأنّه قاتل للرئاسة لا للديانة. ولقوله: إنّه كان يحبّ الرئاسة، وأنّ عثمان كان يحبّ المال.

۱- () محاضرة عن السلفيّة للعلّامة محمود سعيد ممدوح، بثّت فى عدّة مواقع على شبكة الإنترنيت، انظر موقع: الأصلين www. aslein .net. والنفيس، www .elnafeas .net.

ص: ۳۷

ولقوله: علیّ أسلم صبیاً، والصبیّ لا یصحّ إسلامه، وبکلامه فی خطبة بنت أبی جهل. فإنّه شنّع فی ذلک فألزموه بالنفاق؛ لقوله (ص): ولا یبغضک إلّا منافق» (۱).

وقال ابن حجر الهیتمی المکّی فی (الفتاوی الحدیثیّة): «ابن تیمیّة عبد خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمّه وأذلّه .... وبذلک صرّح الأئمّة الذین بیّنوا فساد أحواله وکذب أقواله .... ومن أراد ذلک فعلیه بمطالعة کلام الإمام المجتهد المتّفق علی إمامته وبلوغه مرتبه الاجتهاد أبی الحسن السبکی، وولده التاج، والشیخ الإمام العزّ بن جماعة، وأهل عصره وغیرهم من الشافعیّة والمالکیّة والحنفیّة ...».

ثمّ قال: «والحاصل: أن لا یقام لکلامه وزن، وأن یرمی فی کلّ وعر وحزن ... ویعتقد فیه أنّه مبتدع ضالّ مضلّ غال، عامله اللّه بعدله، وأجارنا من مثل طریقته وعقیدته وفعله، آمین» (۲).

وقال الذهبی فی رسالته الذهبیّة (۳): «أما آن لک أن ترعوی؟ أما حان لک أن تتوب وتنیب؟ أما أنت فی عشر السبعین وقد قرب الرحیل؟ بلی- والله- ما أذکر أنّک تذکر الموت، بل تزدری بمن یذکر الموت، فما أظنّک تقبل علی

۱- الدرر الکامنة فی أعیان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلانی، ج ۱، صص ۱۸۰ و ۱۸۱.

۲- الفتاوی الحدیثیّة، ابن حجر المکّی، ص ۵۸.

۳- نسبة هذه الرسالة إلی الذهبی ثابتة وصحیحة، وقد ذکرها السخاوی قائلًا: «وقد رأیت له (أی: للذهبی) عقیدة مجیدة ورسالة کتبها لابن تیمیّة، هی لدفع نسبته لمزید تعصّبه مفیدة». الإعلان بالتوبیخ لمن ذمّ التاریخ، السخاوی، ص ۱۳۶.

ص: ۳۸

قولی، ولا تصغی إلی وعظی، بل لک همّة کبیرة فی نقض هذه الورقة بمجلدات، وتقطع لی أذناب الکلام، ولا تزال تنتصر حتّی أقول: وألبتّة سکت» (۱).

ففی هذا المقطع یطالبه بالتوبة والإنابة والرجوع عن منهج یسوده ویشوبه الخطأ، ثمّ یقول: أنا أعلم أنّک لا تصغی لقولی ووعظی، بل جلّ همّک هو النقض بکلام خال من قبول الحقّ، والأدهی هو أنّک تقطع النصوص وأذناب الکلام، ثمّ یتمنّی الذهبی سکوته خیر من کلامه.

ولیت هذه النصائح والمواعظ تأخذ طریقها إلی فکر الدکتور القفاری الذی ما فتئ یکفّر المسلمین ویتّهمهم بشتّی أنواع التهم من التبدیع والتشریک والتشکیک فی عقائد المسلمین، وإلقاء للشبه بلا دلیل وبرهان صحیح. ویالیته سکت- کما یتمنّی الذهبی لابن تیمیّة- لکان أولی.

ابن الجوزی یُضعّف الإمام العسکری ۷

وقوله: «ومنهم من ضعّفه بعض أهل العلم، وهو الحسن العسکری! ومنهم معدوم ولا وجود له، وهو إمامهم المزعوم منذ سنة (۲۶۰ ه)!».

نقول: الذی ضعّف الإمام العسکری (ع) هو ابن الجوزی فی (الموضوعات)، قال: «والحسن بن علیّ صاحب العسکر، هو الحسن بن علیّ بن محمّد بن موسی بن جعفر، أبو محمّد العسکری آخر من تعتقد فیه الشیعة الإمامة ... ولیس بشیء» (۲).

وهذا الذی وصفه الدکتور القفاری أنّه من أهل العلم لم یفسّر لنا ماهیّة هذا التضعیف، ولم نجد أحداً من کبار علماء الطائفة السنّیّة ممّن له الباع الطویل

۱- السیف الصقیل، تقی الدین السبکی، صص ۲۱۷ و ۲۱۸.

۲- الموضوعات، ابن الجوزی، ج ۱، ص ۴۱۵.

ص: ۳۹

فی علم الجرح والتعدیل ضعّف الإمام العسکری (ع)، فهو انفرد بهذا الکلام، ولا علّة ولا تفسیر لهذا الجرح، فهو جرح مبهم غیر مفسّر، وقد تقرّر عند العلماء أنّ الجرح إذا کان غیر مفسّر فلا قیمة له.

إذن فالتفسیر الوحید لهذا التضعیف هو النصب والعداوة لأهل البیت (علیهم السلام).

ابن الجوزی حاطب لیل

ثمّ إنّه فی هذا المقطع یقول: إنّ الحسن العسکری هو آخر من تعتقد فیه الشیعة الإمامة.

والصحیح أنّ الإمام المهدی (عج) هو آخر الأئمّة الذین تعتقد فیهم الشیعة، فصدق قول ابن حجر فیه: إنّه حاطب لیل.

قال ابن حجر العسقلانی فی «لسان المیزان» عند تعرّضه لقصّة نقلها ابن الجوزی: «دلّت هذه القصّة علی أنّ ابن الجوزی حاطب لیل لا ینقد ما یحدّث به» (۱).

سقطات ابن الجوزی وأغلاطه

مضافاً إلی ما صرّح به ابن حجر من عدم الدقّة فی النقل وفیما یصنّفه،

قال الذهبی فی «تذکرة الحفّاظ»: «وکان کثیر الغلط فیما یصنّفه، فإنّه کان یفرغ من الکتاب ولا یعتبره. قلت: نعم، له وهم کثیر فی تواریفه، یدخل علیه الداخل من العجلة والتحوّل إلی مصنّف آخر، ومن أنّ جلّ علمه من کتب وصحف ما مارس فیها أرباب العلم کما ینبغی» (۲).

ولعلماء الطائفة السنّیّة أقوال کثیرة فی أوهامه وسقطاته، کابن الصلاح

۱- لسان المیزان، ابن حجر العسقلانی، ج ۲، ص ۸۴.

۲- تذکرة الحفّاظ، الذهبی، ج ۴، ص ۱۳۴۷.

ص: ۴۰

والسيوطى وابن عراق وابن كثير والزين العراقى وابن جماعة الكنانى وغيرهم.

إذن فهل يعتدّ بكلام حاطب ليل، كثير الغلط، صاحب غرائب، عجول؟! وهل هذا إلّا داء النصب الذى لا يستطيع ابن الجوزى أن يخرج أو يفرّ منه؟!

الذهبى يبجّل ويثنى على الإمام الحسن العسكرى (ع)

فالإمام الحسن العسكرى (ع) ذكره الذهبى فى ترجمته للإمام المهدى المنتظر (عج)، وقد أثنى وأطرى على هذه السلسلة الطاهرة بالجلالة والسيادة و الشرف والصلاح للإمامة.

قال: «المنتظر الشريف، أبو القاسم، محمّد بن الحسن العسكرى بن علىّ الهادى بن محمّد الجواد بن علىّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن زين العابدين بن علىّ بن الحسين الشهيد بن الإمام علىّ بن أبى طالب، العلوى الحسينى، خاتمة الاثنى عشر سيّداً ... فمولانا الإمام علىّ: من الخلفاء الراشدين، المشهود لهم بالجنّة نحبّه أشدّ الحبّ ... وابناه الحسن والحسين: فسبطا رسول الله (ص) وسيّدا شباب أهل الجنّة، لو استخلفا لكانا أهلًا لذلك. وزين العابدين: كبير القدر، من سادة العلماء العاملين، يصلح للإمامة. وكذلك ابنه أبو جعفر الباقر: سيّد، إمام، فقيه، يصلح للخلافة. وكذا ولده جعفر الصادق: كبير الشأن، من أئمّة العلم، كان أولى بالأمر من أبى جعفر المنصور. وكان ولده موسى: كبير القدر، جيّد العلم، أولى بالخلافة من هارون، وله نظراء فى الشرف والفضل. وابنه علىّ بن موسى الرضا: كبير الشأن، له علم وبيان، ووقع فى النفوس، صيّره المأمون ولى عهده؛ لجلالته، فتوفّى سنة ثلاث ومائتين. وابنه محمّد الجواد: من سادة قومه. وكذلك ولده

ص: ۴۱

الملقّب بالهادی: شریف جلیل. وکذلک ابنه الحسن بن علیّ العسکری» (۱).

فنقول للدکتور القفاری الذی ضعّف بعضهم، واستهزأ بمن یقول بوجوب طاعتهم: هؤلاء الذین تتکلّم عنهم الشیعة هم أهل بیت النبیّ (ص) الذی أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهیراً، وهم الثقل الأصغر الذی لا ینفکّ عن الکتاب بشهادة حدیث الثقلین الصحیح والمتواتر بین الفریقین (۲). کیف لا ومن التجأ إلی سفنهم فقد نجا، ومن تخلّف ضلّ وهوی؟! کیف لا وهم معدن العلم؟! فرسول الله هو المدینة، وعلیّ هو الباب (۳)، والشیعة قد وردت وولجت هذا

۱- سیر أعلام النبلاء، ج ۱۳، صص ۱۱۹- ۱۲۱.

۲- عن أبی سعید الخدری، قال: قال رسول الله ۹: «إنّی قد ترکت فیکم ما إن تمسّکتم به لن تضلّوا بعدی، الثقلین، وأحدهما أکبر من الآخر: کتاب الله حبل ممدود من السماء إلی الأرض، وعترتی أهل بیتی، ألا إنّهما لن یفترقا حتّی یردا علیّ الحوض»، ونحوه عن مسلم فی صحیحه کتاب السنن، وصحیح الترمذی.

۳- روی المناوی فی فیض القدیر حدیث: «أنا مدینة العلم وعلیّ بابها فمن أراد العلم فلیأت الباب»، ثمّ علّق علیه قائلًا: «فإنّ المصطفی ۹ المدینة الجامعة لمعانی الدیانات کلّها ولابدّ للمدینة من باب، فأخبر أنّ بابها هو علیّ، فمن أخذ طریقه دخل المدینة، ومن أخطأه أخطأ طریق الهدی، وقد شهد له بالأعلمیّة الموافق والمخالف، والمعادی والمحالف». ثمّ قال: «ذکر لعطاء أکان أحد من الصحب أفقه من علیّ؟ قال: لا والله. قال الحرّانی: قد علم الأوّلون والآخرون أنّ فهم کتاب الله منحصر إلی علم علیّ، ومن جهل ذلک فقد ضلّ عن الباب». فیض القدیر، عبد الرؤوف المناوی، ج ۳، صص ۶۰ و ۶۱.

ص: ۴۲

الباب، وأیّ باب الذی یفتح ویتفتّق وینفجر منه ألف باب من ینابیع العلم والمعارف الإلهیّة (۱)؟!

منهج متعثّر لا یرقی إلی الاعتداد والوثوق به.

إذن من خلال ما تقدّم من ذکرنا لنماذج من کلمات الدکتور القفاری فی فصله الذی عقده للمهدویّة بان مدی الوهن والضعف الذی وقع وتخبّط فیه، ونعتقد أنّ الخلل هو فی المنهج الذی اتّبعه وسار علیه، فهو منهج متعثّر یشوبه الکثیر من عدم المصداقیّة فی الطرح وفی النقل من التراث الشیعی، فهناک هفوات وسقطات، ومجازفات وتناقضات، ومفارقات لا ترتقی إلی مستوی باحث ومحقّق ینشد الحقیقة بحیث یمکن الوثوق والاطمئنان بما یدّعیه (۲).

۱- قال علیّ ۷: «أیّها الناس، سلونی قبل أن تفقدونی، فلأنا بطرق السماء أعلم منّی بطرق الأرض». شرح نهج البلاغة، ابن أبی‌الحدید، ج ۲، ص ۱۳۰.

۲- أضف إلی ذلک الجهل الفاحش الذی حملته مفردات هذه الرسالة، والتی تثیر السخریة والاستهجان، نذکر منها علی سبیل المثال:

ص: ۴۳

فحاول جهـد إمكانه أن يشوّه المـذهب الشـيعى الإمامى بشتّى الوسائل، ولكن اتّضـح وسـيتّضح فى فصول هذا البحث مدى جهل هذا الإنسان بما يحويه هذا التراث الثرّ من صدق وأمانة ونقاء؛ لأنّ حقيقة أُصوله ومبادئه وفروعه مستقاة من شجرة، أصلها ثابت وفرعها فى السماء، فأصلها رسول الله (ص)، وفرعها عترته الطاهرة الذين أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

سبب اختيار البحث

جاء اختيارنا لهذا البحث لتسليط الضوء حول فكر سلفى متشدّد متأثّر بنخبة

ص: ۴۴

ومرجعيّة روّادها ابن تيميّة، وابن حزم، ومحبّ الدين الخطيب، وإحسان إلهى ظهير، وإبراهيم الجبهان. ونعتقد أنّ الدكتور القفارى بلور أفكار هذه النخبة- ولم يكن هو الوحيد فى صياغة هذه الأباطيل، بل إنّ هناك عملًا لجانيّاً منتخباً ومبرمجاً لخلق فتنة طائفيّة بين المسلمين- وألبسها ثوباً جديداً بعبارات فضفاضة، توحى للقارئ بأنّه يتحرّى الصدق والأمانة فيما ينقله عن أُصول مذهب الشيعة، لاسيما فى مسألة الإمام المهدى (عج)، وتوصّل من خلال تأثّره بتلك المرجعيّة التى تركت بصمات واضحة على سير بحثه وتحقيقه، إلى نتيجة مفادها: أنّ مذهب الإماميّة مبنيٌّ على خرافات، وأنّهم وضعوا الأحاديث والروايات من عند أنفسهم، وبنوا مذهباً يقوم على الأساطير.

وإليك بعض مفرداته فى هذا الجانب، قال: «وقد أجهد روّاد التشيّع أنفسهم فى نشر الخرافات والأساطير عن أئمّتهم فى ثوب قصصى مثير، أو فى خطبة أو فى شعر مبالغ فى الغلو فى مدح الأئمّة» (۱).

«وكيف يغيب المسؤول الأوّل عن الأُمّة هذه الغيبة الطويلة؟ أليس هذا كلّه دليلًا واضحاً جليّاً على أنّ حكاية الغيبة أُسطورة من الأساطير التى صنعها المرتزقة والزنادقة والحاقدون؟!» (۲).

«وكم هى معاناة أن تقرأ وتستمع لقوم أشقاهم الله فأضلّهم، وأعمى أبصارهم، فصاروا يتبعون إماماً معدوماً، ويقولون بكتاب موهوم، وجعفر مزعوم، وأساطير أُخرى» (۳).

«على أنّ واضعى هذه الأساطير هم قوم قد فرغت عقولهم ونفوسهم من

۱- أُصول مذهب الشيعة، ج ۳، ص ۱۴۰۶.

۲- المصدر نفسه، ج ۲، ص ۱۱۰۰.

۳- المصدر نفسه، ج ۳، ص ۱۵۴۱.

ص: ۴۵

العلم والإيمان، وشحنت بالحقد والتآمر على المصلحين والأخيار، وأرادوا الدخول على الناس لإفساد أمرهم من طريق التشيّع!» (۱).

والهدف بحسب رأيه هو: «تطلّع الشيعة إلى قيام كيان سياسي لهم مستقلّ عن دولة الإسلام، وهذا ما نلمسه في اهتمامهم بمسألة الإمامة» (۲).

ومن ثمّ ينهال على كبار علماء الشيعة بالقذف والسباب والشتائم والتكفير، وأقلّ ما تحلّى به من عبارات: «صاغرين، هربوا من الواقع إلى الآمال والأحلام»، و «النوكى» (۳)، و «من أخبث من سلك هذا الطريق شيخهم الخوئي»، و «شيوخ السوء أمثال المجلسي والكاشاني وغيرهم» (۴). وهلم جرّا من هذه السفاسف البشعة التي يندى لها الجبين!! فهل يا ترى هذه الكلمات تصدر عن عالم يدّعي التحقيق العلمي والأمانة والخلق؟!

وللأسف نجد أنّ هذه الأُطروحة كرّمت برتبة الشرف الأُولى، وروّج لها أصحاب هذا الفكر، بحيث أصبحت منهجاً تدريسيّاً في بعض الجامعات، وبدأت حملة لطبعها ونشرها في جميع الدول الإسلاميّة، وكذلك نشرها على شبكات الإنترنيت.

الهدف من البحث

فجاء هذا البحث لإماطة اللثام عن هذا المنهج الخطير، وأنّ روّاد هذه المرجعيّة لاعلاقة لها بالفكر العام للمذهب السنّي، فهذا الفكر محصور بهذه

۱- أُصول مذهب الشيعة، ج ۱، ص ۷۵.

۲- المصدر نفسه، ج ۲، ص ۱۰۰۹.

۳- المصدر نفسه، ج ۱، ص ۳۷۰، والأنوك: الأحمق، وجمعه النوكى. لسان العرب، ابن منظور، ج ۱۰، ص ۵۰۱.

۴- أُصول مذهب الشيعة، ج ۳، ص ۱۴۶۴.

ص: ۴۶

الطبقة، وهى ليست بالضرورة تمثّل النخبة الكبيرة من الطوائف السنّيّة، من الشوافع والأحناف والمالكيّة وكذلك الحنابلة، فهناك طبقة كبيرة لا تلتقى مع هـذا الفكر، وتشاطر إخواتها من الشيعة فى عقيدة الإمام المهدى (عج)، فبعض مفكّرى أهل السنّة اعتقدوا بخروجه وغيبته، كما سيأتى بيانه.

وأمّا هـذا المنهـج الـذى يرى أنّ كـلّ ما عـداه قائم على الخرافـة والأساطير، فيجب التفريق بينه وبين هـذه النخب، وأنّ مسألـة الإيمان بظهور المهـدى من آل محمّـد (ص) هى مسألـة إجماعيّـة، والشـيعة ترى أنّ الإمام المهدى (عج) حىّ يرزق، وسـيظهر فى آخر الزمان عنـدما تمتلىء الأـرض بـالظلم والطواغيت، فيأتى النـداء الإلهى بظهور مخلِّص ينقـذ الأُمّـة الإسـلاميّة من ذلك الفساد والظلم؛ لتشـرق الأرض بنور ربّها، وتسود منظومة العدل الإلهى بأجمل وأبهى صورها على يد قائدها المؤمّل والعدل المنتظر.

وهذا الإيمان إنّما ورثته واسـتقته الشـيعة من النصوص المتواترة والصـحيحة التى بشّر بها رسول الله (ص) قبل ولادته، فليس الأمر بهذه السذاجة والسـطحية التى تصوّر أنّ الشـيعة قد اختلقوا هذه الأُسـطورة على شـكل قصصـى؛ ليقيموا دولة مسـتقلّة عن دولة الإسـلام، بل الإسـلام الذى جاء به رسول الله (ص) هو من قرّر هذا الأمر بنصوص جليّة واضـحة، والشـيعة هى من التزمت بسـنّة رسول الله (ص) من خلال التمسّك بأقواله وأفعاله وتقريراته.

وأمّا الاهتمام بمسألـة الإمامـة التى أدرجها الدكتور القفارى فهذا لا علاقة له بقيام كيان شـيعى، فأىّ ربط بين الأمرين؟ بل الشـيعة ترى أنّ مسألـة الإمامـة هى مسألـة نصّ وتعيين؛ لأنّه لا يمكن أن يترك رسول الله (ص) أُمّته بلا وصـىّ، وهو الأمين على صـيانة رسالته من الانحراف؛ لأنّها لا زالت فتيّة، فهيهات أن يترك رسالته بدون أن يجد البديل له، فيختار بأمر الله سـبحانه وتعالى شـخصاً يرشّـحه عمق وجوده فى كيان الدعوة، فيعدّه إعداداً رساليّاً وقياديّاً خاصّاً،

ص: ۴۷

لتمثّل فيه المرجعيّة الفكريّة والزعامة السياسيّة للتجربة، وليواصل بعده قيادة الأُمّة وبناءها عقائديّاً، وتقريبها باستمرار نحو المستوى الذى يؤهّلها لتحمّل المسؤوليّات القياديّة؛ لأنّ الدعوة عمليّة تغيير، ومنهاج حياة جديد، وهى تستهدف بناء أُمّة من جديد، واقتلاع كلّ جذور الجاهليّة ورواسبها من وجودها.

ولم يكن هذا الشخص الداعية المرشّح للإعداد الرسالى القيادى، والمنصوب لتسلّم مستقبل الدعوة، وتزعمّها فكريّاً وسياسيّاً إلّا علىّ بن أبى طالب (ع)، فهو ربيبه الذى فتح عينيه فى حجره، ونشأ فى كنفه (۱)، وتهيّأت له من فرص التفاعل معه والاندماج بخطّه، ما لم يتوفّر لأىّ إنسان آخر (۲).

ونفس هذا النصّ على أمير المؤمنين يسرى على الأئمّة من بعده؛ لأنّهم الثقل الأصغر، الذى لا يفارق الكتاب ولا ينفكّ عنه، وهم الخلفاء الاثنا عشر الذين مهّد لهم رسول الله (ص) الخلافة والإمامة، أوّلهم أمير المؤمنين وآخرهم المهدى، وسيأتى الكلام مفصّلًا حول هذه النصوص.

منهجنا فی البحث

إذن سينحصر منهجنا لهذا البحث بقراءة تأصيليّة تحقيقيّة متأنّية لما أثاره الدكتور ناصر القفارى، وما ورثه من مرجعيّة سلفيّة متشدّدة؛ لدحض شبهاته وتشكيكاته- والتى نجدها بعيدة كلّ البعد عن حقائق التأريخ وثوابته ووثائقه، وجهله بمعرفة علم الحديث ودرايته وروايته وطرقه- بالتحليل والمناقشة والنقد

۱- الكنف: الجانب والناحية. لسان العرب، ج ۹، ص ۳۰۸ «كنف».

۲- نشأة التشيّع والشيعة، السيّد محمّد باقر الصدر، ص ۶۴.

ص: ۴۸

بموضوعيّة ومنهجيّة صحيحة، معتمدين فی ذلک الدليل النقلی الصحيح ووفق معايير أهل الفن والصناعة من کلا المدرستين، فقد وثّقنا الأدلّة من مصادرنا التی شکّک فيها، مدّعياً أنّه لم يعمد إلّا إلی کتبهم المعتمدة عندهم، فی النقل والاقتباس لتصوير المذهب (۱). ورکّزنا علی النقل من المصادر السنّيّة المعتبرة مع مراعاة الأقدميّة والأهمّيّة فی تسلسل المصادر، لکی يکون الدليل أمتن وأقوی.

وکذلک اعتمدنا علی أقوال علماء التأريخ والتراجم والسير، وأعطينا للعقل الدور والمساهمة فی ردع ما يراه غير منسجم مع معطياته وفطرته.

واتّبعنا أُسلوب الحوار العلمی المنطقی والإسلامی الحضاری، الذی ينأی عن التهجّم والسبّ والشتم، بعکس ما تناوله الدکتور فی منهجيّته العدوانيّة التکفيريّة، فأعطينا مساحة لاحترام ما يؤمن به من شخصيّات علمائيّة. وهذا هو ديدن الشيعة علی طول التأريخ.

وابتعدنا قدر الإمکان عن المسائل الفلسفيّة التی لا يؤمن بها المذهب السلفی، وترکنا الإطناب المخلّ والمملّ فی بعض الأحيان، وکذلک الاختصار الذی قد لا يوصل الفکرة بشکل کامل، فاقتصرنا فی أجوبتنا علی الشبهات علی القدر الذی يفنّدها بإمعان ودقّة علميّة، ووفق موازين ممنهجة يؤمن بها الخصم.

وجاءت أجوبتنا علی منهج توضيحی، وذلک من خلال بيان الشبهات ومرتکزاتها، ومن ثمّ الإجابة عليها، تارة بالنقض أو الحلّ، أو دمج کلا الأُسلوبين، أو بيانها بأُسلوب آخر.

وسيجد قارئنا العزيز مدی السذاجة فی هذا الفکر والاختلال والتناقض فی

۱- أُصول مذهب الشيعة، ج ۱، ص ۲۷.

ص: ۴۹

المنهج الذی سار علیه فی مسألة مهمّة ومحوریّة فی تأریخ البشریّة، ألا وهی مسألة المهدویّة والغیبة.

خطّة البحث

تعتمد خطّة بحثنا علی بحوث تمهیدیّة وفصول أربعة، وهی کالتالی:

البحوث التمهیدیّة:

فقد رأینا أن نذکر مقدّمة تمهیدیّة نبیّن فیها المنهجیّة الصحیحة للحوار، ومن ثمّ تطبیق هذه المنهجیّة علی کتاب الدکتور القفاری، فوجدنا أنّ هناک غیاباً کاملًا للمنهجیّة العلمیّة عنده، ولکی نثبت هذه الدعوی أخذنا عیّنات من تحقیقه لمسألة المهدویّة والغیبة، ونقدنا بعض تلک الأقوال بموضوعیّة وعلمیّة، لکی نعطی للقارئ فکرة- ولو جزئیّة- حول المنهج الذی قدّمه لنا القفاری فی مقدّمة کتابه، وأنّه لیس بذلک المستوی من الصدق والأمانة والموضوعیّة التی شرطها علی نفسه فی هذا الکتاب.

ثمّ ذکرنا سبب اختیارنا لهذا البحث، و الهدف منه، وماهیّة المنهج الذی نسیر علیه، وکذلک بیان خطّة البحث. وهذا النوع من البیان فیه فائدة کبیرة، وهی اطّلاع القارئ علی جزئیّات سیر البحث قبل أن یلج فی فصوله.

الفصل الأوّل: الشبهات التی أُثیرت حول أصل وجود الإمام المهدی (عج).

أ- الإمام المهدی (عج) شخصیّة خیالیّة أُسطوریّة رمزیّة.

ب- التعارض فی أحادیث الإمام المهدی (عج).

ج- عدم إخراج البخاری ومسلم أحادیث المهدی فی صحیحهما.

د- إنّ الإمام العسکری (ع) مات بلا عقب.

ه- اضطراب أمر الشیعة بعد وفاة الإمام العسکری (ع).

و- بطلان دعوی أنّ للإمام الحسن العسکری (ع) ولداً خفیّاً.

ص: ۵۰

الفصل الثانی: الشبهات التی أُثیرت حول أسباب نشوء الاعتقاد بالمهدویّة والغیبة.

أ- تطلّع الشیعة لقیام کیان سیاسی مستقلّ عن دولة الإسلام.

ب- القول بالمهدیّة ینشط ویکثر دعاته بعد وفاة کلّ إمام.

ج- سبب القول بالغیبة الرغبة فی الاستئثار بالأموال.

د- رجوع القول بالمهدیّة والغیبة إلی أُصول مجوسیّة.

ه- المقابلة بین عبد الله بن سبأ وعثمان بن سعید العمری.

و- سبأیّة عثمان بن سعید العمری.

ز- تسریب نظریّة المهدی والغیبة عن طریق حکیمة.

الفصل الثالث: الشبهات التی یلزم منها عدم التصدیق بالإمام المهدی (عج).

أ- التنافی بین علّة الغیبة- خوف القتل- وبین العلم بموته.

ب- غیبات بعض الأنبیاء لا تدلّ علی وقوع غیبة المهدی.

ج- استبعاد بقاء الإمام المهدی (عج) حیّاً کلّ هذه السنین.

د- دفع شبهة المقارنة بالهدایة.

ه- شبهة الدفاع عن الغیبة أبطلها الشیعة أنفسهم.

الفصل الرابع: الطعن والتشکیک بعدد أئمّة الشیعة، ومنهم الإمام الثانی عشر.

أ- أئمّة الشیعة ثلاثة عشر ولیس اثنی عشر.

ب- حصر الأئمّة بعدد معیّن لا یقبله العقل ومنطق الواقع.

ج- کتمان وسرّیّة مبدأ الإمامة یؤدّی إلی عدم تعیین أشخاص الأئمّة.

د- خلاصة البحث.

ه- کلمة خاتمة.

ص: ۵۱

شکر وتقدیر:

لا یسعنی وأنا أُقدّم هذا الکتاب لقارئی العزیز إلّا أن أشکر وأُثمّن کلّ من قدّم لی المعلومة وساهم فی إنجاز هذا البحث، وأخصّ بالذکر الأُستاذ الدکتور السیّد محمّد الحسینی القزوینی، فجزاه الله خیراً، وکذلک أتقدّم بالشکر لجمیع أساتذتی الذین نهلت من علمهم الفیّاض واقتبست من حکمتهم، والشکر موصول لجمیع الإخوة الذین بذلوا جهدهم فی مساعدتنا لإخراجه بهذه الحلّة والهیئة الجمیلة.

وأخیراً أسأل الله تبارک وتعالی أن یأخذ بأیدینا جمیعاً إلی ما فیه خیرنا وصلاحنا فی دیننا ودنیانا، إنّه ولیّ التوفیق والسداد.

ص: ۵۲

ص: ۵۳

ص: ۵۴

الفصل الأوّل: الشبهات المثارة حول أصل وجود الإمام المهدى (عج)

تمهيد

ذكر الدكتور ناصر القفارى مجموعة من الشبهات التى تجافى الحقيقة تماماً، وكذلك أورد مجموعة من القصص والاتّهامات جزافاً لا صلة لها بهذا الموضوع، وحاول أن يستخفّ بعقل القارئ ويستخفّ بطائفة كبيرة من المسلمين، لها مرتكزاتها الفكريّة والعقائديّة، ولها من الأدلّة التى استلهمتها من كتاب الله جلّ وعلا، وسنّة نبيّه (ص).

والطريف والملفت للنظر أنّه يستدلّ بكتب الشيعة وأقوال علمائهم- كالشيخ الطوسى والنعمانى، وكذلك الأشعرى القمّى والنوبختى- الذين من صلب عقيدتهم الإيمان بالإمام المهدى (عج) وغيبته، ليوحى للقارئ الكريم أنّهم على خلاف ما يقولون، وهذا إن دلّ على شىء فإنّما يدلّ على أمرين:

الأوّل: فقد الدليل والحجّة الصحيحة على ما يدّعى.

والثانى: الخلط والتلاعب بالألفاظ ليوهم القارئ بصدق ما يقول.

وعند مطالعة أدلّته نجد أنّه جعل نفسه وصيّاً على الشيعة ليتقوّل بنظريّات ما أنزل الله بها من سلطان، وليتهجّم على كبار علماء مذهب الشيعة- كالشيخ الكلينى والشيخ المفيد والشيخ الصدوق- رحمهم الله تعالى- الذين اعترف

ص: ۵۵

بعلمهم ووثاقتهم الخاصّ والعامّ، والقاصى والدانى.

لـذا نجد أنّ مجمل تحليلاته لم تكن ذات طابع علمى رصـين؛ وإنّما العصبيّة والمذهبيّة هى الطابع السائد فيما أورده فى كتابه، لاسـيما فى فصل المهديّة والغيبة.

وعليه سوف تكون إجابتنا مقتصرة على أهمّ النقاط الأساسيّة التى أثارها فى هذه المسألة، والتى يدور عليها محور البحث.

الإمام المهدى (عج) شخصيّة خياليّة أُسطوريّة رمزيّة

اشارة

قال فى فصل المهديّة والغيبة عند فرق الشيعة ج ۲، ص ۱۰۰۳:

«الفكرة عند الاثنى عشـريّة فتختلف من حيث إنّها ارتبطت عندهم بشخصيّة خياليّة، لا وجود لها عند أكثر فرق الشيعة المعاصرة لظهور هذه (الدعوى)، وهى عند أصحابها شخصيّة رمزيّة، لم يرها الناس، ولم يعرفوها، ولا يعلمون مكانها ...».

وكرّر نفس الكلام فى ص ۱۰۲۰ حيث قال:

«قصّـة المهـدى فى كتب الشـيعة قصّة غريبة، نسج الخيال خيوطها وبلغ مداه فى صـياغة أحداثها، وتحوّلت إلى أُسـطورة كبرى لا تجد إلى العقل منفذاً، ولا فى الفطر السليمة قبولًا ...».

الجواب: الإمام المهدى (عج) حقيقة وليس أُسطورة

المنكرون لفكرة المهدويّة

ليس غريباً أن نجـد القفارى يطعن بفكرة الإمام المهدى (عج)، فقد سـبقه غيره فى هذا المضـمار، وما هو إلّا مقلّد لأسـلافه، ولا أُغالى إذا قلت: إنّه صاغ تلك

ص: ۵۶

الأُحدوثة- بأنّ الشيعة اخترعت هذه الفكرة من ولادة و غيبة وغيرها من القصص- لينكر بذلك أصل ومنشأ فكرة الإيمان بالإمام المهدى (عج)؛ وذلك لأنّنا لم نجده يطرح الفكرة العامّة عند أهل السنّة، القائلة بولادته فى آخر الزمان، ومن تصفّح كتابه فى فصل «المهديّة والغيبة» وغيرها، يجد نفس الأُسلوب والنفس الذى اتّبعه منكرى أصل المهدويّة.

أضف إلى ذلك أنّ الذى يناقش ويفنّد أفكار الآخرين من المفروض أن يطرح ما يؤمن به؛ لكى يقارنه بما خالفه، وبذلك يثبت صحّة مدّعاه، وهذا ما لم يفعله الدكتور القفارى؛ ولعلّ- والله العالم- السبب فى ذلك هو عدم ورود أحاديث الإمام المهدى (عج) فى صحيح البخارى ومسلم، أو التعارض الواقع فى بعض الأحاديث- كما يُدّعى، والذى سنناقشه لاحقاً- فهو بذلك يطابق مقالة بعض منكرى المهدويّة، فلنتتبع بعض أقوال من سبقه لنرى مدى التطابق والوحدة بين الفكرين، ونذكر على سبيل المثال:

۱- ابن خلدون: قال ناقداً ومنكراً لأحاديث الإمام المهدى (عج): «فهذه جملة الأحاديث التى خرّجها الأئمّة فى شأن المهدى وخروجه آخر الزمان، وهى كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلّا القليل أو الأقلّ منه».

ثمّ ردّ هذا القليل أو الأقلّ الذى صرّح به، بقوله: «فإن صحّ ظهور هذا المهدى فلا وجه لظهور دعوته إلّا بأن يكون منهم [أى: من الفاطميّين القاطنين فى الحجاز وغيرهم] ويؤلّف الله بين قلوبهم ...» (۱).

وواضح من كلامه أنّه ينكر مهدويّة الإمام المهدى (عج) الذى هو من صلب

۱- تاريخ ابن خلدون، ج ۱، صص ۳۲۲ و ۳۲۷.

ص: ۵۷

الإمام الحسن العسكرى (ع) ومن ولد الحسين (ع) كما سيأتى.

۲- أحمد أمين: فى كتابه «ضحى الإسلام»، فقد زعم بأنّ فكرة المهديّة مأخوذة من عقائد الشيعة والقائلين برجعة الأئمّة، قال:

«وزاد القول بالمهدى وانتشر خاصّة بين الشيعة، ووضعت فيه الأحاديث المختلفة، ولم‌يروِ البخارى ومسلم شيئاً من أحاديث المهدى، ممّا يدلّ على عدم صحّتها عندهما» (۱).

وأحمد أمين نفسه قلّد واقتبس كلام ابن خلدون، الذى حاول أن ينكر هذه الأحاديث على منهج النقد لدى المحدّثين، وإن كان قد أخطأ فى تطبيق قواعدهم، وقد تصدّى العالم أحمد بن محمّد بن الصدّيق المغربى فى الردّ عليه برسالة أسماها: (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون)، وهى من روائع ما كتب حول هذه المسألة، وقد فنّد ما أورده ابن خلدون فى طعنه على الأحاديث الواردة فى الإمام المهدى (عج)، وأثبت صحّة تلك الأحاديث وتواترها.

۳- محمّد فريد وجدى: فى كتابه (دائرة معارف القرن العشرين)، قال: «هذا ما ورد من الأحاديث فى المهدى المنتظر، والناظرون فيها من أُولى البصائر لا يجدون فى صدورهم حرجاً من تنزيه رسول الله (ص) من قولها، فإنّ فيها من الغلو والخبط فى التواريخ، والإغراق فى المبالغة، والجهل بأُمور الناس، والبعد عن سنن الله المعروفة، ما يشعر المطالع لأوّل وهلة أنّها أحاديث موضوعة تعمّداً، وضعها رجال من أهل الزيغ، أو المتشايعين لبعض أهل الدعوة من طلبة الخلافة فى بلاد العرب أو المغرب ... إلى أن قال:

وقد ضعّف كثير من أئمّة المسلمين أحاديث المهدى واعتبروها ممّا لا يجوز النظر فيه، وإنّنا إنّما أوردناها مجتمعة؛ لتكون بمرأى من كلّ باحث فى

۱- ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج ۳، ص ۲۳۸.

ص: ۵۸

هذا الأمر، حتّى لا يجرأ بعض الغلاة على التضليل بها على الناس» (۱).

۴- سعد محمّد حسن: فى كتابه «المهديّة فى الإسلام»، قال:

«لقد كانت عقيدة المخلّص هذه- أكبر الظنّ- من أهمّ العوامل التى خلقت عقيدة المهدى فى المجتمع الإسلامى، فحيكت هذه على غرار تلك، أمّا حاكتها فهم الشيعة على يد ابن السوداء اليهودى المتمسلم، الغالى فى تشيّعه الموهوم ..» (۲).

وقال أيضاً: «ونحن لا نشكّ فى أنّ عقيدة العامّة من أهل السنّة، بل وكثير من الخاصّة إنّما هى أثر شيعى تسرّب إليهم، فعملت فيه العقليّة السنّية بالصقل والتهذيب» (۳).

۵- محمّد عبد الله عنان: فى كتابه «تراجم إسلاميّة»، قال فى صدد ذكره لابن تومرت، وأنّه قد انتحل له نسباً غير نسبه البربرى الحقيقى نسبة تنسبه إلى أهل البيت، فقال:

«ومع ذلك فإنّه نظراً لانتحاله صفة المهدى والإمام المعصوم لم يعدم رواية تنسبه لآل البيت؛ إذ لابدّ- وفقاً لأُسطورة المهدى المنتظر- أن يكون المهدى منهم» (۴).

نكتفى بهذه النماذج التى رفضت فكرة الإمام المهدى (عج)، والتى استقى منها القفارى نفس الأُسلوب والمنهج والطريق فى إنكار أصل المهدويّة.

عالميّة الإيمان بفكرة المنقذ والمخلّص

۱- دائرة معارف القرن العشرين، محمّد فريد وجدى، ج ۱۰، صص ۴۸۰ و ۴۸۱.

۲- المهديّة فى الإسلام، سعد محمّد حسن، ص ۴۴.

۳- المصدر نفسه، ص ۱۷۴.

۴- تراجم إسلاميّة، محمّد عبد الله عنان، ص ۲۳۷.

ص: ۵۹

إنّ الإيمان بفكرة ظهور إمام منقـذ ومخلّص للبشـرية فى آخر الزمان، ويتحقّق على يـديه إقامـة دولة العدل والمساواة، وذلك بالقضاء على الظلم والفساد فى جميع العالم.

هـذا الإيمـان وهـذه الفكرة قـد تمسّـكت بهـا معظم شـعوب الأـرض، واعتنقتهـا الأُمم على مرّ العصور، فقـد آمن بها اليهود، كما آمن النصارى بعودة عيسـى (ع)، وكذلك نجد فلاسـفة الغرب وعباقرته تؤمن بوجود منتظر مصلح يوحّد العالم على يديه، وستترسخ مبادئ الحبّ والإخاء فى دولته. ومن هؤلاء العلماء:

الفيلسوف الإنجليزى (برتراند راسل)، قال:

«إنّ العالم فى انتظار مصلح يوحِّد العالم تحت علم واحد وشعار واحد» (۱).

العالم (آينشتاين)، قال:

«إنّ اليوم الذى يَسُود العالم كلّه الصلح والصفاء، ويكون الناس مُتَحَابِّينَ مُتَآخِينَ ليس ببعيد» (۲).

إذن هناك حقيقة فطريّة أوجدها الله تعالى فى النفس البشريّة وهى تعيش فى أعماق عقولها، ويشعر بها الضمير الإنسانى، والعقل أيضاً يـدرك فى كينونته أنّ العالم قائم على موازين العدالة والحقّ، وإلّا لزم الفوضـى والعبثيّة، وهو محال فى ساحة قدسه تعالى، ومعلوم أنّ الإسلام يمثّل الرسالة العالميّة والرحمة الإلهيّة (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ۱۰۷).

فهذا الدين الذى أنقذ العالم من الجاهليّة وظلماتها سوف يعود مرّة أُخرى بمصـلح عالمى ينشـر العدالة الربّانيّة، ويقضـى على الفوضى والجهل، ويملأ

۱- حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدى [، أحمد حسين يعقوب، ص ۷۴.

۲- المصدر نفسه.

ص: ۶۰

الأرض قسطاً وعدلًا بعدما ملئت ظلماً وجوراً، قال تعالى: وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (القصص: ۵).

قال الإمام علیّ ۷: «لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها (۱) عطف الضروس (۲) على ولدها» ثمّ تلا ۷ الآية المتقدّمة وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ ..، وقد علّق ابن أبي الحديد قائلًا: «وأصحابنا يقولون: إنّه وعد بإمام يملك الأرض ويستولي على الممالك» (۳).

وما ذلك الإمام إلّا هو المهدى (عج) من ولد النبيّ الأكرم، قال (ص)- كما يروى الجوينى الشافعى شيخ الذهبى (۴)-: «والذى بعثنى بالحق بشيراً، لو لم يكن فى الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج منه ولدى المهدى، فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّى خلفه، فتشرق الأرض بنور ربّها، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب» (۵)، أى: يبلغ سلطانه جميع العالم شرقاً وغرباً،

۱- أى: بعد نفورها وإدبارها وإبائها وامتناعها، ومنه شمست الغرس؛ إذا لم تمكّن أحداً من ركوبها، أو إسراجها. انظر: لسان العرب: ج ۶، ص ۱۱۳ «شمس».

۲- الضروس: الناقة السيّئة الخلق تعضّ حالبها. كتاب العين، ج ۷، ص ۱۹ «ضرس».

۳- شرح نهج البلاغة، ج ۱۹، ص ۲۹.

۴- ترجمه الذهبى فى معجم شيوخه، فهو تلميذه، وهذا أمر فى غاية الأهمّيّة؛ إذ غالباً ما يُتّهم هذا الرجل بكونه شيعيّاً، وهذه تهمة باطلة لا أساس لها من الصحّة، فالذهبى المتشدّد يتتلمذ على يديه، ويمدحه ويطريه؛ بكونه الإمام الكبير وشيخ المشائخ وأنّه ذو دين؛ قال فى معجم شيوخه: «إبراهيم بن محمّد بن المؤيّد بن عبد الله بن علىّ بن محمّد بن حمويه الإمام الكبير المحدّث شيخ المشائخ، صدر الدين أبو الجامع الخراسانى الجوينى الصوفى ولد سنة أربع وأربعين وستمائة، وسمع بخراسان وبغداد والشام والحجاز، وكان ذا اعتناء بهذا الشأن».

۵- فرائد السمطين، الجوينى، ج ۲، ص ۳۱۲؛ ينابيع المودّة، القندوزى الحنفى، ج ۳، ص ۲۹۵.

ص: ۶۱

ويسود العدل تلك البقاع، ويقضى على الظلم بقيام دولته المباركة.

لذا نجد أنّ ابن خلدون رغم إنكاره لأحاديث الإمام المهدى (عج)، لكنّه يصرّح باتّفاق المسلمين على ظهور رجل من أهل البيت اسمه المهدى (عج)، قال: «إنّ فى المشهور بين الكافّة من أهل الإسلام على ممّر الأعصار، أنّه لابدّ فى آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيّد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولى على الممالك الإسلاميّة، ويسمّى بالمهدى، ويكون خروج الدجّال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة فى الصحيح على أثره، وأنّ عيسى ينزل من بعده» (۱).

وكذلك أحمد أمين بعد نقله اعتراف ابن خلدون الآنف الذكر، قال: «قد أحصى ابن حجر الأحاديث المرويّة فى المهدى، فوجدها نحو الخمسين» (۲).

إذن فالإيمان بظهور المنقذ والمخلِّص متّفق عليه بين المسلمين، وكلام ابن حجر على لسان أحمد أمين الذى أنكر هذه الفكرة، شهد بوجود خمسين حديثاً وبطرق مختلفة تؤكّد هذا المعنى؛ لذا نجد أنّ هناك من جعل المهدى (عج) من أشراط الساعة، وقد أُلّفت الكتب فى هذا المجال، وأثبتوا صحّة هذه الأحاديث وتواترها، كما سيأتى ذكره فى الأبحاث اللاحقة.

صحّة أحاديث الإمام المهدى (عج)

إنّ أحاديث الإمام المهدى (عج) استفاضت وتواترت ولا نغالى إذا قُلنا أنّ منكرها يعدّ منكراً للضروريّات والبديهيّات، وذلك لأنّ أحاديث المهدى كما يصفها الدكتور عبدالمحسن العبّاد (۳)، بلغت من الكثرة وتعدّد الطرق فى كتب

۱- تاريخ ابن خلدون، ج ۱، ص ۳۱۱.

۲- المهدى والمهدويّة، ص ۴۸. نقلًا عن المهدى المنتظر فى الفكر الإسلامى، ص ۱۰.

۳- أُستاذ فى الجامعة الإسلاميّة فى المدينة المنورة.

ص: ۶۲

ودواوين أهل السنّة بحيث لاينكرها إلّا جاهل أو مكابر. والتصديق بها من الإيمان بأنّ محمّداً هو رسول الله (ص)؛ لأنّ رسول الله (ص)، لا ينطق إلّا عن الوحى، والوحى غيب من الله تعالى. وعلى ضوء ذلك فالإيمان بها من الضروريّات، بل البديهيّات.

قال: «فإنّ أحاديث المهدى على كثرتها وتعدّد طرقها وإثباتها فى دواوين أهل السنّة، يصعب كثيراً القول بأنّه لا حقيقة لمقتضاها، إلّا على جاهل أو مكابر أو من لم يمعن النظر فى طرقها وأسانيدها، ولم يقف على كلام أهل العلم المعتدّ بهم فيها، والتصديق بها داخل فى الإيمان بأنّ محمّداً رسول الله (ص)؛ لأنّ من الإيمان به (ص) تصديقه فيم أخبر به، وداخل فى الإيمان بالغيب الذى امتدح الله المؤمنين به بقوله: الم* ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (البقرة: ۱ و ۲)» (۱).

إذن فدواوين ومصادر أهل السنّة ذكرت هذه الحقيقة، بل وصحّحتها، وإليك جملة منها:

۱- الترمذى (ت ۲۷۹ ه) فى «سننه»، صحّح ثلاثة أحاديث، ووصفها بالحسن الصحيح فى باب ما جاء فى المهدى (۲).

۲- الحاكم النيسابورى (ت ۴۰۵ ه) فى «المستدرك»، صحّح جملة من الأحاديث، ووصفها بكونها صحيحة على شرط الشيخين، ولم يخرجاه (۳).

۳- البيهقى (ت ۴۵۸ ه) نقل عبارته المزى فى «تهذيبه» حيث قال: «والأحاديث فى التنصيص على خروج المهدى أصحّ إسناداً. وفيها بيان كونه

۱- أُنظر: عقيدة أهل السنّة والأثر فى المهدى المنتظر، عبد المحسن العبّاد، ص ۱۶۰.

۲- سنن الترمذى، الترمذى، ج ۳، ص ۳۴۳.

۳- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابورى، ج ۴، صص ۴۶۳، ۵۰۲، ۵۵۴، ۵۵۷، ۵۵۸.

ص: ۶۳

من عترة النبيّ (ص)» (۱).

۴- البغوى (ت حدود ۵۱۰ ه أو ۵۱۶ ه) فى (شرح السنّة)، أخرج ثلاثة أحاديث، ثمّ صحّح الحديث الثالث بقوله: «هذا حديث صحيح أخرجه مسلم» (۲).

۵- القرطبى (ت ۶۷۱ ه) قال فى كتابه (التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة) فى كلامه على حديث «لا مهدى إلّا عيسى بن مريم»:

«إسناده ضعيف، والأحاديث عن النبيّ (ص) فى التنصيص على خروج المهدى من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصحّ من هذا الحديث، فالحكم لها دونه» (۳).

۶- ابن تيمية (ت ۷۲۸ ه) فى (منهاج السنّة)، قال فى معرض تعليقه على حديث «يخرج فى آخر الزمان رجل من ولدى، اسمه اسمى ..»: «إنّ الأحاديث التى يحتجّ بها على خروج المهدى أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذى وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره» (۴).

۷- الحافظ الذهبى (ت ۷۴۸ ه) سكت عن جميع ما صحّحه الحاكم فى (مستدركه) من أحاديث المهدى مصرّحاً بصحّة حديثين (۵). وسكوته يكشف عن موافقته للحاكم.

۸- المتّقى الهندى (ت ۹۷۵ ه) فى رسالته المسماة (الردّ على من حكم وقضى أنّ المهدى الموعود جاء ومضى)، قال: «اعلم رحمك الله، لا شكّ أنّ

۱- تهذيب الكمال، المزى، ج ۲۵، ص ۱۵۰.

۲- شرح السنّة، البغوى، ج ۱۵، صص ۸۴- ۸۷.

۳- التذكرة، القرطبى، ج ۲، ص ۶۱۷.

۴- منهاج السنّة، ابن تيميّة الحرّانى، ج ۸، ص ۲۵۴.

۵- التلخيص على المستدرك على الصحيحين، الذهبى، ج ۴، صص ۵۵۳ و ۵۵۸.

ص: ۶۴

وجود المهـدى الموعود ثبت بالأحـاديث والآثار نحو من ثلاثمائـة فصاعـداً» (۱). وواضـح أنّ هـذه الأحاديث والآثار بهـذا العدد فوق التواتر.

۹- ناصـر الدين الألبانى: ذكر فى مقال له بعنوان (حول المهدى) ما نصّه: «أمّا مسألة المهدى فليعلم أنّ فى خروجه أحاديث صـحيحة، قسم كبير منها له أسانيد صحيحة» (۲).

تواتر أحاديث المهدى (عج)

أمّا من قال بتواتر هذه الأحاديث، فإليك جملة من كبار علمائهم:

۱- الحافظ أبو الحسن محمّد بن الحسين الآبرى السجزى (ت ۳۶۳ ه):

قـال فى كتابه «مناقب الشافعى»: «وقـد تواترت الأخبار واسـتفاضت عن رسول‌الله (ص) بـذكر المهـدى، وأنّه من أهل بيته، وأنّه يملك سبع سنين، وأنّه يملأ الأرض عدلًا، وأنّ عيسى (ع) يخرج فيساعده على قتل الدجّال، وأنّه يؤمّ هذه الأُمّة ويصلّى عيسى خلفه، فى طول من قصّته وأمره» (۳).

۲- القرطبى المالكى (ت ۷۱۶ ه) فى تعليقه على حديث «المهدى هو عيسى فقط»، قال:

«الأخبار الصحاح قد تواترت على أنّ المهدى من عترة الرسول (ص)» (۴).

۳- الحافظ جمال الدين المزى (ت ۷۴۲ ه) نقل قول الآبرى وارتضاه، وهذا

۱- رسالـة فى الردّ على من حكم وقضـى أنّ المهدى الموعود جاء ومضـى، المتّقى الهندى، ص ۱۳۴. نقلًا عن كتاب المهـدى المنتظر فى ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة، عبد العليم البستوى، ص ۵۵.

۲- مجلّة التمدّن الإسلامى، دمشق شهر ذى القعدة- ۱۳۷۱ ه.

۳- تهذيب التهذيب، ج ۹، ص ۱۲۶.

۴- الجامع لأحكام القرآن، القرطبى، ج ۸، صص ۱۲۱ و ۱۲۲.

ص: ۶۵

كاشف عن إيمانه به (۱).

۴- ابن القيّم (ت ۷۵۱ ه) بعد أن نقل قول الآبرى ذكر الأحاديث الصحيحة التى تؤيّد قول الآبرى، وواضح أنّ كثرتها يدلّ على تواترها؛ لاستفاضتها وكثرة طرقها (۲).

۵- ابن حجر العسقلانى (ت ۸۵۲ ه) قال:

«قال أبو الحسن الخسعى [السجزى] الأبرى فى مناقب الشافعى: تواترت الأخبار بأنّ المهدى من هذه الأُمّة، وأنّ عيسى يصلّى خلفه، ذكر ذلك ردّاً للحديث الذى أخرجه ابن ماجة عن أنس، وفيه: ولا مهدى إلّا عيسى ..».

ثمّ قال: «وفى صلاة عيسى خلف رجل من هذه الامّة مع كونه فى آخر الزمان وقرب قيام الساعة، دلالة للصحيح من الأقوال أنّ الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجّة، والله أعلم» (۳).

۶- القاضى محمّد بن علىّ الشوكانى: كما فى «النظم المتناثر»، قال:

«والأحاديث الواردة فى المهدى التى أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً، فيها الصحيح والحسن، والضعيف المنجبر، وهى متواترة بلا شكّ ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها فى جميع الاصطلاحات المحرّرة فى الأُصول، وأمّا الآثار عن الصحابة المصرّحة بالمهدى فهى كثيرة أيضاً، لها حكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد فى مثل ذلك» (۴).

۷- الشيخ محمّد بن جعفر الكتّانى فى كتابه «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» ذكر من خرّج أحاديث الإمام المهدى (عج) من الصحابة، قال:

۱- تهذيب الكمال، القرطبى، ج ۲۵، ص ۱۴۹.

۲- المنار المنيف، ابن القيّم الجوزيّة، ج ۱، صص ۱۴۲- ۱۴۴.

۳- فتح البارى، ج ۶، ص ۳۵۹.

۴- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، محمّد جعفر الكتّانى، ص ۲۲۷.

ص: ۶۶

«خروج المهدى الموعود المنتظر الفاطمى [رويت] عن:

أ- ابن مسعود: أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة.

ب- وأُمّ سلمة: أخرجه أبو داود وابن ماجة والحاكم فى المستدرك.

ج- وعلى بن أبى طالب: أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة

د- وأبى سعيد الخدرى: أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة وأبو يعلى والحاكم فى المستدرك.

ه- وثوبان: أخرجه أحمد وابن ماجة والحاكم فى المستدرك.

و- وقرة بن إياس المزنى: أخرجه البزّار والطبرانى فى الكبير والأوسط.

ز- وعبد الله بن الحارث بن جزء: أخرجه ابن ماجة والطبرانى فى الأوسط.

ح- وأبى هريرة: أخرجه أحمد والترمذى وأبو يعلى والبزّار فى مسندهما، والطبرانى فى الأوسط وغيرهم.

ط- وحذيفة بن اليمان: أخرجه الروياني.

ى- وابن عبّاس: أخرجه أبو نعيم فى أخبار المهدى.

ك- وجابر بن عبد الله: أخرجه أحمد ومسلم، إلّا أنّه ليس فيه تصريح بذكر المهدى، بل أحاديث مسلم كلّها لم يقع فيها تصريح به.

ل- وعثمان: أخرجه الدارقطنى فى الإفراد.

م- وأبى أمامة: أخرجه الطبرانى فى الكبير.

ن- وعمّار بن ياسر: أخرجه الدارقطنى فى الإفراد، والخطيب وابن عساكر.

س- وجابر بن ماجد الصدفى: أخرجه الطبرانى فى الكبير.

ع- وابن عمر.

ف- وطلحة بن عبيد الله: أخرجهما الطبرانى فى الأوسط.

ص: ۶۷

ص- وأنس بن مالك: أخرجه ابن ماجة.

ق- وعبد الرحمان بن عوف: أخرجه أبو نعيم.

ر- وعمران بن حصين: أخرجه الإمام أبو عمرو الدانى فى سننه. وغيرهم».

ثمّ قال: «.. والحاصل: أنّ الأحاديث الواردة فى المهدى المنتظر متواترة، وكذا الواردة فى الدجّال، وفى نزول سيّدنا عيسى بن مريم (ع)» (۱).

۸- أحمد بن محمّد بن الصدّيق أبو الفيض الغمارى (ت ۱۳۸۰ ه) فى كتابه «إبراز الوهم المكنون فى كلام ابن خلدون» قال فى مقدّمته: «قد تواترت [الأخبار] بكونه من أعلام الساعة وأشراطها، وصحّت عن رسول الله (ص) فى ذلك الآثار، وشاع ذكره وانتشر خبره بين الكافّة من أهل الإسلام على ممرّ الدهور والأعصار، فالإيمان بخروجه واجب، واعتقاد ظهوره- تصديقاً لخبر الرسول- محتمّ لازب (۲)» (۳).

۹- ابن باز المفتى العام السابق فى المملكة العربيّة السعوديّة، ورئيس الجامعة الإسلاميّة فى المدينة المنوّرة، قال:

«إنّ أمر المهدى معلوم، والأحاديث فيه مستفيضة، بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها، وهى متواترة تواتراً معنوياً؛ لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها ورواتها وألفاظها، فهى بحقّ تدلّ على أنّ هذا

۱- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، صص ۲۲۶- ۲۲۹.

۲- اللازب: الثابت، وصار الشىء ضربة لازب، أى: لازماً. لسان العرب، ج ۱، ص ۷۳۸ «لزب».

۳- نقلًا عن مجلّة تراثنا، ص ۲۸، العدد الثالث، ۱۴۱۳ ه، مقال للسيّد محمّد رضا الجلالى بعنوان: نقد الحديث بين الاجتهاد والتقليد.

ص: ۶۸

الشخص الموعود به أمره ثابت، وخروجه حقّ» (۱).

إذن تواتر أحاديث الإمام المهدى (عج) واستفاضتها حقيقة ناصعة واضحة، قد اعترف بها معظم علماء المسلمين، ومن تنكّر لها ما هو إلّا شاذّ ونادر، فلا عبرة ولا قيمة ولاوزن لكلامه.

إنكار خروج الإمام المهدى (عج) موجب للكفر

روى ابن حجر العسقلانى فى لسان الميزان: عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول‌الله (ص): «من أنكر خروج المهدى فقد كفر بما أنزل على محمّد، ومن أنكر نزول عيسى فقد كفر، ومن أنكر خروج الدجّال فقد كفر» (۲).

وقد سُئل ابن حجر المكّى الشافعى عمّن أنكر المهدى الموعود به، فأجاب: «فإن كان لإنكار السنّة رأساً فهو كفر يقضى عليهم بكفرهم وردّتهم ..، وإن كان لا لإنكارهم لها وإنّما هو محض عناد لأئمّة الإسلام، فهو يقتضى تعزيرهم البليغ وإهانتهم بما يراه الحاكم لائقاً بعظيم جريمتهم ... من حبس وضرب وصفع وغيرها ممّا يزجرهم عن هذه القبائح» (۳).

وكذلك أفتى العلّامة يحيى بن محمّد الحنبلى بكفر من أنكر المهدى، فقال: «وأمّا من كذب بالمهدى الموعود به فقد أخبر عليه الصلاة والسلام بكفره» (۴).

النصوص المبشّرة بالإمام المهدى (عج) قبل ولادته

إنّ الإيمان بالإمام المهدى (عج) الذى تؤمن به الشيعة الإماميّة لم يكن خيالًا أو أُسطورة كما يزعم البعض؛ بل جاء على أثر النصوص الصحيحة والصريحة

۱- مجلّة الجامعة الإسلاميّة، السنة الأُولى، العدد ۳، صص ۱۶۱ و ۱۶۲.

۲- لسان الميزان، ابن حجر العسقلانى، ج ۵، ص ۱۳۰؛ ينابيع المودّة، ج ۳، صص ۲۹۵ و ۳۸۳.

۳- البرهان فى علامات صاحب الزمان، المتّقى الهندى، ص ۱۰۲.

۴- المصدر نفسه.

ص: ۶۹

التى تبشّر به وتتحدّث عنه، وأنّ الواقع يفرض وجوده، فيملأ الأرض عدلًا بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

ونقصد من تلك النصوص الروايات التى تحدّد شخصيّة الإمام وهويّته، وكونه من أهل البيت (عليهم السلام) ومن ولد رسول الله (ص)، ومن ولد فاطمة (س)، وأنّه من ولد الحسين (ع). ونستطيع أن نطلق على هذه الأحاديث ب- (الخاصّة)؛ وذلك لأنّها تحدّد وتضيّق دائرة ولادته المباركة فى أنّه من ولد النبىّ، ثمّ من ولد علىّ وفاطمة، ومن صلب الحسين، ومن ولد الحسن العسكرى (ع)، كما سيأتى.

وهناك أحاديث أُخرى كحديث «الاثنى عشر»، و «الثقلين»، وحديث «لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة»، وحديث «من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة»، وهذا ما نطلق عليه بالأحاديث «العامّة» التى تنصّ على أنّ هذا الإمام الذى هذه هويّته لابدّ من وجوده واستمرار حياته، وليس هناك تطبيقاً صحيحاً سوى ما تذهب إليه المدرسة الإماميّة، كما سيأتى.

الأحاديث الخاصّة التى تحدّد وتشخّص هويّة الإمام المهدى (عج)

المهدى من أهل البيت:

۱- أخرج أبو داود فى «سننه» وابن أبى شيبة فى مصنّفه، عن علىّ (ع) عن رسول‌الله (ص)، قال: «لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلًا من أهل بيتى يملأها عدلًا كما ملئت جوراً» (۱). والحديث سنده صحيح غير «فطر» فقد روى له البخارى فقط مقروناً.

وقال الطبرسى فى «مجمع البيان»- فى معرض تفسيره لقوله تعالى:

۱- سنن أبى داود، ابن الأشعث السجستانى، ج ۲، ص ۳۱۰؛ مصنّف، ابن أبى شيبة، ج ۸، ص ۶۷۹.

ص: ۷۰

الَّذِینَ یَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ وأنّ المراد بهم، کما عن أبی جعفر (ع)، أصحاب المهدی (عج) فی آخر الزمان-: «ویدلّ علی ذلک ما رواه الخاصّ والعام عن النبیّ (ص)، أنّه قال: «لو لم یبق من الدنیا إلّا یوم واحد ...» الحدیث (۱).

طعن ابن خلدون فی هذا الحدیث وجوابه

وقد تکلّم ابن خلدون عن هذا الحدیث؛ لأنّ فی سنده فطر بن خلیفة، حیث قال: «وقطن بن خلیفة وإن وثّقه أحمد ویحیی [و] ابن القطّان وابن معین والنسائی وغیرهم، إلّا أنّ العجلی قال: حسن الحدیث، وفیه تشیّع قلیل» (۲).

نقول: أوّلًا: الاسم هو (فطر) ولیس (قطن)، وقد وثّق، وهذا واضح لمن تتبّع ترجمته، ولا نعلم کیف وقع هذا الخلط من ابن خلدون؟

ثانیاً: قال المزی فی «تهذیبه»: «قال عبد الله بن حنبل عن أبیه: ثقة صالح الحدیث، قال: وقال أبی: کان فطر عند یحیی بن سعید ثقة، وقال أبو بکر بن أبی خیثمة، عن یحیی بن معین: ثقة، وقال العجلی: کوفی ثقة، حسن الحدیث.

وقال أبو حاتم: صالح الحدیث، کان یحیی بن سعید یرضاه ویحسن القول فیه، ویحدّث عنه، وقال النسائی: لیس به بأس، وقال فی موضع آخر: ثقة حافظ کیّس» (۳).

وقال العظیم آبادی: «وثّقه أحمد بن حنبل ویحیی بن سعید القطّان ویحیی بن معین والنسائی والعجلی وابن سعد والساجی، وقال أبو حاتم: صالح الحدیث، وأخرج له البخاری. ویکفی توثیق هؤلاء الأئمّة لعدالته، فلا یلتفت إلی قول ابن یونس وأبی بکر بن عیّاش الجوزجانی فی تضعیفه؛ بل هو قول

۱- مجمع البیان، الطبرسی، ج ۷، ص ۱۲۰.

۲- تاریخ ابن خلدون، ج ۱، ص ۳۱۳.

۳- تهذیب الکمال، ج ۲۳، صص ۳۱۴ و ۳۱۵.

ص: ۷۱

مردود. والله أعلم» (۱).

إذن الرجل موثّق ورواياته معتبرة ولا عبرة بقول ابن خلدون وغيره.

۲- روى أبو يعلى وابن حبّان والحاكم النيسابورى عن أبى سعيد، قال: قال رسول‌الله (ص): «لا تقوم الساعة حتّى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً، ثمّ يخرج رجل من أهل بيتى، فيملأها قسطاً وعدلًا كما ملئت ظلماً وعدواناً» (۲).

وهذا الحديث صحّحه الحاكم النيسابورى قائلًا: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» (۳).

۳- روى المقدسى الشافعى فى «عقد الدرر» عن علىّ (ع) أنّه قال للنبىّ (ص): «أمِنَّا آل محمّد المهدى أم من غيرنا يا رسول الله؟ قال: بل منّا، يختم الله به كما فتح بنا ربّنا، يستنقذون من الفتنة كما أُنقذوا من الشرك، وبنا يؤلّف الله بين قلوبهم بعد عداوة الشرك، وبنا يصبحون بعد عداوة الفتنة إخواناً، كما أصبحوا بعد عداوة الشرك إخواناً فى دينهم».

ثمّ عقّب عليه، حيث قال: «أخرجه جماعة من الحفّاظ فى كتبهم، منهم أبو القاسم الطبرانى، وأبو نعيم الأصبهانى، و عبد الرحمن بن أبى حاتم، وأبو عبد الله نعيم بن حمّاد، وغيرهم، وفيه: «أمِنّا المهدى أو من غيرنا؟ بل منّا، يختم الله به الدين، كما فتحه بنا»، وزاد فى روايته الثانية: «وبنا ينقذون من الفتن، كما أُنقذوا من الشرك» ... (۴).

وعن الشافعى فى كتابه «البيان فى أخبار صاحب الزمان»: «قلت: هذا

۱- عون المعبود، العظيم آبادى، ج ۱۱، ص ۲۵۱.

۲- مسند، أبو يعلى الموصلى، ج ۲، ص ۲۷۵؛ صحيح، ابن حبّان: ج ۱۵، ص ۲۷۵؛ المستدرک على الصحيحين، ج ۴، ص ۵۵۷.

۳- المستدرک على الصحيحين، ج ۴، ص ۵۵۷.

۴- عقد الدرر، المقدّسى الشافعى، صص ۲۵ و ۱۴۲.

ص: ۷۲

حدیث حسن عال، رواه الحفّاظ فی کتبهم» (۱).

المهدی (عج) من ولد النبیّ (ص)

۱- أخرج أبو داود فی «سننه»، والطبرانی بنفس المعنی عن أبی سعید الخدری، عن النبیّ (ص): «المهدی منّی، أجلی الجبهة (۲)، أقنی الأنف (۳)، یملأ الأرض قسطاً وعدلًا کما ملئت ظلماً وجوراً، یملک سبع سنین» (۴).

قال المبارکفوری فی «تحفة الأحوذی»: «أمّا حدیث أبی سعید فأخرجه أبو داود عنه مرفوعاً: «المهدی منّی، أجلی الجبهة، أقنی الأنف، یملأ الأرض قسطاً وعدلًا کما ملئت ظلماً وجوراً، ویملک سبع سنین»، قال المنذری: فی إسناده عمران القطّان، وهو أبو العوّام عمران بن داود القطّان البصری، استشهد به البخاری، ووثّقه عفّان بن مسلم، وأحسن علیه الثناء یحیی بن سعید القطّان» (۵). إذن فالحدیث صحیح.

۲- روی الجوینی الشافعی فی «فرائد السمطین»، والقندوزی الحنفی فی (ینابیع المودّة) عن أمیر المؤمنین (ع)، عن رسول الله (ص) قال: «المهدی من ولدی تکون له غیبة وحیرة، تضلّ فیها الأُمم، یأتی بذخیرة الأنبیاء، فیملأها عدلًا وقسطاً کما ملئت جوراً وظلماً» (۶).

۱- البیان فی أخبار صاحب الزمان، الکنجی الشافعی، ص ۶۶.

۲- أجلی الجبهة: أی الخفیف شعر مابین النزعتین من الصدغین، والذی انحسر الشعر عن جبهته. لسان العرب، ج ۱۴، ص ۱۵۱ «جلا».

۳- القنا: احدیداب فی وسط الأنف، وقیل: القنا فی الأنف: طوله ورقّة أرنبته مع حدب فی وسطه. الصحاح، ج ۶، ص ۲۴۶۹؛ مجمع البحرین، ج ۳، ص ۱۵۱۹ «قنا».

۴- سنن أبی داود، ج ۲ ص ۳۱۰؛ المعجم الأوسط، الطبرانی، ج ۹، ص ۱۷۶.

۵- تحفة الأحوذی، المبارکفوری، ج ۶، ص ۴۰۳.

۶- فرائد السمطین، ج ۲، ص ۳۳۵؛ ینابیع المودّة، القندوزی الحنفی، ج ۳، ص ۲۹۶.

ص: ۷۳

المهدی (عج) من ولد فاطمة (س)

قبل الورود فی ذکر الأحادیث نلفت النظر إلی قول ابن حجر الهیتمی فی «صواعقه»، عند تعلیقه علی الأحادیث الواردة فی زواج علیّ من فاطمة (س): «وقد ظهرت برکة دعائه فی نسلهما، فکان منه من مضی ومن یأتی، ولو لم یکن فی الآتین إلّا الإمام المهدی لکفی، وسیأتی فی الفصل الثانی جملة مستکثرة من الأحادیث المبشّرة به، ومن ذلک ما أخرجه مسلم وأبو داود والنسائی وابن ماجة والبیهقی وآخرون: «المهدی من عترتی من ولد فاطمة» ...» (۱).

فالظاهر أنّ مسلم فی «صحیحه» أخرج هذا الحدیث حسب شهادة ابن حجر المتقدّمة، ومن البعید أن یقع السهو منه، فهو ذلک الحافظ المدقّق الذی یتحرّی الأحادیث فی مضانّها، ولکن هذا لا یضرّ بلحاظ الأحادیث الصحیحة التی سوف تأتی، وإن لم یذکرها مسلم والبخاری، فالعبرة بصحّة الحدیث ولحاظ رواته وطرقه، وإن خلا منهما.

فهذا الحدیث أخرجه بطریق صحیح ابن ماجة وأبو داود فی «السنن»، والطبرانی فی «معجمه»، والحاکم النیسابوری فی «مستدرکه»: عن أُمّ سلمة، عن النبیّ (ص) أنّه قال: «المهدی من ولد فاطمة» (۲).

وهذا الحدیث صحّحه الألبانی فی «صحیح سنن ابن ماجة» (۳).

وکذلک أخرجه البخاری فی «تأریخه» عن أُمّ سلمة عن النبیّ (ص): «المهدی

۱- الصواعق المحرقة، ج ۲، ص ۴۷۲.

۲- سنن، ابن ماجة، ج ۲، ص ۱۳۶۸؛ سنن، أبی داود، ج ۲، ص ۳۱۰؛ المعجم الکبیر، ج ۲۳، ص ۲۶۷؛ المستدرک علی الصحیحین، ج ۴، ص ۵۵۷.

۳- صحیح سنن ابن ماجة، الألبانی، ج ۲، ص ۳۸۹.

ص: ۷۴

حقّ، وهو من ولد فاطمة» (۱). وكذلك عن ابن المسيّب: «المهدی من ولد فاطمة» (۲).

وقال السيوطی فی «الجامع الصغير»: «ولأبی داود وابن ماجة، وللحاكم فی مستدركه، كلّهم عن أُمّ سلمة، حديث صحيح» (۳)، وصحّحه الألبانی (۴).

وقال العجلونی- بعد أن أورد حديث «المهدی من ولد فاطمة»-: «ورد ذكره فی أحاديث أفردها بعض الحفّاظ بالتأليف، منهم: الحافظ السخاوی فی كتاب سمّاه «ارتقاء الغرف»، ومنهم: ابن حجر الهيتمی فی جزء سمّاه «القول المختصر فی أحوال المهدی المنتظر»، وكذلك ذكر كثيراً منها فی الفتاوی الحديثيّة، وكذلك شيخنا البرزنجی فی «الإشاعة»، فمن تلك الأحاديث: ما أخرجه أبو داود وابن ماجة عن أُمّ سلمة مرفوعاً: «المهدی من ولد فاطمة».» (۵).

وأخرج نعيم بن حمّاد فی الفتن و أبو عمرو الدانی فی «سننه» بسند صحيح عن عبد الرزاق، عن معمر، عن سعيد بن أبی عروبة، عن قتادة، قال: «قلت لسعيد بن المسيّب: المهدی حقّ؟ قال: حقّ، قال: قلت: ممّن هو؟ قال: من قريش، قلت: من أیّ قريش؟ قال: من بنی هاشم، قلت: من أیّ بنی‌هاشم؟ قال: من بنی‌عبد المطلب، قلت: من أیّ عبدالمطلب؟ قال: من ولد فاطمة» (۶).

۱- التأريخ الكبير، البخاری، ج ۳، ص ۳۴۶.

۲- المصدر نفسه، ج ۸، ص ۴۰۶.

۳- الجامع الصغير، السيوطی، ج ۲، ص ۶۷۲.

۴- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته، الألبانی، ج ۱، ص ۱۱۶۸.

۵- كشف الخفاء، العجلونی، ج ۲، ص ۲۸۸.

۶- الفتن، نعيم بن حمّاد، ص ۲۲۸؛ السنن الواردة فی الفتن، أبو عمرو الدانی، صص ۱۰۵۰ و ۱۰۵۷.

ص: ۷۵

وقال السیّد محمّد بن رسول البرزنجی الشافعی:

«وأمّا نسبه فإنّه من أهل بیت النبیّ (ص)، ثمّ الذی فی الروایات الکثیرة الصحیحة الشهیرة أنّه من ولد فاطمة (س)» (۱).

المهدی من ولد علیّ (ع)

۱- أخرج الطبرانی فی «المعجم الأوسط»، ونقل عنه الهیثمی فی «مجمع الزوائد»:

عن نافع، عن ابن عمر، قال: «کان رسول الله (ص) جالساً فی نفر من المهاجرین والأنصار، علیّ بن أبی طالب عن یساره، والعباس عن یمینه، إذ تلاحی (۲) العبّاس ورجل من الأنصار، فأغلظ الأنصاری للعبّاس، فأخذ رسول الله (ص) بید العبّاس ویدعلیّ، فقال: «سیخرج من صلب هذا [یعنی العباس] فتی یملأ الأرض جوراً وظلماً، وسیخرج من صلب هذا [یعنی علیّ بن أبی طالب (ع)] فتی یملأ الأرض عدلًا وقسطاً، فإذا رأیتم ذلک فعلیکم بالفتی التمیمی، فإنّه یقبل من المشرق، وهو صاحب رایة المهدی» ...» (۳).

وقال السیوطی فی «الحاوی للفتاوی»: «أخرج الطبرانی فی الأوسط عن ابن عمر، أنّ النبی (ص) أخذ بید علیّ، فقال: «سیخرج من صلب هذا فتی یملأ الأرض قسطاً وعدلًا» ...» (۴).

۲- روی الجوینی فی «فرائد السمطین» بسنده عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله: «إنّ علیّ بن أبی طالب إمام أُمّتی وخلیفتی علیها

۱- الإشاعة فی أشراط الساعة، محمّد بن رسول البرزنجی، ص ۸۸.

۲- تلاحی الرجلان: تشاتما. لسان العرب، ج ۱۵، ص ۲۴۲ «لحو».

۳- المعجم الأوسط، الطبرانی، ج ۴، ص ۲۵۶؛ مجمع الزوائد، الهیثمی، ج ۷، صص ۳۱۷ و ۳۱۸.

۴- الحاوی للفتاوی، السیوطی، ج ۲، ص ۵۹.

ص: ۷۶

بعدی، ومن ولده القائم المنتظر، الذی یملأ به الأرض قسطاً وعدلًا کما ملئت جوراً وظلماً، والذی بعثنی بالحقّ بشیراً ونذیراً، إنّ الثابتین علی القول بإمامته فی زمان غیبته لأعزّ من الکبریت الأحمر». فقام إلیه جابر بن عبد الله الأنصاری، فقال: یا رسول الله، وللقائم من ولدک غیبة؟ قال: «إی وربّی؛ لیمحّص الله الذین آمنوا ویمحق الکافرین، یا جابر، إنّ هذا الأمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله، علمه مطوی عن عباده، فإیّاک والشکّ فیه، فإنّ الشکّ فی أمر الله عزّوجلّ کفر» (۱).

۳- وروی ابن حمّاد المروزی فی الفتن عن علیّ (ع) قال: «هو رجل منّی» (۲).

وهذه الأحادیث وإن نوقش فی بعضها، ولکنّها صحیحة حتّی لو غضضنا الطرف عن سندها؛ لأنّ الأحادیث التی ذکرت أنّ «المهدی من ولد فاطمة» کما ستأتی لاحقاً، قد رویت بأسانید صحیحة لا یشکّ فیها أحد. وکونه من ولد فاطمة (س) یستلزم أنّه من ولد علیّ (ع) بالبداهة.

المهدی من ولد الحسین (ع)

۱- أخرج الدار قطنی فی کتابه «الجرح والتعدیل» کما فی «البیان فی أخبار صاحب الزمان» للکنجی الشافعی و «الفصول المهمّة» لابن الصبّاغ المالکی و «فضائل الصحابة» للسمعانی، علی ما فی «ینابیع المودّة» للقندوزی (۳)، عن سلمان الفارسی، وأبی سعید الخدری، وأبی أیّوب

۱- فرائد السمطین، الجوینی الشافعی، ج ۲، ص ۳۳۵؛ ینابیع المودّة، ج ۳، ص ۲۹۶.

۲- الفتن، ص ۲۲۸.

۳- هو: سلیمان بن خوجة إبراهیم قبلان الحسینی الحنفی القندوزی، فاضل، من أهل بلخ، مات فی القسطنطینیّة. له (ینابیع المودّة) فی شمائل الرسول ۹ وأهل البیت. انظر: الأعلام، ج ۳، ص ۱۲۵.

ص: ۷۷

الأنصاری، وابن عباس، عن رسول الله (ص)، أنّه قال:

«یا فاطمة، إنّا أهل بیت اعطینا ستّ خصال لم یعطها أحد من الأوّلین، ولا یدرکها أحد من الآخرین غیرنا أهل البیت: نبیّنا خیر الأنبیاء وهو أبوک .. ومنّا مهدیّ الامّة الذی یصلّی عیسی خلفه»، ثمّ ضرب علی منکب الحسین ۷، فقال: «من هذا مهدیُّ الامّة» (۱).

۲- وفی (عقد الدرر) للمقدسی الشافعی (۲): عن الإمام الباقر (ع) فی حدیث

۱- الدارقطنی کما فی البیان فی أخبار صاحب الزمان للکنجی الشافعی، صص ۵۶ و ۵۷؛ الفصول المهمّة، ابن الصبّاغ المالکی، ص ۱۱۱۴؛ فضائل الصحابة، للسمعانی علی ما فی ینابیع المودة، ج ۳، ص ۳۹۴.

۲- هو: قاضی القضاة بهاء الدین (بدر الدین) أبی الفضل یوسف بن یحیی بن محمّد بن علیّ بن محمّد بن یحیی بن علیّ بن عبد العزیز الشافعی، الدمشقی المولد والدار والوفاة، المشتهر بالزکی أو ابن الزکی (۶۴۰- ۶۸۵ ه). وقد حدث حذف واختصار فی نسب المؤلّف، ومن جرّائه التبس الأمر علی بعضهم. وبیت الزکی من البیوت العلمیّة فی دمشق فی القرنین السادس والسابع، أنجبت علماء وقضاة ومحدّثین وفقهاء، وترجم له السبکی فی الطبقتین، وقال فی الکبری منهما، ج ۸، ص ۳۶۵: وکان فقیهاً فاضلا مفتیاً، متوقّد الذهن، سریع الحافظة، مناظراً محجاجاً، أخذ العلوم عن القاضی کمال الدین التفلیسی وعن والده، وقیل: وکان أفضل من أبیه ... سمع منه الحافظ علم الدین البرزالی وغیره، وولی قضاء دمشق ... وله ترجمة فی العبر فی خبر «من غبر»، ج ۵، ص ۳۶۵؛ البدایة والنهایة، ج ۱۳، ص ۳۰۸؛ طبقات الشافعیّة، لابن قاضی شهبة، ج ۲، ص ۲۶۷؛ النجوم الزاهرة، ج ۷، ص ۳۷۰؛ شذرات الذهب، ج ۵، ص ۳۹۴.

ص: ۷۸

طويل جاء فيه: «والمهدى- يا جابر- رجل من ولد الحسين» (۱).

۳- وفى كتاب (الفتن) لابن حمّاد المروزى عن عبد الله بن عمرو، قال: «يخرج رجل من ولد الحسين، من قبل المشرق لو استقبلته الجبال لهدّها واتّخذ فيها طرقاً» (۲).

۴- وفى (ينابيع المودّة) للقندوزى الحنفى عن علىّ قال: قال رسول‌الله (ص):

«لا تذهب الدنيا حتّى يقوم بأُمّتى رجل من ولد الحسين يملأ الأرض عدلًا كما ملئت ظلماً» (۳).

إذن ممّا تقدّم من الأحاديث اتّضح أنّ هويّة الإمام المهدى (عج) مشخّصة واضحة، لايمكن الشكّ والتردّد فيها، وهو كونه من ولد النبىّ (ص)، ومن ولد علىّ، من ولد فاطمة، ومن ذرّيّة الحسين (ع).

الأحاديث العامّة الدالّة على هويّته واستمرار وجوده (عج)

اشارة

ومن النصوص التى تدلّ على هويّته بشكل عام واستمرار وجوده وبقائه حيّاً، هو ما أخبر به رسول الله (ص) فى جملة من الأحاديث نذكر منها:

۱- حديث الاثنى عشر خليفة

اشارة

أ- روى البخارى فى «الصحيح» فى كتاب الأحكام عن جابر بن سمرة،

۱- عقد الدرر، ص ۱۲۶.

۲- الفتن، ص ۲۲۹.

۳- ينابيع المودّة، ج ۳، صص ۲۹۰ و ۲۹۱.

ص: ۷۹

قال: سمعت النبیّ (ص) یقول: «یکون اثنا عشر أمیراً»، فقال کلمة لم أسمعها، فقال لی أبی: إنّه قال: «کلّهم من قریش» (۱).

ب- وروی مسلم فی «الصحیح» فی کتاب الإمارة عن جابر بن سمرة، قال: سمعت النبیّ (ص) یقول: «لا یزال أمر الناس ماضیاً ما ولیهم اثنا عشر رجلًا»، ثمّ تکلّم النبیّ (ص) بکلمة خفیت علیّ، فسألت أبی: ماذا قال رسول الله؟ فقال: «کلّهم من قریش» (۲).

وروی أیضاً عن جابر بن سمرة، قال: دخلت مع أبی علی النبیّ (ص) فسمعته یقول: «إنّ هذا الأمر لا ینقضی حتّی یمضی فیهم اثنا عشر خلیفة»، قال: ثمّ تکلّم بکلام خفی علیّ. قال: فقلت لأبی: ما قال؟ قال: «کلّهم من قریش» (۳).

ج- وروی الترمذی فی «السنن» کتاب الفتن عن جابر بن سمرة، قال:

قال رسول الله (ص): «یکون من بعدی اثنا عشر أمیراً»، قال: ثمّ تکلّم بشیء لم أفهمه، فسألت الذی یلی، فقال: «کلّهم من قریش»، وقال الترمذی معلّقاً: هذا حدیث حسن (۴).

د- وروی أبو داود فی «السنن» عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله (ص) یقول: «لا یزال هذا الدین قائماً حتّی یکون علیکم اثنا عشر خلیفة کلّهم تجتمع علیه الأُمّة»، فسمعت کلاماً من النبیّ (ص) لم أفهمه، قلت لأبی: ما یقول؟ قال: «کلّهم من قریش» (۵).

وفی روایة أُخری عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله (ص): «لا

۱- صحیح البخاری، ج ۸، ص ۱۲۸.

۲- صحیح مسلم، ج ۶، ص ۳.

۳- المصدر نفسه.

۴- سنن الترمذی، ج ۳، ص ۳۴۰.

۵- سنن أبی داود، ج ۲، ص ۳۰۹.

ص: ۸۰

يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة»، فكبّر الناس وضجّوا، ثمّ قال كلمة خفيت عليّ، قلت لأبى: يا أبتِ، ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش» (۱).

ه- وروى أبو يعلى فى «مسنده»، والطبرانى فى «المعجم الكبير»، والحاكم النيسابورى فى «مستدركه»:

عن الشعبى، عن مسروق، قال: «كنّا جلوساً عند ابن مسعود ليلة بالمغرب وهو يقرئنا القرآن، فسأله رجل: يا أبا عبد الرحمن، أسألتم رسول الله (ص) كم يملك هذه الأُمّة من خليفة؟ فقال ابن مسعود: ما سألنى مذ قدمت العراق قبلك، قال: نعم، سألنا رسول‌الله (ص)، فقال: «اثنا عشر عدّة نقباء بنى إسرائيل». ..» (۲).

وعلى ضوء هذه الأحاديث نستنتج ما يلى:

أوّلًا: حصر الأئمّة باثنى عشر خليفة.

ثانياً: إنّ هؤلاء الأئمّة هويّتهم أنّهم من قريش؛ بل ومن بنى هاشم تحديداً، كما روى ذلك عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة:

كنت مع أبى عند رسول الله (ص) فسمعته يقول: «بعدى اثنا عشر خليفة»، ثمّ أخفى صوته، فقلت لأبى: ما الذى [قال فى] أخفى صوته؟ قال: قال: «كلّهم من بنى‌هاشم» (۳).

ثالثاً: إنّ اختياره (ص) للمقارنة بينهم وبين عدّة نقباء بنى إسرائيل فيه دلالة واضحة على أنّ خلافتهم ليست بانتخاب من الناس، بل تعيين من الله، فقد قال الله تعالى عن النقباء: وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً (المائدة: ۱۲).

۱- المصدر نفسه.

۲- مسند أبى يعلى، ج ۹، ص ۲۲۲؛ المعجم الكبير، ج ۱۰، ص ۱۵۸؛ المستدرك على الصحيحين، ج ۴، ص ۵۰۱.

۳- ينابيع المودّة، ج ۲، ص ۳۱۵.

ص: ۸۱

رابعاً: عدم خلو الزمان منهم؛ لأنّ قيام الدين وعزّته مقرونة بهم (عليهم السلام)، بضميمة حديث الثقلين- كما سيأتى الكلام فيه لاحقاً- الذى يشير إلى عدم انفكاك العترة عن الكتاب، فالعترة خالدة بخلوده، وكذلك ما ورد عن أمير المؤمنين علىّ (ع): «إنّ الأرض لا تخلو من قائم لله بحجّة» (۱). كما سيأتى الكلام عن هذه الأحاديث بالتفصيل.

وممّا تقدّم يأتى السؤال القهرى: هل يوجد خلفاء فيهم هذه المزايا؟ وهل تحقّقت عزّة الإسلام وأهدافه فى خلافة معاوية وابنه يزيد وأمثالهما فى الدولتين الأُمويّة والعباسيّة؟ أم أنّ هناك أئمّة تصدق وتطبّق عليهم هذه الأحاديث؟

الأئمّة الاثنا عشر هم أهل البيت (عليهم السلام)

روى من طرق أهل السنّة فى «ينابيع المودّة» عن أبى الطفيل عامر بن وائلة عن علىّ (ع) أنّه قال: قال رسول الله (ص): «يا علىّ، أنت وصيّى، حربك حربى وسلمك سلمى، وأنت الإمام وأبو الأئمّة الإحدى عشر الذين هم المطهّرون المعصومون، ومنهم المهدى الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلًا» (۲).

وقال أيضاً: قال رسول الله (ص): «الأئمّة من بعدى اثنا عشر، أوّلهم أنت يا علىّ، وآخرهم القائم» (۳).

وروى الحموينى فى فرائد السمطين عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله (ص): «أنا سيّد النبيّين، وعلىّ بن أبى طالب سيّد الوصيين، وأنّ أوصيائى اثنا

۱- فتح البارى، ج ۶، ص ۳۵۱.

۲- ينابيع المودّة، ج ۱، ص ۲۵۳.

۳- المصدر نفسه، ج ۳، ص ۳۹۵.

ص: ۸۲

عشر، أوّلهم علىّ بن أبى طالب، وآخرهم القائم» (۱).

وروى عن ابن عبّاس أيضاً عن رسول الله (ص) قال: «إنّ خلفائى وأوصيائى وحجج الله على الخلق بعدى الاثنا عشر، أوّلهم أخى، وآخرهم ولدى»، قيل: يا رسول الله (ص)، ومن أخوك؟ قال: «علىّ بن أبى طالب»، قيل: فمن ولدك؟ قال: «المهدى الذى يملأها قسطاً وعدلًا كما ملئت ظلماً وجوراً» (۲).

فهذه الأحاديث تشير وتؤكّد على أنّ (الاثنى عشر) هم أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، أوّلهم علىّ بن أبى طالب (ع)، وآخرهم المهدى (عج).

ولو تأمّل الإنسان المنصف أكثر ودقّق فى هذا الحديث- أى: الأمر فى قريش إلى قيام الساعة- لوجد أنّ هناك خصوصيّة ناظرة إلى وجود إمام بشكل واضح وجلى حىّ باق إلى قيام الساعة، حيث جاء بلفظ بقائهم ما بقى الدين إلى قيام الساعة.

روى أحمد بن حنبل فى «مسنده»، وأبو يعلى فى «مسنده»، وابن حبّان فى «صحيحه»، فى باب أنّ ولاية أمر المسلمين يكون فى قريش إلى قيام الساعة. واللفظ للأوّل:

عن عبد الله بن عمر .. يقول: قال رسول الله (ص): «لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى فى الناس اثنان» (۳). والتعبير بلفظ «ما بقى اثنان»، أى: إلى قيام الساعة.

قال السيوطى فى «الديباج على مسلم»: «لا يزال هذا الأمر فى قريش»

۱- فرائد السمطين، ج ۲، صص ۳۱۳ و ۵۶۳.

۲- ينابيع المودّة، ج ۳، ص ۳۹۵.

۳- مسند أحمد، ج ۲، ص ۱۲۸؛ مسند أبى يعلى، ج ۹، ص ۴۳۸؛ صحيح ابن حبّان، ج ۱۴، ص ۱۶۲؛ فتح البارى، ج ۱۳، ص ۱۰۴.

ص: ۸۳

أی: الخلافة «ما بقی فی الناس اثنان»، أی: أنّ هذا الحکم مستمرّ إلی آخر الدنیا (۱).

وواضح أنّ استمرار الحکم إلی آخر الدنیا ینطبق علی ما تقوله الشیعة؛ بأنّ الإمام الثانی عشر (الإمام المهدی (عج)) حیّ فی جمیع الأزمنة، وأنّه لابدّ من ظهوره فی آخر الزمان، لیملأ الأرض قسطاً وعدلًا کما ملئت ظلماً وجوراً، علی وفق ما بشّر به جدّه المصطفی (ص).

تضارب آراء السنّة فی فهم حدیث (الاثنی عشر)

ولو قرأنا وتفحّصنا فی أقوال علمائهم وآرائهم فی هذا الحدیث الشریف؛ نجد أنّها لاتنطبق مع خلفائهم أبداً، بل لم یجمعوا علی تطبیقه فی أناس مجمع علیهم عندهم؛ فاختلفوا فیما بینهم؛ بل اعترفوا أنّهم لم یفهموا هذا الحدیث، کما قال ابن العربی المالکی فی «شرح الترمذی»: «لم أعلم للحدیث معنی» (۲).

وقال ابن حجر فی «فتح الباری» عن ابن البطال، أنّه حکی عن المهلّب قوله: «لم ألق أحداً یقطع فی هذا الحدیث بشیء معیّن» (۳).

وعن ابن الجوزی، قال: «قد أطلت البحث عن معنی هذا الحدیث، وتطلّبت مضامینه، وسألت عنه، فلم أقع علی المقصود» (۴).

وقد علّق الشیخ محمود أبو ریّة متهکّماً علی ما أورده السیوطی، قال:

«أمّا السیوطی فبعد أن أورد ما قاله العلماء فی هذه الأحادیث المشکلة، خرج برأی غریب نورده هنا تفکهةً للقرّاء، وهو: وعلی هذا فقد وجد من

۱- الدیباج علی مسلم، السیوطی، ج ۴، ص ۴۳۹.

۲- عارضة الأحوذی فی شرح صحیح الترمذی، ابن العربی المالکی، ج ۵، ص ۶۷.

۳- فتح الباری، ج ۱۳، ص ۱۸۲.

۴- المصدر نفسه، ص ۱۸۳.

ص: ۸۴

الاـثنی عشـر: الخلفـاء الأربعـة والحسن ومعاویـة وابن الزبیر وعمر بن عبـد العزیز وهؤلاـء ثمانیـة، ویحتمل أن یضمّ إلیهم المهـدی من العباسـیّین؛ لأـنّه فیهـم کعمر بـن عبـد العزیز فی بنی أُمیّـة، وکـذلک الظـاهر، لمـا أُوتیه من العـدل، وبقی الاثنـان المنتظران!! أحـدهما المهدی؛ لأنّه من أهل بیت محمّد- ولم یبیّن المنتظر الثانی- ورحم الله من قال فی السیوطی: إنّه حاطب لیل» (۱).

إذن أهل السّـنة لم یتّفقوا علی تسـمیة الاثنی عشـر، لـذا لجأ بعضـهم إلی إدخال یزید بن معاویة ومروان وعبد الملک ونحوهم، وصولًا إلی عمر بن عبد العزیز لکی یکملوا العدد الوارد فی نصّ حدیث (الاثنی عشر خلیفة).

ولکن فاتهم أنّ الحدیث یصرّح بأنّ الدین لا یزال قائماً بوجودهم ومستمرّ إلی آخر الدنیا، کما تقدّم فی قول السیوطی.

ثمّ إنّ الخلافة انقطعت بعد عمر بن عبد العزیز، وهذا واضح، فلو فسّـرنا أحادیث الخلفاء الاثنی عشر علی وجهة النظر السّنّیة فلا نستطیع أن نجـد الحـلّ الصـحیح الـذی یلائـم مـا قـاله رسول الله (ص) فی هـذا الحـدیث الشـریف؛ لأنّه لو تخلّینا عن حملها علی معنی ورأی المدرسـة الشـیعیّة، لوقعنـا فی إشـکالیّة أنّ الـذین مـارسوا الحکم وادّعوا أنّهم من قریش هم أضـعاف العـدد المنصوص علیه فی هـذه الأحادیث، فضلًا عن انقراضهم وموتهم، سواء کانوا أُمویّین أم عبّاسیّین.

لذا نجد أنّ القندوزی الحنفی کان ملتفتاً لهذا الأمر، وهذا ما صـرّح به، حیث قال: «قال بعض المحقّقین: إنّ الأحادیث الدالّة علی کون الخلفـاء بعـده (ص) اثنی عشـر قـد اشـتهرت من طرق کثیرة، فبشـرح الزمان وتعریف الکون والمکان علم أنّ مراد رسول‌الله (ص) من حدیثه هذا الأئمّة الاثنا عشر من أهل بیته وعترته؛

۱- أضواء علی السنّة النبویّة، محمود أبو ریّة، ص ۲۳۵.

ص: ۸۵

إذ لا یمکن أن یحمل هـذا الحـدیث علی الخلفاء بعده من أصـحابه، لقلّتهم عن اثنی عشـر، ولا یمکن أن نحمله علی الملوک الأُمویّة لزیادتهم علی اثنی عشر، ولظلمهم الفاحش إلّا عمر بن عبد العزیز، ولکونهم غیر بنی‌هاشم؛ لأنّ النبیّ (ص) قال: «کلّهم من بنی‌هاشم»، فی روایة عبد الملک، عن جابر، وإخفاء صوته (ص) فی هذا القول یرجّح هذه الروایة؛ لأنّهم لا یحسـنون خلافة بنی هاشم، ولا یمکن أن یحمل علی الملوک العبّاسـیة، لزیادتهم علی العـدد المـذکور، ولقلّة رعایتهم .. ویؤیّد هذا المعنی- أی: أنّ مراد النبیّ (ص) الأئمّة الاثنا عشر من أهل بیته- ویرجّحه حدیث الثقلین» (۱).

الانطباق القهری علی أئمّة أهل البیت (علیهم السلام)

بعدما تقدّم من تضارب الأقوال عند أهل السـنّة وأنّهم تحیّروا فی التفسـیر الحقیقی والواقعی لهذا الحدیث، لذا فالتطبیق الصحیح هو ما أثبتته المدرسـة الإمامیّة القائلـة بإمامة اثنی عشـر إماماً من أهل البیت (علیهم السـلام)- أوّلهم الإمام علیّ بن أبی طالب (ع)، وآخرهم المهـدی (عـج)- لـذا یکون هـذا الإثبـات قهریّاً، فلا نعرف لهـذه الروایات تطبیقاً آخر فی تاریخنا المعاصـر والقـدیم غیرهم، فلم یـدّع غیرهم لنفسه العصـمة، ولن یقل غیرهم إنّه الحجّة علی الخلق وإنّه إمام، طاعته هدی ودین، ومخالفته ضـلال وجاهلیّة، ولم یدّع غیرهم أنّهم هم المقصودون بالأئمّة الاثنی عشر.

ولکی تتّضح هذه الرؤیة أکثر نقول:

أوّلًا: إنّ أهل البیت (علیهم السـلام) هم حجـج الله تعالی علی خلقه بمقتضـی ما ورد عن رسول‌الله (ص) فی حدیث الثقلین، قال: «إنّی تارک فیکم الثقلین: کتاب الله

۱- ینابیع المودّة لذوی القربة، ج ۳، صص ۲۹۲ و ۲۹۳.

ص: ۸۶

وعترتى أهل بيتى، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدى أبداً» (۱)، فمخالفتهم جاهليّة وضلال، فهم المنصوص عليهم، وهم المؤهّلون لهذا المنصب الربّانى، فهم حلقات متّصلة من وفاة رسول الله (ص) إلى أن تقوم الساعة.

ثانياً: لم نجد أحداً أحصى عليهم تناقضاً فى قول أو فعل، ولم يتجرّأ أحد على النيل منهم من المسلمين، وتشهد لهم بذلك آية التطهير: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب: ۳۳).

ثالثاً: لو فتّشنا فى زوايا التأريخ والحديث فلم نجد من يدّعى لنفسه هذا الأمر من العصمة والحجّيّة وإمامة الدين، وأنّه لا يخلو منهم زمان، ولا تخلو الأرض من حجّة منهم، قال الإمام علىّ (ع): «أللّهمّ بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة إمّا خائفاً مستوراً؛ لئلّا تبطل حجج الله. ..» (۲).

رابعاً: تقدّم ذكرنا للروايات التى تقول: «المهدى من ولد علىّ» أو «من ولد فاطمة» أو «من ولد الحسين (عليهم السلام)» فهذه الأحاديث تدلّ بالدلالة الالتزاميّة على أنّهم من قريش، فهى مفسّرة لحديث (الاثنى عشر، وأنّهم من قريش) وحيث إنّه (ع) كان من أبناء الحسين (ع) فهو بالضرورة قرشىّ.

هذه النقاط الأربعة بمجموعها لو قُرنت وضُمّت إلى تلك الأحاديث التى ذكرناها سابقاً فى الصحاح التى أثبتت أنّ الأئمّة اثنا عشر، وهم من قريش، لما بقى شكّ فى أنّ المصداق والتطبيق الصحيح- بل والقهرى- هو ما ذهبت إليه المدرسة الإماميّة الاثنا عشريّة.

۱- أخرجه مسلم، ج ۴، ص ۱۸۷۳، بلفظ: «وأنا تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب الله .. وأهل بيتى»؛ الترمذى، ج ۵، ص ۶۲۲، بلفظ: «كتاب الله وعترتى أهل بيتى».

۲- تذكرة الحفّاظ، ج ۱، ص ۱۲؛ شرح نهج البلاغة، ج ۱۸، ص ۳۴۷؛ كنزالعمّال، ج ۱۰، صص ۲۶۳ و ۲۶۴.

ص: ۸۷

حديث (الاثنى عشر) سابق للتسلسل التأريخى للأئمّة (عليهم السلام)

إنّ حديث (الاثنى عشر خليفة) سابق للتسلسل التأريخى للائمّة (عليهم السلام)، فقد بشّر رسول‌الله (ص) بهم وبولادتهم (عليهم السلام)، قبل تكامل الواقع الإمامى الاثنى عشرى، وهذا يعبّر عن واقع وحقيقة لا يمكن إلّا أن يذعن لها المنكر والمشكّك؛ لأنّها وردت وضبطت فى أصحّ الكتب وبأصحّ الطرق كما تقدّم.

قال السيّد محمّد باقر الصدر (رحمة الله): «إنّ الحديث المذكور سبق التسلسل التأريخى للأئمّة الاثنى عشر، وضبط فى كتب الحديث قبل تكامل الواقع الإمامى الاثنى عشرى، أمكننا أن نتأكّد من أنّ هذا الحديث ليس انعكاساً لواقع؛ وإنّما هو تعبير عن حقيقة ربّانيّة نطق بها من لا ينطق عن هوى، فقال: «إنّ الخلفاء بعدى اثنا عشر» وجاء الواقع الإمامى الاثنا عشرى ابتداءً من الإمام علىّ وانتهاء بالمهدى، ليكون التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث النبوى الشريف» (۱).

۲- حديث الثقلين

اشارة

ومن الأدلّة العامّة أيضاً حديث الثقلين، روى أحمد بسنده عن رسول الله (ص) أنّه قال: «إنّى تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض» (۲). والذى يلتقى مع الحديث السابق- «لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى فى الناس اثنان»- فى حيثيّة بقائه إلى قيام الساعة، حيث جاء بلفظ «وعترتى» والمهدى من عترته (ص). وهذا لازمه أنّ العترة لها استمرار وبقاء مع الكتاب إلى أن يردا على النبىّ (ص)، وهذا لا يمكن توجيهه إلّا بوجود

۱- بحث حول المهدى، محمّد باقر الصدر، ص ۱۰۷.

۲- مسند أحمد بن حنبل، ج ۳، ص ۱۴.

ص: ۸۸

الإمام المهدى (عج) وكونه حيّاً، وهو ما صرّح به علماء الشيعة، وإلّا يلزم الإخبار على خلاف الواقع.

صحّة حديث الثقلين عند أهل السنّة

بات من المسلّمات صحّة هذا الحديث لاسيما فى مصادر أهل السنّة، بل هو من الأحاديث المتواترة، فقد ورد فى صحيح مسلم: «وأنا تارك فيكم ثقلين، أوّلهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. .. وأهل بيتى، أُذكّركم الله فى أهل بيتى، أُذكّركم الله فى أهل بيتى ...» (۱).

وقال ابن كثير فى «تفسيره»: «وقد ثبت فى الصحيح أنّ رسول الله (ص) قال فى خطبته بغدير خم: «إنّى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتى، وإنّهما لم يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض» (۲).

وقال أيضاً: «قال شيخنا أبو عبد اللّه الذهبى: وهذا حديث صحيح» (۳).

وقال الهيثمى: «رواه الطبرانى فى الكبير، ورجاله ثقات»، وقال فى موضع آخر: «ورواه أحمد، وإسناده جيّد» (۴).

وحكم بصحّته ابن حجر المكّى: «روى هذا الحديث ثلاثون صحابيّاً، وإنّ كثيراً من طرقه صحيح وحسن» (۵). وهذا لازمه أنّ الحديث متواتر بلا شكّ ولا ريب.

۱- صحيح مسلم، ج ۷، ص ۱۲۳.

۲- تفسير القرآن العظيم، ج ۴، ص ۱۲۲.

۳- السيرة النبويّة، ج ۴، ص ۴۱۶؛ البداية والنهاية، ج ۵ ص ۲۲۸.

۴- مجمع الزوائد، الهيثمى، ج ۱، ص ۱۷۰؛ ج ۹، ص ۲۵۶.

۵- الصواعق المحرقة، ص ۱۲۲.

ص: ۸۹

وكذلك صحّحه البغوى فى «شرح السنّة»، والحاكم فى «مستدركه» (۱)، وشهد بصحّته الشيخ ناصر الدين الألبانى فى «صحيح الجامع الصغير» (۲).

دلالة الحديث على وجود الإمام المهدى (عج)

بعدما تقدّم من صحّة هذا الحديث وتواتره فدلالته واضحة؛ لأنّ وجود إمام من العترة وهو الخليفة، وهو مع الكتاب، ولا يمكن أن يفترق عنه إلى يوم القيامة. والتطبيق الوحيد له هو أهل البيت المتمثّل بإمامة الإمام المهدى (عج)، وهو آخر الأئمّة (عليهم السلام)، الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلًا بعدما ملئت ظلماً وجوراً؛ لأنّه لا معنى للتمسّك بهم والأخذ والاقتداء بإمامتهم والتسليم لهم إلّا إذا فسّر بما تقول به الإماميّة الاثنا عشريّة، وهو التفسير الحقيقى والواقعى والمنطقى.

۳-- حديث (لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة)

اشارة

من هذا القبيل أيضاً حديث «إنّ الأرض لا تخلو من قائم لله بحجّة» (۳) وهو حديث مشهور عندهم، فقد صحّحه ابن حجر وابن القيّم.

قال ابن حجر العسقلانى فى «فتح البارى»: «... دلالة للصحيح من الأقوال: «أنّ الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجّة»، والله أعلم» (۴).

وكذلك ابن القيّم صرّح بشهرته، حيث قال:

«... وحديث مشهور عند أهل العلم، يستغنى عن الإسناد؛ لشهرته

۱- شرح السنّة، البغوى، ج ۱۴، ص ۱۱۸؛ المستدرك على الصحيحين، ج ۳، ص ۱۰۹.

۲- صحيح الجامع الصغير، ج ۲، ص ۲۱۷.

۳- تذكرة الحفّاظ، ج ۱، ص ۱۲؛ تاريخ مدينة دمشق، ج ۵۰، ص ۲۵۳؛ المناقب، الموفّق الخوارزمى، ص ۳۶۶؛ كنزالعمّال، ج ۱۰، صص ۳۶۳ و ۳۶۴.

۴- فتح البارى، ج ۶، ص ۳۵۹؛ عمدة القارى، العينى، ج ۱۶، ص ۴۰.

ص: ۹۰

عندهم» (۱).

الآلوسی یصرّح بخلافة الإنسان الکامل إلی قیام الساعة

صرّح الآلوسی فی معرض کلامه فی تفسیر معنی «الخلیفة» فی قوله تعالی إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً (البقرة: ۳۰) قائلًا: «المشهور أنّ المراد به آدم (ع)»، ثمّ استدرک کلامه قائلًا: «ولم تزل تلک الخلافة فی الإنسان الکامل إلی قیام الساعة وساعة القیام، بل متی فارق هذا الإنسان العالِم مات العالَم؛ لأنّه الروح الذی به قوامه، فهو العماد المعنوی للسماء، والدار الدنیا جارحة من جوارح جسد العالم الذی الإنسان روحه، ولمّا کان هذا الاسم الجامع قابل للحضرتین بذاته صحّت له الخلافة وتدبیر العالم، والله سبحانه الفعّال لما یرید، ولا فاعل فی الحقیقة سواه» (۲).

ولکنّ الآلوسی سکت ولم یصرّح بالتطبیق، ومَن هو ذلک الإنسان الکامل الذی یبقی إلی قیام الساعة؟ فاکتفی بقوله: «وفی المقام ضیق، والمنکرون کثیرون، ولا مستعان إلّا بالله عزّوجلّ» (۳).

فالآلوسی لم یفصح عن بیان ماهیّة هذا الإنسان الکامل، وحجّته کثرة المنکرین، ومن ثمّ یستعین علی هذا السکوت بالله عزّوجلّ!

وواضح ما یروم إلیه الآلوسی، ألیس الإنسان الکامل الذی تصحّ له الخلافة، وتدبیر العالم إلی قیام الساعة هو الإمام المهدی (عج)؟

ألیس ما ذکرناه من تلک الأحادیث المتقدّمة، کحدیث الاثنی عشر، والثقلین،

۱- إعلام الموقعین عن ربّ العالمین، ابن قیّم الجوزیّة، ج ۲، ص ۱۹۵.

۲- روح المعانی، الآلوسی، ج ۱، صص ۲۹۸ و ۲۹۹.

۳- المصدر نفسه، ص ۲۹۹.

ص: ۹۱

وعـدم خلو الأرض منه، والبیعـهٔ فی عنق المسـلمین، وما لم یتمّ ذلک مات میتـهٔ جاهلیّـهٔ کما سـیأتی؛ کلّها شواهـد علی تلک الحقیقهٔ، وهی «الإنسان الکامل الذی تصحّ له الخلافهٔ والإمامهٔ» التی لا یمکن إلّا وأن یذعن لها العقل والفطرهٔ السلیمهٔ.

۴-- حدیث (من مات ولیس فی عنقه بیعهٔ مات میتهٔ جاهلیّهٔ)

اشارهٔ

وکذلک من الأدلّهٔ العامّهٔ هو حدیث «من مات ولیس فی عنقه بیعهٔ»، وهذا الحدیث أخرجه مسلم فی «صحیحه»، والبیهقی فی «سننه»، ونصّه: «من مات ولیس فی عنقه بیعهٔ مات میتهٔ جاهلیّهٔ» (۱).

وکـذلک أخرجه ابن أبی‌عـاصم والهیثمی بلفـظ: أنّ النبیّ (ص) قـال: «من مات ولیس علیه إمام مات میتـهٔ جاهلیّـهٔ» (۲). قال الألبانی: «إسناده حسن ورجاله ثقات» (۳).

وقـال أیضـاً: «رواه الطبرانی فی «الأوسـط» وفیه العبـاس بن الحسن القنطری ولم أعرفه، وبقیّـهٔ رجـاله رجـال الصـحیح. قلت: الظاهر أنّه العبّاس بن الحسین- مصغّراً- القنطری، وهو ثقهٔ من شیوخ البخاری» (۴).

وورد من طرق الشیعهٔ والسنّهٔ بلفظ: «من مات ولم یعرف إمام زمانه مات میتهٔ جاهلیّهٔ» (۵).

۱- صحیح مسلم، ج ۶، ص ۲۲؛ السنن الکبری، البیهقی، ج ۸، ص ۵۶.

۲- مجمع الزوائد، ج ۵، صص ۲۲۴ و ۲۲۵؛ کتاب السنّهٔ، ابن أبی عاصم، ص ۴۸۹.

۳- ابن أبی عاصم، السنّهٔ، ومعه ظلال الجنّهٔ، الألبانی، ص ۴۹۰.

۴- المصدر نفسه.

۵- أُصـول الکـافی، ج ۱، ص ۳؛ الروضـهٔ، ج ۸، ص ۱۴۶؛ قرب الإسـناد، الحمیری القمّی، ص ۳۵۱؛ کمال الـدین وتمام النعمـهٔ، الصدوق، صص ۴۰۹ و ۴۱۲.

ص: ۹۲

ولعلّ قائل يقول: إنّ هناك فرقاً بين الحديثين، فالأوّل يتحدّث عن نصب الإمام، والثانى يتحدّث عن معرفة الإمام.

نقول: لا فرق بينهما، فالمعرفة متفرّعة على أداء البيعة له، فكيف تتمّ البيعة بلامعرفة؟ والتى تقتضى- بداهة- طاعته وموالاته، ومعاداة أعدائه، والبراءة من كلّ ولاية غير ولايته التى هى ولاية الله ورسوله. وقد ذكر الكلينى فى الكافى رواية تؤكّد هذا المعنى، حيث روى بإسناده عن أبى جعفر (ع) أنّه قال: «من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهليّة، ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضرّه تقدّم هذا الأمر أو تأخّر» (۱).

فهناك مقابلة بين من ليس له إمام وبين المعرفة بالإمام، والأوّل ميتته جاهلية، والثانى لا يضرّه شىء وهو على خير.

ولو نظرنا إلى حديث الثقلين فهو يفسّرهما معاً؛ بل نجد تطابقاً واضحاً فيما بينهما، فقد ورد فى حديث الثقلين أنّه يجب التمسّك بهم، وهم العدل الآخر للكتاب، ولو تمسّك الناس بهم لن يضلّوا أبداً. وكذلك وردت مفردة «الجاهليّة» المترتّبة على عدم البيعة، إذن ف- «الجاهليّة والضلال» يتعانقان بعدم معرفتهم والتمسّك بهم (عليهم السلام).

دلالات الحديث وتفسيره

۱- الكافى، ج ۱، صص ۳۷۱ و ۳۷۲.

ص: ۹۳

لو تأمّلنا فی مفردات هذا الحدیث ودلالاته لوجدنا أنّها تشیر إلی حقیقة مهمّة تتمثّل بما یلی:

وجوب وجود الإمام وتعیینه.

وجوب البیعة الفعلیّة.

الالتزام والتسلیم المطلق بهذه البیعة.

البیعة مشروطة بإمام واحد فقط.

فقوله (ص): «من مات ولیس فی عنقه بیعة» یشعرنا بوجوب المبادرة الفوریّة لإمام المسلمین المفترض الطاعة، وعدم التهاون فی لزوم هذا الأمر؛ لأنّ الموت قد یفاجأ الإنسان فی کلّ لحظة، وعنده لا یعذر وتکون خاتمته خاتمة سوء.

وأمّا البیعة لشخص الإمام فقد ذکر ابن حزم فی المسألة السابعة والثمانون:

«ولا یجوز أن یکون فی الدنیا إلّا إمام فقط، ومن بات لیلة ولیس فی عنقه بیعة، مات میتة جاهلیّة» (۱).

وتفسیر البیعة فی هذا الحدیث، مأخوذ من المعاقدة والمعاهدة، کأنّ کلّ واحد باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته (۲)، فالبیعة بهذا المعنی تعنی السمع والطاعة لمن بایعه.

وعلیه فلا تقع إلّا للإمام الحیّ، وهذا واضح؛ لأنّ المیّت لا تتحقّق معه المعاهدة، واعتقاد إمامة الأئمّة الماضین لا یستلزم تحقّق البیعة لهم.

وأمّا مفهوم المیتة الجاهلیّة فقد وصفها النووی، قائلًا: «أی علی صفة موتهم من حیث هی فوضی لا إمام لهم» (۳).

۱- المحلّی، ابن حزم، ج ۱، ص ۴۵.

۲- لسان العرب، ابن منظور، ج ۸، ص ۸۶.

۳- شرح مسلم، النووی، ج ۲۱، ص ۲۳۸.

ص: ۹۴

إذن هناک میثاق وعهد وعقد بین الإنسان المسلم وبین الإمام الذی تجب بیعته؛ بحیث لو تخلّف عن بیعته لترتّب علیها الجهل والضلال، وبالتالی یکون جزاؤه الخسران المبین.

ومن تأمّل ونظر بإنصاف فی معانی ومفردات هذا الحدیث، یجزم بأنّ البیعة مشروطة بإمام حیّ مفترض الطاعة موجود فی کلّ عصر وزمان، بحیث تتحقّق البیعة له، ولایوجد مصداق صحیح إلّا الإمام المهدی (عج)، الذی تقول به الشیعة الإمامیّة.

شبهة التعارض فی أحادیث الإمام المهدی (عج)

شبهة التعارض فی أحادیث الإمام المهدی (عج) (۱)

ذکر السیّد محمّد رشید رضا فی «تفسیره»، قائلًا: «وأمّا التعارض فی أحادیث المهدی فهو أقوی وأظهر، والشبهة فیها أظهر، ولذلک لم یعتدّ الشیخان بشیء من روایاتها فی صحیحهما» (۲)، وعلیه فتتعارض وتتساقط.

جواب الشبهة:

إنّ هذه الشبهة مردودة من وجوه:

أوّلًا: قد تقدّم أنّ هناک جمّاً غفیراً من کبار العلماء ممّن قال بصحّة وتواتر أحادیث الإمام المهدی (عج)، وهذا بطبیعة الحال ناشئ من عدم الخلاف فی هذه القضیّة.

۱- نذکر هذه الشبهات وإن لم ترد علی لسان القفاری، ولکن لبیان أنّ إنکار الدکتور القفاری للمهدویّة سببه اتّباع وتقلید أسلافه، الذین ردّوا الأحادیث الصحیحة والمتواترة التی تناولت هذا الموضوع.

۲- تفسیر القرآن الحکیم، محمّد رشید رضا، ج ۹، ص ۴۹۹.

ص: ۹۵

ثمّ نسأل ما هو التعارض؟ أليس هو التنافى بين دليلين أو أكثر، بحيث يتحيّر العرف فى العمل بهما، بحيث نجد أنّ هناك تدافعاً أو تناقضاً بين الدليلين؟ فهل تحيّر العرف فى الجمع بين أحاديث الإمام المهدى (عج) حتّى نقول بالتعارض أم أنّ أحاديثه صحيحة ومتواترة؟

ثانياً: إنّ التعارض يحصل بين الأدلّة الظنّية وليس القطعيّة، وما نحن فيه هو قطعىّ جزماً؛ لأنّ اتّفاق ما يزيد على خمسين حديثاً رواه أكثر من صحابى وصحابيّة يورث الاطمئنان، وكذلك التواتر بطرقها فى جميع الطبقات.

ثالثاً: إنّ التعارض إن وجد، فهو ليس فى أصل القضيّة وجوهرها، بل لعلّه فى الروايات التى تتكلّم عن جزئيّات هذه المسألة، فهو تعارض بدوى يمكن حلّه بسهولة ويسر، وذلك بإرجاع بعض الأحاديث إلى بعضها الآخر، كإرجاع العامّ إلى الخاصّ، والمطلق إلى المقيّد، وهكذا دواليك.

أمّا الاعتقاد برجل من أهل البيت (عليهم السلام) أو العترة الطاهرة فى آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً وعدلًا كما ملئت ظلماً وجوراً، فهو ممّا تسالم عليه الفريقان.

إذن ما فُرض من تعارض أحاديث الإمام المهدى (عج) باطل وفاقد للدليل، بل لا يوجد موضوع لهذا التعارض حتّى نقول به.

شبهة عدم إخراج البخارى ومسلم أحاديث المهدى فى صحيحهما

من الشبهات التى أدّت إلى إنكار أحاديث الإمام المهدى (عج) عدم ورودها فى صحيح «البخارى» و «مسلم»، وعليه فما ورد فى الكتب الأُخرى تحمل على الضعف، أو أنّها مقتبسة من طوائف أُخرى، وقد تقدّم فى كلام محمّد رشيد

ص: ۹۶

رضا قوله: «لم يعتدّ الشيخان بشيء من رواياتها فى صحيحهما» (۱).

وكذلك ما تقدّم من كلام أحمد أمين: «ولم يرو البخارى ومسلم شيئاً من أحاديث المهدى ممّا يدلّ على عدم صحّتها عندهما» (۲).

والقفارى قد نهج نفس الأُسلوب واقتفى نفس الأثر.

جواب الشبهة:

نقول: إنّ هذه الشبهة باطلة من وجوه:

الأوّل: إنّ البخارى أو مسلم لم يدّعيا أنّهما استوعبا فى كتابيهما جميع الأحاديث الصحيحة، إن سلّمنا بجميع ما فيه من أحاديث صحيحة.

أمّا البخارى فواضح من اسم كتابه الذى ذكره ابن الصلاح فى مقدّمته، قال: «اسمه الذى سمّاه به هو الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله (ص) وسننه وأيّامه» (۳).

فهو يصرّح بأنّه مختصر من أُمور رسول الله (ص)، فكلمة الجامع هى للمختصر، وليس لكلّ ما ورد فى سننه (ص).

وقال الذهبى وابن حجر العسقلانى: «قال إبراهيم بن معقل سمعت محمّد بن إسماعيل يقول: ما أدخلت فى كتاب «الجامع» إلّا ما صحّ، وتركت من الصحاح كى لا يطول الكتاب» (۴).

وقال الحازمى: «فقد ظهر أنّ قصد البخارى كان وضع مختصر فى الحديث، وأنّه لم يقصد الاستيعاب لا فى الرجال ولا فى الحديث» (۵).

۱- تفسير القرآن الحكيم، ج ۹، ص ۴۹۹.

۲- ضحى الإسلام، ج ۳، ص ۲۳۸.

۳- مقدّمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، ص ۲۹.

۴- سير أعلام النبلاء، ج ۱۲، ص ۴۰۲؛ تغليق التعليق، ابن حجر العسقلانى، ج ۵، ص ۴۲۰.

۵- مقدّمة كتاب صحيح ابن حبّان، شعيب الارنؤوط، ج ۱، ص ۶.

ص: ۹۷

أمّا مسلم فقد صرّح هو بنفسه قائلًا: «لیس کلّ شیء عندی صحیح وضعته ههنا، إنّما وضعت ما أجمعوا علیه» (۱).

وقال النووی فی مقدّمة شرحه: «إنّ مسلماً قال: «إنّما أخرجت هذا الکتاب وقلت هو صحاح، ولم أقل ما لم أخرجه من الحدیث فی هذا الکتاب فهو ضعیف، وإنّما خرّجت هذا الحدیث من الصحیح؛ لیکون مجموعاً عندی وعند من یکتبه عنّی».

وقال أیضاً: «ألزم الحافظ الدار القطنی وغیرُهُ البخاری ومسلماً إخراج أحادیث ترکا إخراجها، مع أنّ أسانیدها أسانید قد أخرجا لرواتها فی صحیحهما. وذکر الدار قطنی وغیره: أنّ جماعة من الصحابة ممّن رووا عن رسول الله (ص) ورویت أحادیثهم من وجوه الصحاح لا مطعن فی ناقلیها، ولم یخرّجا من أحادیثهم شیئاً، فیلزمهما إخراجهما علی مذهبهما. وذکر البیهقی: أنّهما اتّفقا علی أحادیث صحیفة همام بن منبه، وأنّ کلّ واحد منهما انفرد عن الآخر بأحادیث منها، مع أنّ الإسناد واحد ... وهذا الإلزام لیس بلازم فی الحقیقة، فإنّهما لم یلتزما استیعاب الصحیح؛ بل صحّ عنهما تصریحهما بأنّهما لم یستوعباه، وإنّما قصدا جمع جمل من الصحیح کما یقصد المصنّف فی الفقه جمع جملة من مسائله، لا أنّه یحصر جمیع مسائله» (۲).

الثانی: تقرّر عند علماء هذا الفن أنّ الحدیث المقبول أعمّ من الصحیح، فهو یشمل الصحیح لذاته والصحیح لغیره، والحسن لذاته والحسن لغیره، والصحیح لیس مقصوراً وجوده فی کتاب الصحیحین کما هو بدیهی، فالعلماء قسّموا الصحیح بحسب القوّة إلی سبعة درجات:

۱- ما اتّفق علیه الشیخان.

۱- صحیح مسلم، ج ۲، ص ۱۵.

۲- النووی فی شرحه علی الصحیح، ج ۱، صص ۲۴- ۲۶.

ص: ۹۸

۲- ما تفرّد به البخارى.

۳- ما تفرّد به مسلم.

۴- ما كان على شرط البخارى ومسلم.

۵- ما هو على شرط البخارى.

۶- ما هو على شرط مسلم.

۷- ما رواه من غيرهم من الأئمّة الذين التزموا الصحّة وصحّحوه (۱).

ومعلوم أنّه ليس فى الصحيحين من هذه المراتب إلّا الثلاث الأُولى، أمّا الأربع الباقية فلا وجود لها إلّا خارج الصحيحين.

ومعلوم أيضاً أنّ العلماء فى جميع العصور يحتجّون بالأحاديث الصحيحة، بل والحسنة الموجودة خارج الصحيحين، والعمل بها مطلقاً، واعتبار ما دلّت عليه، من غير حطّ من شأنها أو التقليل من قيمتها، سواء أكان ذلك فى أُمور الاعتقاد أم فى أُمور الأحكام.

إذن هناك كتب احتجّ بها القوم فى غير الصحيحين، فليس بالضرورة أنّ كلّ حديث لم يخرّجه البخارى ومسلم هو ضعيف أو لا يحتجّ به.

الثالث: إنّ الأحاديث التى وردت فى صحيح البخارى ومسلم لا نستطيع أن نجزم بعدم شمولها لأحاديث الإمام المهدى (عج)؛ بل هناك أحاديث وردت فيهما وإن لم يرد فيها التصريح بذكر المهدى (عج) على جهة التفصيل، فهناك أحاديث تدلّ إجمالًا على ظهور رجل صالح، يؤمّ المسلمين عند نزول عيسى (ع) فى آخر الزمان، يصلّى عيسى بن مريم خلفه.

ومن ذلك الحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم فى باب نزول عيسى بن مريم، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله (ص): «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم

۱- مقدّمة فى أُصول الحديث، عبد الحقّ الدهلوى، ج ۱، صص ۸۷ و ۸۸.

ص: ۹۹

فيكم وإمامكم منكم؟!» (۱).

وكذلك روى مسلم عن جابر بن عبد الله عنه، أنّه سمع النبيّ (ص)، يقول:

«لا تزال طائفة من أُمّتى يقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم (ع)، فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا، فيقول: لا، إنّ بعضكم على بعض أُمراء؛ تكرمة الله هذه الأُمّة» (۲).

وجاء ما يفسّر- هذه الأحاديث فى السنن والمسانيد الأُخرى- ويبيّن اسم هذا الأمير الذى يصلّى عيسى (ع) خلفه، وصفته أنّه هو المهدى (عج)، والسنّة تفسّر بعضها بعضاً.

روى ابن القيّم فى «المنار المنيف» عن «مسند الحارث بن أبى اسامة» وصحّحه، قال:

«روى الحارث بن أبى أُسامة فى مسنده: حدّثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدّثنا إبراهيم بن عقيل، عن أبيه، عن وهب بن منبّه، عن جابر، قال: قال رسول الله (ص): «ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدى: تعال صلّ بنا، فيقول: لا، إنّ بعضهم أمير بعض؛ تكرمة الله لهذه الأُمّة». ثمّ قال معلّقاً عليه: «وهذا إسناد جيّد» (۳).

وأيضاً صحّحه الألبانى فى «السلسلة الصحيحة» (۴).

خلاصة ونتيجة:

إنّ هذه الأحاديث وإن رويت فى الصحاح بشكل مجمل، ولكن كتب السّنة فسّرتها وشرحتها؛ ولعلّ سبب عدم ذكر البخارى أو مسلم لهذه الأحاديث هو:

۱- صحيح البخارى، ج ۴، ص ۱۴۳؛ صحيح مسلم، ج ۱، ص ۹۴.

۲- صحيح مسلم، ج ۱، ص ۹۵.

۳- ابن القيم الجوزيّة، ج ۱، ص ۱۴۷.

۴- السلسلة الصحيحة، محمّد ناصر الألبانى، ج ۵، ص ۲۷۶.

ص: ۱۰۰

أنّ مجرّد ذكر المهدى المنتظر (عج) يثير الرعب فى أوصال أركان السلطة العبّاسيّة آنذاك، فكانت عيونهم ومخابراتهم تتحرّى وترصد كلّ المواليد فى ذلك الوقت، وهل يعقل والحال هذه أن يقدم ويجازف الشيخان على هذا الفعل، فلو فعلا ذلك لواجها دولة لا طاقة لهما بمواجهتها، ومع هذا فقد تطرّق الشيخان إلى الأحاديث الواردة بخروج الدجّال، وأحاديث نزول عيسى، وإمامة أمير المسلمين لعيسى، فهما يعبّران عن وجود الإمام المهدى بكلمة «أمير» أو «الإمام» مطلقاً (۱).

إذن هناك أحاديث كثيرة منها الصحيح وغير الصحيح هى خارج إطار الكتابين المذكورين، لذا نجد الحفّاظ الآخرين- كابن خزيمة، وتلميذه ابن حبّان، وتلميذ ابن حبّان الحاكم النيسابورى، وغيرهم- استدركوا وجمعوا وصحّحوا الأحاديث وصنّفوها فى مؤلّفاتهم المشهورة والمعروفة عند أهل العلم والمعرفة.

وبهذا البيان اتّضح سقوط شبهة أنّ أحاديث الإمام المهدى (عج) لم يخرّجها البخارى ومسلم فى صحيحيهما، وكذلك شبهة التعارض.

ومن مجموع ما تقدّم سقطت أيضاً دعوى خرافة وأُسطورة القول بالإمام المهدى (عج) وغيبته، فهى محض افتراء لا واقع لها، والحقيقة تأبى إلّا أن تنصاع للقبول بتواتر وصحّة أحاديث الإمام المهدى (عج).

شبهة أنّ الإمام العسكرى ٧ مات بلا عقب

اشارة

قال القفارى فى ص ۱۰۰۴، فى فصل «نشأة فكرة الغيبة عند الشيعة

۱- حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدى، أحمد حسين يعقوب، ص ۱۱۸.

ص: ١٠١

الاثنى عشريّة»:

«إذ بعد وفاة الحسن- إمامهم الحادى عشر- سنة (٢٦٠ ه) لم ير له خلف، ولم يعرف له ولد ظاهر، فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأُمّه، كما تعترف بذلك كتب الشيعة نفسها.

وبسبب ذلك اضطرب أمر الشّيعة، وتفرّق جمعهم؛ لأنّهم أصبحوا بلا إمام، ولا دين عندهم بدون إمام؛ لأنّه هو الحجّة على أهل الأرض ...».

ثمّ قال فى ص ١٠٩۴ فى فصل «نقد عقيدة الغيبة»:

«حتّى قال بعضهم: إنّا قد طلبنا الولد بكلّ وجه فلم نجده، ولو جاز لنا دعوى أنّ للحسن ولداً خفيّاً لجاز مثل هذه الدعوى فى كلّ ميّت من غير خلف، ولجاز أن يقال فى النبىّ (ص): إنّه خلّف ابناً نبيّاً رسولًا؛ لأنّ مجىء الخبر بوفاة الحسن بلا عقب كمجىء الخبر بأنّ النبىّ (ص) لم يخلّف ولداً من صلبه، فالولد قد بطل لا محالة».

بيان الشبهة:

من خلال ما تقدّم نلخّص كلامه بالبيان التالى:

١- اعتراف كتب الشيعة بأنّ الإمام العسكرى (ع) لم يخلّف ولداً؛ لذا قسّم إرثه بين أخيه جعفر وأُمّه.

٢- وبسبب ذلك اضطرب أمر الشّيعة؛ لفقدان الإمام عندهم، وبذلك يبطل دينهم؛ لأنّهم يؤمنون بأنّ الأرض لا تخلو من حجّة، وهنا فقدت الحجّة؛ لأنّ الإمام الحسن العسكرى (ع) ليس له عقب.

٣- ثمّ استشهد بقول إحدى الفرق على زعمه، وهو: أنّنا لوقلنا بمثل هذه الدعوى- وهى أنّ للحسن ولداً خفيّاً- لقلنا بجواز ذلك فى كلّ ميّت من غير خلف، ثمّ قاس ذلك بين النبىّ الأكرم ٩ وبين الإمام الحسن العسكرى ٧؛ لأنّ

ص: ١٠٢

خبر المجيء بوفاة الحسن بلا عقب هو نفسه بأنّ النبيّ ٩ لم يخلّف ولداً من صلبه، وعليه تكون النتيجة هى بطلان الولد.

جواب الشبهة:

هذه الشبهة باطلة لعدّة وجوه:

الأوّل: تضارب الأقوال وتعارضها فى نقل أقوال الشيعة.

ادّعى القفارى بأنّ كتب الشيعة تصرّح بأنّ الإمام العسكرى (ع) لم يعرف له ولد ظاهر، ولو راجع القارئ نفس كلام القفارى لوجد تضارباً وتهافتاً فى أقواله، فهو يصرّح فى الصفحة الأُخرى التى تليها (ص ١٠٠٦) من نفس هذا الفصل قائلًا:

«أمّا الاثنا عشريّة فقد ذهبت إلى الزّعم بأنّ للحسن العسكرى ولداً كان قد أخفى (أى: الحسن) مولده، وستر أمره؛ لصعوبة الوقت وشدّة طلب السّلطان له، فلم يظهر ولده فى حياته، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته».

وهو بهذا يصرّح برأى الشيعة الإماميّة بشكل صريح، وأنّ للإمام العسكرى ولداً وقد أُخفى مولده، وهذا الكلام بطبيعة الحال مقتبس من كتب الشيعة التى تمثّل رأيهم، وهذا واضح.

وإن قال: إنّى أقصد فرق الشيعة، وليس الشيعة الإماميّة.

فنقول: كتابكم كان فى معرض نقد مذهب الشيعة الإماميّة كما هو المفهوم من عنوان كتابكم «أُصول مذهب الشيعة الاثنى عشريّة»، والمفروض أن يوجّه الكلام لهذه الفرقة، لا أن يتشتّت البحث كما هو واضح لمن يتصفّح كتابكم، وهذا هو الخطأ الكبير والفاحش الذى وقع فى منهج نقدكم لهذه الطائفة، فهناك خلط واضح بين الفرق الشيعيّة وغيرها، وبين مذهب الاثنى عشريّة الإماميّة.

ص: ١٠٣

إذن كيف يجتمع كلامه السابق مع اللاحق؟ وهذا يدلّ على اضطرابه فيما ينقل؛ للخطأ فى المنهج كما قلنا. هذا أوّلًا.

وثانياً: إنّ غرضه النيل من التشيّع، لذا نجده متسرّعاً فى إلقاء الأحكام جزافاً وبلا تأمّل.

الوجه الثانى: اعتراف كتب الفرق بوجود الخلف من صلب الإمام الحسن العسكرى (ع).

إنّ الدكتور القفارى نقل هذا القول من الأشعرى صاحب كتاب المقالات والفرق، وهذا الرجل كان ينقل أقوال الفرق بعد وفاة الإمام الحسن العسكرى (ع)، فبعد أن نقل الكلام المتقدّم، قال: «ففرقة منها وهى المعروفة بالإماميّة قالت: .. فنحن متمسّكون بإمامة الحسن بن علىّ، مقرّون بوفاته موقنون مؤمنون بأنّ له خلفاً من صلبه، متديّنون بذلك، وأنّه الإمام من بعد أبيه الحسن بن علىّ، وأنّه فى هذه الحالة مستتر خائف، مأمور بذلك حتّى يأذن الله عزّوجلّ له، فيظهر ويعلن أمره» (١).

وواضح أنّ مراد الأشعرى هو أنّ الإماميّة الاثنى عشريّة موقنون مؤمنون متديّنون بأنّ للإمام الحسن العسكرى (ع) خلفاً من صلبه، وأنّه الإمام من بعد أبيه. وهو يتبنّى هذا القول؛ لأنّ مذهبه وعقيدته هى الإيمان باثنى عشر إماماً، فأين اعتراف كتب الشيعة بأنّ الإمام لم يخلّف ولداً؟! ثمّ ألا يعدّ هذا خيانة علميّة، فهل غفل أو لم يطّلع الدكتور على مراجعة هذا الكلام، فلماذا هذا التقطيع للنصوص؟!

الوجه الثالث: عدم الرؤية لا تدلّ على عدم الوجود.

إنّ قول الأشعرى فى النصّ الذى نقله القفارى: «ولم ير له خلف ولم

١- المقالات والفرق، سعد بن عبد الله الأشعرى، صص ١٠٢ و ١٠٣.

ص: ۱۰۴

يعرف له ولد ظاهر» ليس فيه دلالة على أنّ الإمام العسكرى (ع) لم يخلّف ولداً، فعدم الرؤية والمعرفة له لا تدلّ على عدم وجوده، فلا ملازمة فى البين، ولنقرّب ذلك بمثال حسّى:

وهو أنّنا لو لم نر أو لم نعرف فلاناً من الناس لغيبته بسبب السفر- مثلًا- أو أىّ سبب آخر، فهل يدلّ ذلك على أنّه معدوم وغير مولود؟ نعتقد أنّ هذا الكلام باطل ولايقرّه العقلاء.

الوجه الرابع: دعوى الميراث لا تنفى الولادة.

أمّا الاستدلال بقسمة ميراث الإمام العسكرى (ع) على عدم الولادة- حيث قال: «فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأُمّه»- فهو استدلال غريب من سماحة الدكتور؛ لأنّ الشيعة عندما تنقل ذلك لا تدّعى أنّ الإمام المهدى غير مولود، بل تقول: إنّ جعفر الكذّاب ادّعى الإمامة بعد أخيه الحسن بن علىّ زوراً، وادّعى ميراثه مع علمه بوجود الإمام المهدى (عج).

روى الصدوق بسنده عن أبى حمزة الثمالى، عن أبى خالد الكابلى، عن الإمام زين العابدين (ع) قال: حدّثنى أبى عن أبيه (عليهما السلام): أنّ رسول الله (ص) قال: «إذا ولد ابنى جعفر بن محمّد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب (عليهم السلام) فسمّوه الصادق، فإنّ للخامس من ولده ولداً اسمه جعفر يدّعى الإمامة اجتراءً على الله وكذباً عليه، فهو عند الله جعفر الكذّاب المفترى على الله عزّوجلّ، والمدّعى لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه، والحاسد لأخيه، ذلك الذى يروم كشف ستر الله عند غيبة ولىّ الله عزّوجلّ».

ثمّ بكى علىّ بن الحسين (عليهما السلام) بكاءً شديداً.

ثمّ قال: «كأنّى بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولىّ الله، والمغيّب فى حفظ الله، والتوكيل بحرم أبيه جهلًا منه بولادته، وحرصاً

ص: ۱۰۵

منه علی قتله إن ظفر به، (و) طمعاً فی میراثه حتّی یأخذه بغیر حقّه» (۱).

فالروایة وردت علی لسان رسول الله (ص) تشیر بشکل صریح أنّ جعفر کان یروم کشف ستر الله عند غیبته حرصاً منه علی قتله وطمعاً فی میراثه.

وهذا الحدیث یحمل صحّته معه؛ لوجود قرینة تدلّ علی ذلک، وهی حکایة الواقع وصدقه بما أخبر به (ص)، فالواقع لا یمکن أن یکذّب تلک الواقعة، فجعفر کان حاسداً لأخیه، وطامعاً فی میراثه حتّی یأخذه بغیر حقّه.

لذا نجد الشیخ المفید رحمه الله یصرّح بقوله:

«وتولّی جعفر بن علیّ أخو أبی محمّد (ع) أخذ ترکته، وسعی فی حبس جواری أبی محمّد (ع) واعتقال حلائله، وشنّع علی أصحابه بانتظارهم ولده، وقطعهم بوجوده، والقول بإمامته، وأغری بالقوم حتّی أخافهم وشرّدهم، وجری علی مخلّفی أبی محمّد (ع) بسبب ذلک کلّ عظیمة، من اعتقال وحبس وتهدید وتصغیر واستخفاف وذلّ، ولم یظفر السلطان منهم بطائل. وحاز جعفر ظاهر ترکة أبی محمّد (ع) واجتهد فی القیام عند الشیعة مقامه، فلم یقبل أحد منهم ذلک ولا اعتقده فیه، فصار إلی سلطان الوقت یلتمس مرتبة أخیه، وبذل مالًا جلیلًا، وتقرّب بکلّ ما ظنّ أنّه یتقرّب به فلم ینتفع بشیء من ذلک» (۲).

رأی الإمامیّة فی جعفر الکذّاب

خلاصة أقوال الإمامیّة فی جعفر الکذّاب لاسیما فی هذه المسألة هو التالی:

أوّلًا: إنّه ادّعی الإمامة وهو غیر مؤهّل لها؛ ممّا اضطرّه إلی اللجوء للسلطة الحاکمة للتمهید لهذا الأمر، ولکن خاب سعیه فی ذلک.

لذا نجد أنّ الوزیر عبید الله بن یحیی بن خاقان نهره عندما جاء إلیه فی هذا

۱- کمال الدین وتمام النعمة، ص ۳۲۰.

۲- الإرشاد، ج ۲، ص ۳۳۶.

ص: ۱۰۶

الأمر.

وننقل ما قاله الوزير ابن خاقان، حيث قال له:

«يا أحمق، السلطان جرّد سيفه فی الذين زعموا أنّ أباك وأخاك أئمّة ليردّهم عن ذلك فلم يتهيّأ له ذلك، فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة لك إلى السلطان ليرتبك مراتبهم ولا غير السلطان، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا ...» (۱).

ولم يكتفِ جعفر بـذلك؛ بل اسـتخدم الأموال ليصل إلى مآربه الخبيثة، ولكن أيضاً لم‌يوفّق فی هذا المسـعى، فحمل للسـلطة الحاكمة آنـذاك أموالًا طائلـة تقـدّر ب- (عشـرين ألف دينار) طالباً منها أن تجعل له مرتبـة أخيه ومنزلته، فكان جوابها بنحو جواب الوزير ابن خاقان (۲).

ثانياً: وكذلك ادّعى تركة الأموال والميراث التی تركها أخيه بلا وجه حقّ، ومن ثمّ حيازته لها بإذن من السلطة الحاكمة.

قال ابن شـهر آشوب فی مناقبه: «تولّى أخوه أخذ تركته وسـعى إلى السـلطان فی حبس جوارى أبی محمّد (ع) وشـنّع على الشـيعة فی انتظارهم ولده، وجرى على المخلّف كلّ بلاء، واجتهد جعفر فی المقام مقامه، فلم يقبله أحد، وبرئوا منه ولقبّوه: الكذّاب» (۳).

ثالثاً: إفشاء سرّ أخيه العسكرى (ع) إلى الدولة من خلال الإيعاز لهم بولادة الإمام المهدى (عج)، ومن هنا بدأت سلسلة من المطاردات والاعتقالات لعيال الإمام (عج)، ولم‌يتمكّنوا من العثور عليه.

إذن هذا هو حال جعفر؛ لذا جاءت تسميته ب- «الكذّاب» عند الإماميّة، وهذا

۱- الكافی، ج ۱، صص ۵۰۵ و ۵۰۶.

۲- مناقب آل أبی طالب، ابن شهر آشوب، ج ۳، ص ۵۲۴.

۳- المصدر نفسه.

ص: ۱۰۷

بطبيعة الحال، لا يدلّ على أنّ الإمام العسكرى (ع) لم يخلّف أو لم يولد له ولد، كما صوّر وادّعى الدكتور ذلك.

الوجه الخامس: تواتر الأحاديث بولادة المهدى (عج).

إنّ الأحاديث التى تقدّم ذكرها فى شبهة «أُسطوريّة الإمام المهدى» كحديث «الثقلين» وحديث «الاثنى عشر» وحديث «عدم خلو الأرض من قائم لله بحجّة» وحديث «البيعة للإمام» والتى دلّت على استمرار وجوده، فهى بالقطع واليقين مستلزمة لولادته، وكذلك ما ورد من تطبيق لهذه الأحاديث من مصادر الحديث السنّية، وكذلك ما تواتر من أحاديث الهويّة، وكونه من قريش ومن أهل البيت، من ولد النبىّ، ومن ولد علىّ وفاطمة والحسين:، كما روى عن مجاهد التابعى المشهور، عن رسول الله (ص):

«وصيّى علىّ بن أبى طالب، وبعده سبطاى: الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسين ... قال (ص): إذا مضى الحسين فابنه علىّ، فإذا مضى علىّ فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علىّ، فإذا مضى علىّ فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه علىّ، فإذا مضى علىّ فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمّد المهدى، فهؤلاء اثنا عشر» (۱). وغيرها من الأحاديث، وقد تقدّم ذكرها.

وسوف نتناول اعتراف جملة كبيرة من العلماء ممّن قالوا بولادته (عج) وكونه من ولد الإمام الحسن العسكرى ۷، ولاسيما ممّن له خبرة واطّلاع فى علم الأنساب، لذا سنذكر الذين دوّنوا هذه الحقيقة واعترفوا بها فى صحفهم، وكذلك نذكر بشكل عام مَن قال بولادته.

وكذلك ننقل الروايات والأحاديث من طرق الشيعة من خلال الشهادات

۱- فرائد السمطين، ج ۲، ص ۱۳۳؛ ينابيع المودّة، ج ۳، ص ۲۸۲.

ص: ۱۰۸

والوثائق التى تثبت لنا ولادته (عـج)، ومع وضوح هذا الأمر عند الإماميّة؛ لأنّها من صـلب عقيدتهم؛ ولكن لتشـكيكهم فى رواياتهم فى هذا الأمر سنضطرّ لنقلها.

اعتراف علماء الأنساب بولادة الإمام المهدى (عج)

فى البـدء إليك عبارة الدكتور القفارى التى نفى فيها تصـريح علماء الأنساب بولادة الامام المهدى (عج)، قال فى ص ۱۰۹۱ فى فصل «نقد عقيدة الغيبة»: «وقد ذكر أهل العلم بالأنساب والتواريخ أنّ الحسن بن علىّ لم يكن له نسل ولا عقب».

نقول: إنّ هـذا الكلام افتراء بلا دليل، فقـد ذهب جملـة من علماء هـذا الفن من الفريقين إلى القول بولادة الإمام المهـدى (عـج)، فهم الأدرى والأعلم بشجرة الأنساب، وقولهم يورث الاطمئنان بالصدق، فيكون حجّة بلا نزاع فى ذلك، وهم كما يلى:

۱- الشيخ أبو نصر البخارى:

وهو النسّابة الشـهير الشـيخ أبو نصر سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان بن أبان بن عبد الله البخارى، من أعلام القرن «الرابع الهجرى» والذى كان حيّاً سنة (۳۴۱ ه) فهو قريب من عصر غيبة الإمام المهدى (عج).

قال فى (سرّ السلسـلة العلويّـة): «وولد علىّ بن محمّد النقى (ع) الحسن بن علىّ العسـكرى (ع) من أُمّ ولد نوبيّة تدعى «ريحانة»، وولد سنـة إحـدى وثلاثين ومائتين، وقبض سـنة ستّين ومائتين بسامراء، وهو ابن تسع وعشـرين سـنة ... وولد علىّ النقى بن محمّد التقى (ع) جعفراً، وهو الذى تسمّيه الإماميّة جعفر الكذّاب، وإنّما تسمّية الإماميّة بذلك لادّعائه ميراث أخيه الحسن (ع) دون ابنه

ص: ۱۰۹

القائم الحجّة (عج)، لا طعن فی نسبه» (۱).

۲- السیّد الشریف نجم الدین أبو الحسن بن محمّد العلوی العمری، النسّابة المشهور، من أعلام (القرن الخامس) فی کتابه «المجدی فی أنساب الطالبیّین»، قال: «ومات أبو محمّد (ع) وولده من نرجس (س) معلوم عند خاصّة أصحابه وثقات أهله .. وامتحن المؤمنون، بل کافّة الناس بغیبته» (۲).

۳- فخر الدین محمّد بن عمر الرازی الشافعی (ت ۶۰۶ ه) فی کتابه «الشجرة المبارکة فی أنساب الطالبیّة»، قال: «أمّا الحسن العسکری الإمام (عج) فله ابنان وبنتان: أمّا الابنان فأحدهما: صاحب الزمان، والثانی موسی درج فی حیاة أبیه ...» (۳).

۴- ابن عنبة جمال الدین الحسنی والمتوفّی (ت ۸۲۸ ه) فی کتابه «عمدة الطالب فی أنساب آل أبی طالب»، قال: «الإمام أبو محمّد الحسن العسکری (ع) کان من الزهد والعلم علی أمر عظیم، وهو والد الإمام محمّد المهدی صلوات الله علیه، ثانی عشر الأئمّة عند الإمامیّة، وهو القائم المنتظر عندهم، من أُمّ ولد اسمها نرجس، واسم أخیه أبو عبد الله جعفر الملقّب بالکذّاب لادّعائه الإمامة بعد أخیه الحسن» (۴).

۵- أبو المعالی محمّد سراج الدین الرفاعی (ت ۸۸۵ ه): فی کتابه «صحاح الأخبار فی نسب السادة الفاطمیّة الأخیار» حیث قال: «وکان له (أی: الإمام الهادی) خمسة أولاد: الإمام الحسن العسکری والحسین ومحمّد وجعفر وعائشة، فالحسن العسکری أعقب صاحب السرداب الحجّة المنتظر،

۱- سرّ السلسلة العلویّة، أبو نصر البخاری، صص ۴۰ و ۴۱.

۲- المجدی فی أنساب الطالبیّین، علیّ بن محمّد العلوی العمری، ص ۱۳۰.

۳- الشجرة المبارکة، الفخر الرازی، صص ۷۸ و ۷۹.

۴- عمدة الطالب، ابن عنبة، ص ۱۹۹.

ص: ۱۱۰

ولیّ الله الإمام محمّد المهدی (عج) ...» (۱).

۶- محمّد أمین السویدی (ت ۱۲۴۶ ه): فی کتابه «سبائک الذهب فی معرفة قبائل العرب»، قال: «محمّد المهدی: وکان عمره عند وفاة أبیه خمس سنین، وکان مربوع القامة، حسن الوجه والشعر، أقنی الأنف، صبیح الجبهة» (۲).

اعتراف علماء السنّة بولادة الإمام المهدی (عج)

اعترف جملة کبیرة من علماء أهل السنّة بولادة الإمام المهدی (عج)، وهم ما بین ذاکر لولادته، زاعم أنّه ناقل لرأی الشیعة- ولکنّنا فی الوقت نفسه لم نجدهم یذکرون لنا متی وکیف توفّی الإمام المهدی (عج)؟ مع أنّ السیرة المعروفة عندهم هی أن تذکر الوفیات لکلّ من یترجم له، أو من تذکر سیرته عندهم، وهذا دأبهم فی مثل هذه الموارد، وهذا واضح وبدیهی (۳)، ولکنّنا نجد أنّ الصمت یلف هذه المسألة! ولیتهم سألوا أنفسهم عن هذا السرّ؟! إذن فیدور حالهم بین أمرین: إمّا أن یذعنوا ویعترفوا بما تقول به الشیعة من غیبته (عج)، أو أن یعطوا للقارئ المبرّر الموضوعی والعقلائی لهذا السکوت- ومنهم من هو

۱- صحاح الأخبار فی نسب السادة الفاطمیّة الأخیار، صص ۵۵ و ۵۶. نقلًا عن شرح إحقاق الحقّ، ج ۱، ص ۶۲۳.

۲- سبائک الذهب فی معرفة قبائل العرب، محمّد أمین السویدی، ص ۳۴۶. نقلًا عن شرح إحقاق الحقّ، ج ۲۹، ص ۱۱۶.

۳- فی حین أنّ الذهبی والصفدی وغیرهم، عند ترجمتهم للإمام الحسن العسکری ۷ یذکرون ابنه القائم المهدی ۷؛ ولکن یقولون هذه العبارة: «عُدِم، ولم یعلم کیف مات ..» ولم یذکروا لنا فی أیّ سنة مات؟ وکیف وأین ومتی؟ وهذه العبارة فیها اعتراف ضمنی بولادته؛ لأنّهم لا یعلمون کیف مات، کما هو صریح عبارتهم. أُنظر: تاریخ الإسلام، الذهبی، ج ۱۹، ص ۱۱۳؛ الوافی بالوفیات، الصفدی، ج ۱۲، ص ۷۰.

ص: ۱۱۱

موافق بما تقول به الإماميّة الاثنا عشريّة.

وعليه نستطيع القول: إنّ هناك اتّفاقاً على ولادته فى الجملة، وهذا كاف فى رفع هذا الإشكال.

يقول مصطفى الرافعى فى كتابه «إسلامنا» بعد أن ذكر جملة من علماء السنّة الذين قالوا بولادته: «وكثير غيرهم من علماء السنّة الأجلّاء الذين ذاع صيتهم ويذكرون بكلّ إعجاب وتقدير، هؤلاء وكثير غيرهم ممّن لا يتّسع المقام لذكرهم يقولون بمقولة الإماميّة من أنّ المهدى هو محمّد بن الحسن العسكرى وأنّه حىّ ... ولا يجدون فى مقولتهم هذه ما يناهض العقل، وبخاصّة إذا اعتبرت حياة المهدى من الأُمور الخارقة للعادة، كالتى أجراها الله معجزة لبعض أنبيائه أو كرامة لبعض أوليائه، وذلك كحياة المسيح والخضر من الأتقياء، وإبليس والدجّال من الأشقياء» (۱).

وقد ذكر الشيخ مهدى فقيه إيمانى فى كتابه «المهدى المنتظر فى نهج البلاغة» مائة واثنين من علماء أهل السنّة الذين قالوا بولادته مكتفياً بذكر الأسماء والمصادر، ونحن نكتفى بذكر بعضهم مع ذكر مضمون كلامهم، محيلين القارئ الكريم مراجعة الكتاب المذكور.

لذا سنذكر جملة من هؤلاء العلماء الذين صرّحوا بولادته، وهم كالتالى:

۱- ابن الأثير الجزرى (ت ۶۳۰ ه): فى كتابه «الكامل فى التاريخ» فى حوادث سنة (۲۶۰ ه) قال: «وفيها توفّى أبو محمّد العلوى العسكرى، وهو أحد الأئمّة الاثنى عشر، على مذهب الإماميّة، وهو والد محمّد الذى يعتقدونه المنتظر ...» (۲).

۱- مصطفى الرافعى، إسلامنا: ص ۱۹۲.

۲- الكامل فى التاريخ: ج ۷، ص ۲۷۴.

ص: ۱۱۲

۲- محيى الدين بن العربى (ت ۶۳۸ ه): نقلًا عن الشعرانى فى كتابه «اليواقيت والجواهر» قال:

«وعبارة الشيخ محيى الدين فى الباب السادس والستّين وثلاثمائة من الفتوحات: واعلموا أنّه لابدّ من خروج المهدى (عج)، ولكن لا يخرج حتّى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً، فيملأها قسطاً وعدلًا، ولو لم يكن من الدنيا إلّا يوم واحد طول اللّه تعالى ذلك اليوم حتّى يلى ذلك الخليفة، وهو من عترة رسول الله (ص) من ولد فاطمة، وجدّه الحسين بن علىّ بن أبى طالب، ووالده حسن العسكرى ابن الإمام علىّ النقى» (۱).

وهذه العبارة التى نقلها الشعرانى عن ابن العربى قد حذفت من النسخ المطبوعة، وهذا خلاف الأمانة العلميّة، لذا أدرج الشيخ مهدى فقيه إيمانى نسخة مصورة من الفصل المتعلّق بالموضوع فى كتابه «المهدى عند أهل السنة»، وهذا إن دلّ فهو يشير إلى حقيقة ولادة الإمام المهدى (عج)، لذا نجد أنّ النصوص تارةً تقطّع وتارةً تحذف.

۳- كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعى (ت ۶۵۲ ه) (۲) فى كتابه «مطالب السؤول فى مناقب آل الرسول»، قال: «محمّد بن الحسن الخالص بن علىّ المتوكّل بن محمّد القانع بن علىّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علىّ زين العابدين بن الحسين الزكى بن علىّ المرتضى أمير المؤمنين بن أبى طالب، المهدى الحجّة الخلف الصالح المنتظر عليهم

۱- الشعرانى، اليواقيت والجواهر: ج ۲، ص ۱۴۳.

۲- ترجم له الذهبى قائلًا: «العلّامة الأوحد كمال الدين أبو سالم محمّد بن طلحة بن محمّد بن حسن القرشى العدوى النصيبى الشافعى، ولد سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، وبرع فى المذهب وأُصوله». سير أعلام النبلاء، ج ۲۳، ص ۲۹۳.

ص: ۱۱۳

السلام ورحمة الله وبركاته. ثمّ ذكر أبياتاً رائعة من الشعر:

فهذا الخلف الحجّة قد أيّده الله هداه منهج الحقّ وأتاه سجاياه

وأعلى فى ذرى العليا بالتأييد مرقاه وقد وآتاه حلى فضل عظيم فتحلّاه

قال رسول الله قولًا قد رويناه وذو العلم بما قال إذا أدرك معناه

ترى الأخبار فى المهدى جاءت بمسمّاه وقد أبداه بالنسبة والوصف وسمّاه

إلى آخر أبياته، ثمّ قال: «فأمّا مولده فبسر من رأى فى ثالث وعشرين رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين للهجرة» (۱).

۴- سبط ابن الجوزى الحنفى (ت ۶۵۴ ه) (۲):

فى كتابه «تذكرة الخواص» فصل فى ذكر الحجّة المهدى، قال:

«هو محمّد بن الحسن بن علىّ بن محمّد بن علىّ بن موسى الرضا بن جعفر بن محمّد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب، وكنيته أبو عبد الله وأبو القاسم، وهو الخلف الحجّة صاحب الزمان، القائم المنتظر، والتالى، وهو آخر الأئمّة ...» (۳).

۵- محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجى الشافعى (ت ۶۵۸ ه) (۴):

۱- مطالب السؤول فى مناقب آل الرسول، ج ۲، ص ۱۵۲.

۲- قال اللكنوى: «يوسف بن فرغلى بن عبد الله البغدادى سبط الحافظ أبى الفرج ابن الجوزى الحنبلى تفقّه وبرع وسمع من جدّه لأُمّه ابن الجوزى، وكان بتربيته حنبليّاً ... ثمّ صار حنفيّاً، وكان عالماً فقيهاً واعظاً ... فارساً فى البحث مفرطاً فى الذكاء». الفوائد البهيّة فى تراجم الحنفيّة، محمّد بن الحسين اللكنوى، ص ۲۳.

۳- تذكرة الخواصّ، ص ۳۲۵.

۴- قال الذهبى: «محمّد بن يوسف بن محمّد. الفخر الكنجى، نزيل دمشق. عنى بالحديث، وسمع الكثير، ورحل وحصل .. وكان فقيهاً محدّثاً». تاريخ الإسلام، ج ۴۸، ص ۳۶۹.

ص: ۱۱۴

فى كتابه «كفاية الطالب»، قال: «ودفن فى داره بسر من رأى، فى البيت الذى دفن فيه أبوه، وخلّف ابنه، وهو الإمام المنتظر صلوات الله ..» (۱).

وفى كتابه الآخر الذى أسماه «البيان فى أخبار صاحب الزمان» فى الباب الخامس والعشرين فى الدلالة على كون المهدى حيّاً باقياً منذ غيبته إلى الآن، قال: «ولا امتناع فى بقائه بدليل بقاء عيسى وإلياس والخضر من أولياء الله تعالى، وبقاء الدجّال وإبليس الملعونين من أعداء الله تعالى ...» (۲).

۶- ابن خلّكان: (ت ۶۸۱ ه) (۳): فى كتابه «وفيات الأعيان» تحت عنوان «الحجّة المنتظر»، قال: «أبو القاسم محمّد بن الحسن العسكرى بن علىّ الهادى بن محمّد الجواد المذكور قبله، ثانى عشر الأئمّة الاثنى عشر على اعتقاد الإماميّة، المعروف بالحجّة، وهو الذى تزعم الشيعة أنّه المنتظر، والقائم، والمهدى .. كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولمّا توفّى أبوه ... كان عمره خمس سنين» (۴).

۷- الجوينى الشافعى (ت ۷۲۲ ه) (۵): فى كتابه «فرائد السمطين» ذكر عدّة روايات فى عدد الأئمّة وأسمائهم، ونصّ على أنّ المهدى هو الحجّة القائم

۱- كفاية الطالب فى مناقب أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب ۷، ص ۳۱۲.

۲- البيان فى أخبار صاحب الزمان، ص ۱۴۸.

۳- قال الذهبى: «كان فاضلًا بارعاً متفنّنا عارفاً بالمذهب ... كثير الاطّلاع وافر الحرمة ..». تاريخ الإسلام، ج ۵۱، صص ۶۵ و ۶۶.

۴- وفيّات الأعيان، ج ۴، ص ۱۷۶.

۵- تقدّمت ترجمته، وقلنا: إنّه شيخ الذهبى، وصفه الذهبى بكونه الإمام الأوحد الأكمل، وكان ديّناً.

ص: ۱۱۵

المنتظر، كما نجد ذلك واضحاً عند ذكره لحديث اللوح، حيث ذكر الأئمّة الاثنى عشر واحداً واحداً، وأنّ آخرهم القائم، المهدى المنتظر بن الحسن العسكرى (۱).

وأخرج كذلك بسنده إلى دعبل الخزاعى عن الإمام الرضا (ع)، قال: «يا دعبل، الإمام بعدى محمّد ابنى، وبعد محمّد ابنه علىّ، وبعد علىّ ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم المنتظر فى غيبته، المطاع فى ظهوره ...» (۲).

۸- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علىّ (ت ۷۳۲ ه) (۳): فى تاريخه «المختصر فى تاريخ البشر» عند ذكره لوفاة الإمام الحسن العسكرى فى أحداث سنة (۲۵۴ ه)، قال: «والحسن العسكرى (ع) المذكور هو والد محمّد المنتظر صاحب السرداب، والمنتظر ثانى عشرهم، ويلقّب أيضاً القائم والمهدى والحجّة، ومولد المنتظر سنة خمس وخمسين ومائتين» (۴).

۹- شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت ۷۴۸ ه):

فى كتابه «تاريخ الإسلام» فى ترجمة الإمام الحسن العسكرى (ع)، فقال: «وأمّا ابنه محمّد بن الحسن الذى يدعوه الرافضة القائم الخلف الحجّة، فولد سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة ستّ وخمسين، عاش بعد أبيه سنتين، ثمّ عُدم، ولم يعلم كيف مات ...» (۵).

۱- فرائد السمطين، ج ۲، صص ۱۳۶- ۱۴۱.

۲- فرائد السمطين، ج ۲، ص ۳۳۷.

۳- قال السبكى: «كان رجلًا فاضلًا نظم الحاوى فى الفقه، وصنّف تقويم البلدان وتاريخاً حسناً». طبقات الشافعيّة الكبرى، ج ۹، صص ۴۰۳ و ۴۰۴.

۴- المختصر فى أخبار البشر، ج ۲، ص ۴۵.

۵- تاريخ الإسلام، ج ۱۹، ص ۱۱۳، حوادث سنة (۲۵۱- ۲۶۰ ه).

ص: ۱۱۶

۱۰- محمّد بن يوسف الزرندى الشافعى (ت ۷۵۰ ه) (۱) فى كتابه (معراج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول) قال: «الإمام أبو القاسم محمّد بن الحسن ... وكان مولده على ما نقلته الشيعة ليلة الجمعة للنصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، بسرّ من رأى فى زمان المعتمد، وأُمّه: نرجس بنت قيصر الروم، أُمّ ولد، وكان نقش خاتمه: الله عصمتى، ومحمّد حجّتى، وعلىّ قوّتى» (۲).

۱۱- خليل بن أيبك الصفدى الشافعى (ت ۷۶۴ ه): فى كتابه (الوافى بالوفيات) عند ترجمته للإمام الحسن العسكرى (ع): «وأمّا ابنه محمّد الحجّة الخلف الذى تدّعيه الرافضة، فولد سنة ثمان وخمسين، وقيل: ستّ وخمسين، عاش بعد أبيه سنتين ومات، عُدِمَ، ولم يعلم كيف مات ...» (۳).

۱۲- أحمد بن علىّ بن حجر العسقلانى (ت ۸۵۲ ه): فى كتابه (لسان الميزان) عند ترجمته لجعفر الكذّاب، قال: «أخو الحسن الذى يقال له العسكرى، وهو الحادى عشر من الأئمّة الإماميّة ووالد محمّد صاحب السرداب ...» (۴).

۱۳- نور الدين علىّ بن الصبّاغ المالكى (ت ۸۵۵ ه): فى كتابه (الفصول

۱- قال ابن حجر العسقلانى: «كان عالماً، وأرّخ مولده سنة ۶۹۳، ووفاته بشيراز سنة بضع وخمسين وسبعمائة ... بعد أبيه بالمدينة، وصنّف كتباً عديدة، ودرّس فى الفقه والحديث، ثمّ رحل إلى شيراز فولّى القضاء بها حتّى مات سنة سبع أو ثمان وأربعين». الدرر الكامنة، ج ۶، ص ۵۰.

۲- معراج الأُصول فى معرفة آل الرسول، الزرندى الشافعى، ص ۱۸۱.

۳- الوافى بالوفيات، ج ۱۲، ص ۷۰.

۴- لسان الميزان، ج ۲، ص ۱۱۹.

ص: ۱۱۷

المهمّـة فى معرفـة الأئمّـة)، قال: «ولـد أبو القاسم محمّد الحجّة بن الحسن الخالص بسـرّ من رأى، ليلة النصف من شـعبان سـنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة، وأمّا نسبه أباً وأمّاً، فهو أبوالقاسم محمّد الحجّة بن الحسن الخالص بن علىّ الهادى بن محمّد الجواد بن علىّ الرضا بن موسـى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علىّ زين العابدين بن الحسـين بن علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليهم أجمعين ... وأمّا لقبه فالحجّة والمهدى والخلف الصالح والقائم المنتظر وصاحب الزمان، وأشهرها المهدى ...» (۱).

۱۴- الفضل بن روزبهان (ت بعد ۹۰۹ ه) (۲).

فى كتابه (إبطال الباطل): نظم أبياتاً شـعريّة رائعة فى فضل أهل البيت (عليهم السلام) واحداً تلو الآخر، ثمّ ذكر القائم المنتظر، وأنّه من سلالة الحسن العسكرى، وأنّه سيملأ الأرض عدلًا، وبذلك فهو ينصّ على الاثنى عشر إماماً، كما سترى من هذا النظم الشعرى.

قال: «ونعم ما قلت فيهم منظوماً:

۱- الفصول المهمّة فى معرفة الأئمّة، ابن الصبّاغ المالكى، ج ۲، ص ۱۱۰۴.

۲- قال السخاوى: «فضل الله بن روزبهان الخنجى الأصل الشافعى الصوفى». الضوء اللامع، ج ۶، ص ۷۱.

ص: ۱۱۸

سلام علی المصطفی المجتبی سلام علی ستّنا فاطمهٔ

سلام علی المسک أنفاسه سلام علی الأورعیّ الحسین

سلام علی سیّد العابدین سلام علی الباقر المهتدی

سلام علی الکاظم الممتحن سلام علی الثامن المؤتمن

سلام علی المتّقی التقی سلام علی الأریحیّ النقی

سلام علی السیّد العسکری سلام علی القائم المنتظر

سیطلع کالشمس فی غاسق تری یملأ الأرض من عدله

س--- لام علی---- ه وآب-- ائ------ ه سلام علی السیّد المرتضی

مَن اختارها الله خیر النسا علی الحسن الألمعیّ الرضا

شهید یری جسمه کربلا علیّ بن الحسین المجتبی

سلام علی الصادق المقتدی رضی السجایا إمامِ التقی

علیّ الرضا سیّد الأصفیا محمّد الطیّب المرتجی

علیّ المکرّم هادی الوری إمام یجهّز جیش الصفا

أبی القاسم العرم نور الهدی ینجیه من سیفه المنتقی

کما ملئت جور أهل الهوی وأنص---- اره ما تدوم السما» (۱)

۱۵- محمّد بن طولون الدمشقی الحنفی (ت ۹۵۳ ه) (۲) فی کتابه «الأئمّهٔ الاثنا عشر»، قال: «وثانی عشرهم: ابنه محمّد بن الحسن، وهو أبو القاسم محمّد بن الحسن بن علیّ الهادی بن محمّد الجواد بن علیّ الرضا بن موسی الکاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علیّ زین العابدین بن الحسین بن علیّ بن أبی طالب ... کانت ولادته یوم الجمعهٔ منتصف شعبان، سنهٔ خمس وخمسین ومائتین» (۳).

۱۶- القاضی حسین بن محمّد الدیار بکری (ت ۹۶۶ ه):

فی کتابه (تاریخ الخمیس)، قال: «وفی سنهٔ ستّین ومائتین، مات الحسن بن علیّ الجواد بن الرضا العلوی، أحد الأئمّهٔ الاثنی عشر الذین تعتقد الرافضهٔ

۱- نقلًا عن کتاب إلزام الناصب، علیّ الیزدی الحائری، ص ۲۹۹.

۲- قال الزرکلی: «مؤرخ عالم بالتراجم والفقه ... کانت أوقاته معمورهٔ کلّها بالعلم والعبادهٔ». الأعلام، ج ۶، ص ۲۹۱.

۳- الأئمّهٔ الاثنا عشر، ابن طولون، صص ۱۱۷ و ۱۱۸.

ص: ۱۱۹

عصمتهم، وهو والد منتظرهم محمّد بن الحسن» (۱).

۱۷- عبد الوهّاب بن أحمد الشعرانى الشافعى (ت ۹۷۳ ه):

فى كتابه (اليواقيت والجواهر) فى المبحث الخامس والستّين من الجزء الثانى، فى بيان أنّ جميع أشراط الساعة التى أخبرنا بها الشارع حقّ لابدّ أن تقع كلّها قبل قيام الساعة، قال: «وذلك لخروج المهدى، ثمّ الدجّال، ثمّ نزول عيسى- إلى أن قال-: ثمّ تأخذ فى ابتداء الاضمحلال إلى أن يصير الدين غريباً كما بدأ، وذلك الاضمحلال يكون بدايته من مضى ثلاثين سنة من القرن الحادى عشر، فهناك يترقّب خروج المهدى، وهو من أولاد الإمام الحسن العسكرى، ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم، فيكون عمره إلى وقتنا هذا- وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة- سبعمائة وثلاث سنين» (۲).

۱۸- ابن حجر الهيتمى الشافعى (ت ۹۷۴ ه): فى كتابه «الصواعق المحرقة»، قال: «أبو محمّد الحسن الخالص ... مات بسرّ من رأى، ودفن عند أبيه وعمّه، وعمره ثمانية وعشرون سنة. ويقال: إنّه سُمّ أيضاً، ولم يخلّف غير ولده أبى القاسم محمّد الحجّة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة، ويسمّى القائم المنتظر، قيل: لأنّه سُتر بالمدينة، وغاب فلم يعرف أين ذهب» (۳).

۱۹- الملّا علىّ القارى (ت ۱۰۱۴ ه):

فى كتابه «مرقاة المفاتيح» معلّقاً على حديث «الاثنى عشر من قريش»، قال:

۱- تاريخ الخميس، القاضى حسين الديار بكرى، ج ۲، ص ۳۴۳.

۲- المصدر نفسه، ج ۱، ص ۲۹۲.

۳- الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمى، صص ۳۱۳ و ۳۱۴.

ص: ۱۲۰

«قلت: وقد حمل الشيعة الاثنى عشر على أنّهم من أهل بيت النبوّة متواليةً، أعمّ من أن تكون لهم خلافة حقيقيّة أو استحقاقاً، فأوّلهم عليّ، فالحسن، فالحسين، فزين العابدين، فمحمّد الباقر، فجعفر الصادق، فموسى الكاظم، فعليّ الرضا، فمحمّد التقى، فعلى النقى، فحسن العسكرى، فمحمّد المهدى، على ما ذكره زبدة الأولياء خواجة محمّد بارسا فى كتاب «فصل الخطاب» مفصّلة، وتبعه مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامى فى أواخر «شواهد النبوّة» وذكر فضائلهم ومناقبهم وكراماتهم ومقاماتهم مجملة، وفيه ردّ على الروافض، حيث يظنّون بأهل السنّة أنّهم يبغضون أهل البيت باعتقادهم الفاسد ووهمهم الكاسد» (۱).

۲۰- ابن العماد الحنبلى (ت ۱۰۸۹ ه):

فى كتابه «شذرات الذهب فى أخبار من ذهب»، قال: «وفيها: [أى: سنة ۲۶۰ ه توفى] الحسن بن علىّ بن محمّد الجواد بن علىّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوى الحسينى، أحد الاثنى عشر الذين تعتقد الرافضة فيهم العصمة، وهو والد المنتظر محمّد صاحب السرداب» (۲).

۲۱- سليمان بن إبراهيم القندوزى الحنفى (ت ۱۲۹۴ ه): فى كتابه «ينابيع المودّة» الباب التاسع والسبعون فى ذكر ولادة القائم المهدى، قال: «فالخبر المعلوم المحقّق عند الثقات أنّ ولادة القائم كانت ليلة الخامس عشر من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين فى بلدة سامراء» (۳).

۲۲- خير الدين الزركلى (ت ۱۴۱۰ ه):

فى كتابه «الأعلام»، قال: «محمّد بن الحسن العسكرى «الخالص» بن علىّ الهادى، أبوالقاسم: آخر الأئمّة الاثنى عشر عند الإماميّة، وهو المعروف

۱- مرقاة المفاتيح، الملّا علىّ القارى، ج ۹، ص ۳۸۶۴.

۲- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلى، ج ۲، ص ۲۹۰.

۳- ينابيع المودّة لذوى القربى، ج ۳، ص ۳۰۶.

ص: ۱۲۱

عندهم بالمهدى، وصاحب الزمان، والمنتظر، والحجّة، وصاحب السرداب، ولد فى سامراء ...» (۱).

۲۳- محمّد ناصر الألبانى (معاصر):

فى كتابه «التعليقات الرضيّة على شرح الروضة النديّة» لمؤلّفه صديق حسن خان (ت ۱۳۰۷ ه) فصل «فى بيان اعتبار الكفاءة فى النكاح»، قال: «قال الماتن (رحمة الله) ومن هذا القبيل استثناء الفاطميّة من قوله: (ويغتفر برضا الأعلى والولىّ) وجعل بنات فاطمة أعلى قدراً وأعظم شرفاً من بنات رسول الله (ص) لصلبه، فيا عجباً!!. .. ثمّ يقول: انظر أُمّهات العترة الطاهرة الذين هم قدوة السادة وأُسوة القادة فى كلّ خير ودين مَن كنّ؟ فأُمّ أبى العترة الإمام زين العابدين علىّ بن الحسين شهربانو بنت يزدجرد بن شهريار بن شيرويه بن خسرو برويز بن هرمز بن نوشيروان- ملك الفرس- وأُمّ الإمام موسى الكاظم أُمّ ولد، اسمها حميدة، وأُمّ الإمام علىّ الرضا بن موسى الكاظم أُمّ ولد أيضاً، اسمها تكتم، وأُمّ الإمام علىّ بن محمّد بن علىّ المذكور الملقّب بالجواد والتقى أُمّ ولد، اسمها خيزران، وقيل: ريحانة، وأُمّ الإمام علىّ بن محمّد الملقّب بالهادى والعسكرى أُمّ ولد، اسمها سمانة، وأُمّ الإمام حسن بن علىّ الملقّب بالزكى والخالص والعسكرى أُمّ ولد، اسمها سوسن، وأُمّ الإمام محمّد بن حسن الملقّب بالحجّة والقائم والمهدى أُمّ ولد، اسمها نرجس، وهكذا كان شأن التزوّج فى أصحاب رسول الله (ص) لم يعرج أحد منهم على الكفاءة فى النسب» (۲).

ونكتفى بنقل هذا المقدار من الأقوال التى فيها دلالة واضحة على ولادة الإمام المهدى (عج)، وننتقل إلى الروايات الشيعيّة الصحيحة التى صرّحت

۱- الأعلام، ج ۶، ص ۸۰.

۲- التعليقات الرضيّة على الروضة النديّة، محمّد ناصر الألبانى، ج ۲، ص ۱۵۱.

ص: ۱۲۲

بالولادة، وكذلك الشهادات والوثائق التى تدلّ على إثبات ذلك.

الروايات الدالّة على ولادة الإمام المهدى (عج) من طرق الشيعة

اشارة

من الواضحات والمسلّمات عند مذهب الإماميّة الاثنى عشريّة إمامة وولادة الإمام المهدى (عج)، وهذا ليس محلًّا للجدل؛ ولكنّا نجد أنّ الدكتور القفارى يشكّك فيما ترويه الطائفة، مدّعياً أنّ كتب الشيعة تخلو من ذلك؛ لذا سنضطرّ لنقل بعض الروايات الصحيحة والشواهد والوثائق التى تدلّ على ذلك.

الإمام الحسن العسكرى (ع) يخبر بولادة الإمام المهدى (عج)

الرواية الأُولى:

روى الكلينى [بسند صحيح] عن محمّد بن يحيى العطّار، عن أحمد بن إسحاق، عن أبى هاشم الجعفرى، قال: «قلت لأبى محمّد (ع): جلالتك تمنعنى من مسألتك، فتأذن لى أن أسألك؟ فقال: «سل»، قلت: يا سيّدى، هل لك ولد؟ فقال: «نعم»، فقلت: فإن حدث بك حدث فأين أسأل عنه؟ قال: «بالمدينة» (۱).

ترجمة السند:

۱- محمّد بن يحيى العطّار: ثقة عين، قال النجاشى: «محمّد بن يحيى أبو جعفر العطّار القمّى، شيخ أصحابنا فى زمانه، ثقة، عين، كثير الحديث» (۲). وكذلك أورد العلّامة الحلّى فى «خلاصته» نفس كلام النجاشى (۳).

۲- أحمد بن إسحاق: هو ابن سعد الأشعرى، ثقة، قال النجاشى فى «رجاله»: «وكان خاصّة أبى محمّد (ع)» (۴).

۱- الكافى، ج ۱، ص ۳۲۸.

۲- رجال النجاشى، النجاشى، ص ۳۵۳.

۳- خلاصة الأقوال، الحلّى، ص ۲۶۰.

۴- رجال النجاشى، ص ۹۱.

ص: ۱۲۳

وقال الطوسى فى «رجاله»: «أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعرى، قمّى ثقة» (۱).

وقال فى «الفهرست»: «كان من خواصّ أبى محمّد (ع)، ورأى صاحب الزمان (عج)، وهو شيخ القمّيين ووافدهم» (۲).

۳- أبو هاشم الجعفرى: هو داود بن القاسم يكنّى أبا هاشم، ثقة، عظيم المنزلة.

قال النجاشى والطوسى فى رجالهما: «كان عظيم المنزلة عند الأئمّة (عليهم السلام)، شريف القدر، ثقة» (۳).

إذن فالرواية فى غاية الصحّة والوثاقة.

أمّا دلالة الرواية فواضحة فى النصّ الصريح الذى يخبر به الإمام العسكرى (ع) بولادة ابنه المهدى (عج).

الرواية الثانية:

وروى الكلينى أيضاً فى «الكافى» والمفيد فى «الإرشاد» بسند صحيح عن علىّ بن محمّد، عن محمّد بن علىّ بن بلال، قال: «خرج إلىّ من أبى محمّد قبل مضيّه بسنتين يخبرنى بالخلف من بعده، ثمّ خرج إلىّ من قبل مضيّه بثلاثة أيّام يخبرنى بالخلف من بعده» (۴).

ترجمة السند:

۱- علىّ بن محمّد: هو القاضى أبوالحسن علىّ بن بندار بن محمّد، وهو من

۱- رجال الطوسى، ص ۳۹۷.

۲- رجال النجاشى، ص ۳۵۳.

۳- المصدر نفسه، ص ۱۶۵؛ رجال الطوسى، ص ۳۷۵.

۴- الكافى، ج ۱، ص ۳۲۸؛ الإرشاد، ج ۲، ص ۳۴۸.

ص: ۱۲۴

مشايخ الكلينى والصدوق، قال الشيخ منتجب الدين فى (فهرسته): «القاضى أبو الحسن علىّ بن بندار بن محمّد الهوشمى، فاضل، ثقة» (۱).

وقال الأردبيلى فى «جامع الرواة»: «علىّ بن بندار بن محمّد الهوشمى القاضى أبوالحسن، فاضل ثقة» (۲).

۲- محمّد بن علىّ بن بلال: وثّقه الشيخ الطوسى فى «رجاله» قائلًا: «محمّد بن علىّ بن بلال، ثقة» (۳).

وقال العلّامة الحلّى فى «الخلاصة»: «أحمد بن علىّ بن بلال، من أصحاب أبى محمّد العسكرى (ع)، ثقة» (۴).

ونقل السيّد الخوئى فى «معجمه» وثاقته قائلًا: «والمتلخّص من جميع ما ذكرنا: أنّ الرجل كان ثقة مستقيماً ... فلا مانع من العمل برواياته، بناء على كفاية الوثاقة فى حجّية الرواية، كما هو الصحيح» (۵).

إذن فالرواية صحيحة، ودلالتها واضحة فى إخبار الإمام الحسن العسكرى بولادة وإمامة الخلف من بعده (عليهما السلام).

الرواية الثالثة:

روى الصدوق بسنده عن أبى الغنائم خادم الإمام ۷، قال: ولد لأبى محمّد (ع) ولد، فسمّاه محمّداً، فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال: «هذا صاحبكم من بعدى وخليفتى عليكم، وهو القائم الذى تمتدّ إليه الأعناق

۱- معجم رجال الحديث، الخوئى، ج ۱۲، ص ۳۰۹.

۲- جامع الرواة، الأردبيلى، ج ۱، ص ۵۶۰.

۳- رجال الطوسى، ص ۴۰۱.

۴- خلاصة الأقوال، ص ۲۴۲.

۵- معجم رجال الحديث، ج ۱۷، صص ۳۳۲- ۳۳۵.

ص: ۱۲۵

بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلًا» (۱).

وممّا تقدّم من صحّة الروايتين السابقتين نقطع بصحّة هذه الرواية أيضاً؛ لأنّها تعطى نفس مدلول ومضمون تلك الروايات، بغض النظر عن السند.

وهناك روايات مستفيضة ولعلّها تصل إلى التواتر، تؤكّد هذا المعنى، ولك أن تراجع كتاب «الكافى» (۲).

وكتاب «الغيبة» للشيخ الطوسى (۳). وكتاب «إكمال الدين وتمام النعمة» (۴)، وغيرها من الكتب فى هذا المجال، والتى تدلّ على ما ندّعيه.

الشهادات الحسية لولادة الإمام المهدى (عج)

۱- شهادة من رآه من أصحابه ومن كان معه ومع أبيه ۸

إنّ من أوضح الأدلّة الحسّيّة والملموسة التى دلّت على ولادته (عج) هى شهادة من رآه من أصحابه، ومن كان معه ومع أبيه.

وهذه الشهادات لا يمكن أن يتطرّق إليها الشكّ؛ لصحّة متنها بغضّ النظر عن أسانيدها؛ لأنّه قد تقدّم ذكرنا للروايات الصحيحة الدالّة على ولادته، وكذلك عضدناها بأقوال أهل السنّة التى تصرّح بذلك، وكذلك كثرتها وشهرتها وتعدّد طرقها، إذن فلا نحتاج لتصحيح السند.

ونذكر منهم:

۱- حكيمة بنت محمّد بن علىّ (ع):

۱- كمال الدين وتمام النعمة، ص ۴۳۱.

۲- الكافى، ج ۱، ص ۳۲۸.

۳- الغيبة، الطوسى، ص ۲۳۴.

۴- كمال الدين وتمام النعمة، ص ۴۳۱.

ص: ۱۲۶

روى الكلينى وتبعه المفيد، واللفظ للأوّل بسنده عن موسى بن محمّد بن القاسم، قال: «حدّثتنى حكيمة بنت محمّد بن علىّ- وهى عمّة أبيه- أنّها رأته ليلة مولده وبعد ذلك» (۱).

وروى الصدوق بسنده عن حكيمة بنت الإمام محمّد الجواد (ع)، قالت: «بعث إلىّ أبومحمّد الحسن بن علىّ (ع)، فقال: «يا عمّة اجعلى إفطارك هذه الليلة عندنا، فإنّها ليلة النصف من شعبان، فإنّ الله تبارك وتعالى سيظهر فى هذه الليلة الحجّة، وهو حجّته فى أرضه ...»، ثمّ إنّ حكيمة عمّة الإمام العسكرى (ع) تتحدّث عن ولادة الإمام المهدى (عج) وتقول: فضممته إلىّ، فإذا أنا به نظيف، متنظّف، فصاح بى أبو محمّد (ع): «هلمّ إلىّ ابنى يا عمّة ...» (۲).

۲- محمّد بن عثمان العمرى:

روى الصدوق فى إكمال الدين بسند صحيح عن محمّد بن الحسن، قال: «حدّثنا عبدالله بن جعفر الحميرى، قال: قلت لمحمّد بن عثمان العمرى: إنّى أسألك سؤال إبراهيم ربّه جلّ جلاله حين قال: رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى، فأخبرنى عن صاحب هذا الأمر هل رأيته؟ قال: نعم، وله رقبة مثل ذى، وأشار بيده إلى عنقه» (۳).

۳- معاوية بن حكيم ومحمّد بن أيّوب بن نوح:

روى الصدوق بسنده عن معاوية بن حكيم، ومحمّد بن أيّوب بن نوح، ومحمّد بن عثمان العمرى، قالوا: «عرض علينا أبو محمّد الحسن بن علىّ (عليهما السلام) ونحن فى منزله، وكنّا أربعين رجلًا، فقال: «هذا إمامكم من بعدى، وخليفتى

۱- الكافى، ج ۱، ص ۳۳۱؛ الإرشاد، ج ۲، ص ۳۵۱.

۲- كمال الدين، صص ۴۲۴ و ۴۲۵.

۳- المصدر نفسه، ص ۴۳۵.

ص: ۱۲۷

عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدى فى أديانكم فتهلكوا، أما إنّكم لا ترونه بعد يومكم هذا»، قالوا: فخرجنا من عنده، فما مضت إلّا أيّام قلائل حتّى مضى أبو محمّد (ع)» (۱).

۴- أبو عمرو العمرى:

روى المفيد بسنده عن حمدان القلانسى، قال: «قلت لأبى عمرو العمرى: قد مضى أبو محمّد، فقال لى: قد مضى، ولكن قد خلّف فيكم من رقبته مثل هذه- وأشار بيده» (۲).

۵- أبو عبد الله بن صالح:

روى الكلينى عن علىّ بن محمّد، عن محمّد بن علىّ بن إبراهيم، عن أبى عبد الله بن صالح: «أنّه رآه بحذاء الحجر والناس يتجاذبون عليه ...» (۳).

۶- يعقوب بن منقوش:

روى الصدوق بسنده عنه، قال: دخلت على أبى محمّد الحسن بن علىّ (ع) وهو جالس على دكّان فى الدار ... فقلت له: [يا] سيّدى، مَن صاحب هذا الأمر؟ فقال: «ارفع الستر»، فرفعته فخرج إلينا غلام خماسى له عشر أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين، أبيض الوجه، درّى المقلتين ... فجلس على فخذ أبى محمّد (ع)، ثمّ قال لى: «هذا صاحبكم ...» (۴).

۷- إبراهيم بن محمّد بن فارس النيسابورى:

وأيضاً روى عن فارس النيسابورى، قال: «لمّا هم الوالى عمر بن عوف بقتلى ... غلب علىّ خوف عظيم، فودّعت أهلى وأحبّائى، وتوجّهت إلى دار

۱- المصدر نفسه.

۲- الإرشاد، ج ۲، صص ۳۵۱ و ۳۵۲.

۳- الإرشاد، ج ۲، صص ۳۵۲ و ۳۵۳.

۴- كمال الدين و تمام النعمة، ص ۴۰۷.

ص: ۱۲۸

أبى محمّد (ع) لأُودّعه، وكنت أردت الهرب، فلمّا دخلت عليه رأيت غلاماً جالساً فى جنبه، وكان وجهه مضيئاً كالقمر ليلة البدر، فتحيّرت من نوره وضيائه ... فقلت لأبى محمّد (ع): يا سيّدى، جعلنى الله فداك، من هو؟- وقد أخبرنى بما كان فى ضميرى- فقال: «هو ابنى وخليفتى من بعدى» (۱).

وغيرهم الكثير ممّن رآه وتشرّف بلقائه ورؤيته، فقد أفرد الشيخ الكلينى باباً (فيمن رآه (ع))، وقد ذكر خمس عشرة رواية تدلّ على مشاهدته من قبل أصحابه (۲)، وكذلك الشيخ الصدوق (۳) والشيخ المفيد (۴) رحمهم الله، فراجع.

۲- إكثار العقائق عن الإمام المهدى (عج)

لعلّ واحدة من الإجراءات الإعلاميّة التى اتّخذها وسلكها الإمام العسكرى (ع) لإثبات ولادة ولده القائم المهدى (عج)، هى كثرة العقائق عن ولده، فقد حدّثتنا الروايات عن حالات اتّخذها الإمام جديرة بأن يُلتفت لها، منها:

أ- إنّه لم يعقّ عن أحد من مواليد الأئمّة (عليهم السلام) كما كان للإمام المهدى (عج)، فقد أمر وكيله عثمان بن سعيد بهذه المهمّة وكلّفه بشراء (عشرة آلاف رطل خبز ومثله من اللحم) وفرّقه على الفقراء.

روى الشيخ الصدوق بسنده عن أبى جعفر العمرى، قال: لمّا ولد السيّد [أى: الإمام المهدى] (عج)، قال أبو محمّد (ع): «ابعثوا إلى أبى عمرو [أى: عثمان بن سعيد]»، فبعث إليه فصار إليه، فقال له: «اشتر عشرة آلاف رطل خبز، وعشرة آلاف رطل لحم وفرّقه ... وعقّ عنه بكذا وكذا شاة» (۵).

۱- مستدرك الوسائل، الميرزا النورى، ج ۱۲، ص ۲۸۱.

۲- أصول الكافى، ج ۱، ص ۳۲۹.

۳- كمال الدين، صص ۴۴۲ و ۴۴۳.

۴- الإرشاد، ج ۲، ص ۳۵۱.

۵- كمال الدين وتمام النعمة، ص ۴۳۱.

ص: ۱۲۹

ب- تنوّع عـدد الأماکن التی أمر الإمام العسـکری (ع) بتفریق تلک العقائق فیها، وهـذا التعـدّد فیه دلالـة إعلامیّـة للإخبار بولادة ولـده صاحب الزمان (عـج)، حیث بعث بأربعـة من العقائق إلی صاحبه إبراهیم، وکتب إلیه بعـد البسـملة: «هذه عن ابنی محمّد المهدی، کُلْ منها وأطعم مَن وجدت من شیعتنا» (۱).

ولا یخفی أنّ هـذا الإخبـار هو للثقـات من أصـحابه فقـط، وإلّـا فالإمـام فی نفس الوقت کـان یـأمر بکتمان أمره؛ خوفاً علیه من بطش السلطات الحاکمة.

إذن بهذه الظاهرة أراد الإمام العسکری (ع) أن یوجّه أنظار الخواصّ من شیعته إلی ولادة ابنه المهدی (عج)؛ لأنّه کان یعلم بما سیؤول الأمر من بعده، وأنّ السلطات ستوحی للناس بأنّ الإمام لم یخلّف ولداً، ولذا جاء بهذا الإثبات لیطمئن شیعته بأنّ ولده هو المهدی، وهو من یتولّی أمر الإمامة من بعده.

۳- رؤیة الوکلاء له (عج)

وأیضاً من الشهادات الحسّیّة الواضحة، رؤیة الوکلاء له (عج)، ونذکر ما رواه الصدوق، حیث قال:

ورآه من الوکلاء ببغداد: العمری وابنه، وحاجز، والبلالی، والعطّار. ومن الکوفة: العاصمی.

ومن أهل الأهواز: محمّد بن إبراهیم بن مهزیار.

ومن أهل قمّ: أحمد بن إسحاق.

ومن أهل همدان: محمّد بن صالح.

ومن أهل الریّ: البسامی، والأسدی.

ومن أهل آذربیجان: القاسم بن العلاء.

۱- بحارالأنوار، ج ۵۱، ص ۲۸.

ص: ۱۳۰

ومن أهل نيسابور: محمّد بن شاذان.

ومن همدان: محمّد بن كشمرد، وجعفر بن حمدان، ومحمّد بن هارون بن عمران.

ومن الدينور: حسن بن هارون، وأحمد بن أخيه، وأبو الحسن.

ومن إصفهان: ابن باذشالة.

ومن الصيمرة: زيدان.

ومن قمّ: الحسن بن النضر، ومحمّد بن محمّد، و علىّ بن محمّد بن إسحاق، وأبوه، والحسن بن يعقوب.

ومن أهل الرىّ: القاسم بن موسى وابنه، وأبو محمّد بن هارون، وصاحب الحصاة، وعلىّ بن محمّد، ومحمّد بن محمّد الكلينى، وأبو جعفر الرفاء.

وغيرهم ممّن ذكرهم الصدوق (رحمة الله) (۱).

۴- تعامل السلطة العبّاسيّة بعد وفاة الإمام العسكرى (ع)

اشارة

ومن الأدلّة الحسّيّة أيضاً التى رافقت الأحداث المؤلمة بعد وفاة الإمام العسكرى (ع) هو تصرّف وتحرّى السلطة الحاكمة المتمثّلة بالخليفة المعتمد العباسى (ت ۲۷۹ ه)، فقام هذا الخليفة مباشرة بعد وفاة الإمام العسكرى (ع) بتفتيش داره وحبس جواريه واعتقال حلائله.

وقد تقدّم قول المفيد (رحمة الله): «وسعى فى حبس جوارى أبى محمّد (ع) واعتقال حلائله، وشنّع على أصحابه ... وجرى على مخلفى أبى محمّد (ع) بسبب ذلك كلّ عظيمة، من اعتقال وحبس وتهديد وتصغير واستخفاف وذلّ، ولم يظفر

۱- كمال الدين وتمام النعمة، صص ۴۴۲ و ۴۴۳.

ص: ۱۳۱

السلطان منهم بطائل» (۱).

وعلی ماذا یدلّ هذا الفعل وهذا التصرّف؟ ألا یکشف عن أنّ الخلیفة یؤمن بوجود أحادیث قد تواترت عن رسول الله بوجود مهدی من آل محمّد، وأنّه من ولد فاطمة، ومن ذرّیّة الحسین، ومن ولد الحسن العسکری (علیهما السلام)؟! قطعاً هذا الشعور وهذا الإیمان کان یراود خلجات وفکر المعتمد العبّاسی.

أمّا أن تکون الحجّة هی المطالبة بمیراث جعفر الکذّاب، فهذه القضیّة ممکن أن یکتفی بها فی القضاء، والطریق الشرعی لها- إن کان هناک حقّ تدّعیه السلطة- هو سلطة القضاء، لاسیما فی مثل هذه القضایا، أمّا أن تباشر السلطة بنفسها هذا الفعل، ومباشرة بعد وفاة الإمام العسکری (ع)، فهذا یکشف عن أنّ هناک أیماناً مسبقاً بوجود خلف وعقب للإمام العسکری، وهذا ما دلّت علیه الأحادیث السابقة کحدیث «الثقلین» وحدیث «الاثنی عشر» وحدیث «من مات ولیس فی عنقه بیعة» وغیرها، وهذه الأحادیث لم تکن غائبة عن مسامع الخلیفة، لذا جاءت هذه الإجراءات لتؤکّد هذا المعنی، ولکن شاءت القدرة والسنّة الإلهیّة أن تحفظ الولید کما حفظت موسی (ع) من قبله من فرعون.

خلاصة ما تقدّم

إذن ممّا تقدّم من روایات الفریقین وأقوال علمائهم وشهادة الإمام العسکری بولادة ابنه المهدی (عج)، وکذلک من خلال الشهادات الحسّیّة، کشهادة من رآه من أصحابه، وکثرة العقائق عنه، ورؤیة الوکلاء له، وممّن وقف علی معجزاته، وکذلک تصرّف السلطات العبّاسیّة مع هذا الحدث، کلّها شهادات تدلّنا وتثبت لنا ولادته وإمامته (عج).

۱- الإرشاد، ج ۲، ص ۳۳۶.

ص: ١٣٢

شبهة اضطراب أمر الشيعة بعد وفاة الإمام العسكرى ٧

وأمّا قول القفارى ص ١٠٠۴:

«وبسبب ذلك اضطرب أمر الشّيعة، وتفرّق جمعهم؛ لأنّهم أصبحوا بلا إمام، ولادين عندهم بدون إمام؛ لأنّه هو الحجّة على أهل الأرض ...».

الجواب:

نقول: مَن هم الشيعة الذين اضطرب أمرهم؟ هل هم الاثنا عشريّة الإماميّة أم غيرهم؟ فإن كان الثانى فالمفروض أنّ كلام القفارى مع الإماميّة الاثنى عشريّة، وإن كان الأوّل فقد اتّضح من مجموع بحثنا اتّفاق الشيعة الإماميّة على ولادة الإمام المهدى (عج) وإمامته، وعضدنا ذلك بأقوال جملة كبيرة من علماء أهل السنّة الذين صرّحوا بولادته، فأين اضطراب الشيعة وتفرّقهم؟! وكيف أصبحوا بلا إمام؟!!

أمّا قول الإماميّة: إنّ الأرض لا تخلو من حجّة، فهذا الكلام لم تنفرد فيه الشيعة فقط؛ بل هذا الحديث تقدّم الكلام عنه، وقلنا هناك: إنّ ابن حجر العسقلانى قال فى «فتح‌البارى»: «.. دلالة للصحيح من الأقوال: أنّ الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجّة، والله أعلم» (١).

وكذلك ابن القيّم يقول بشهرته، حيث قال: «... وحديث مشهور عند أهل العلم، يستغنى عن الإسناد لشهرته عندهم» (٢).

وتصحيح هذه الأحاديث والقول بشهرتها نتيجة لما فهموه من أحاديث أُخرى تؤيّد هذه الحقيقة، وهى كون أهل البيت (عليهم السلام) أماناً لأهل الأرض، وهم

١- فتح البارى، ج ۶، ص ٣٥٩؛ عمدة القارى، ج ١۶، ص ۴٠.

٢- إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، ابن قيّم الجوزيّة، ج ٢، ص ١٩٥.

ص: ۱۳۳

القيّمون على هذا الدين.

روى الحاكم فى مستدركه عن جابر، قال: قال رسول الله (ص): «... وأهل بيتى أمان لأُمّتى، فإذا ذهب أهل بيتى أتاهم ما يوعدون»، صحيح الإسناد ولم يخرجاه (۱).

وأخرج القندوزى الحنفى، عن الجوينى فى كتابه «فرائد السمطين» عن الإمام جعفر الصادق ٧ عن جدّه علىّ بن الحسين (ع) قال: «نحن أئمّة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وقادة الغرّ المحجّلين، ونحن أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، وبنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبنا يُنزّل الله الغيث، وتنشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض؛ ولولا ما على الأرض منّا لساخت بأهلها».

ثمّ قال: «ولم تخل الأرض منذ خلق الله الأرض من حجّة فيها؛ إمّا ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو الأرض إلى أن تقوم الساعة من حجّة فيها، ولولا ذلك لم يعبدالله» (۲).

وهذا الحديث تشهد بصحّته الأحاديث المتقدّمة.

وكذلك تقدّم الكلام عن حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين، حيث قلنا هناك: إنّ العترة لا يمكن أن تنفكّ وتفترق عن الكتاب، والتمسّك بهما عاصم عن الضلال، وهذا لازمه الاستمرار والبقاء مع الكتاب إلى أن يردا على النبىّ (ص).

إذن لابدّ فى كلّ زمان من حجّة فى الأرض من أهل بيت النبىّ (ص)، يكون

۱- المستدرك على الصحيحين، ج ۲، ص ۴۴۸.

۲- ينابيع المودّة، ج ۱، ص ۷۵؛ ج ۳، صص ۳۶۰ و ۳۶۱.

ص: ۱۳۴

أماناً لأهل الأرض ولا يفترق عن القرآن، وإلّا ماجت الأرض بأهلها، كما ينقل ذلك المتّقى الهندى فى (كنزه) عن ابن النجّار، قال: «إذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها» (۱).

شبهة بطلان دعوى أنّ للإمام الحسن ٧ ولداً خفيّاً

اشارة

قال فى ص ۱۰۹۴ فى فصل نقد عقيدة الغيبة.

«حتّى قال بعضهم: إنّا قد طلبنا الولد بكلّ وجه فلم نجده، ولو جاز لنا دعوى أنّ للحسن ولداً خفيّاً لجاز مثل هذه الدعوى فى كلّ ميّت من غير خلف، ولجاز أن يقال فى النبىّ (ص) أنّه خلّف ابناً نبيّاً رسولًا؛ لأنّ مجيء الخبر بوفاة الحسن بلا عقب كمجيء الخبر بأنّ النبىّ (ص) لم يخلّف ولداً من صلبه، فالولد قد بطل لا محالة».

الجواب: هذه الشبهة باطلة من وجوه:

الأوّل: قطع أوصال النصوص المثبتة للولادة

إنّ القفارى اقتطع من النصّ ولم يذكر ذيل الكلام كعادته، وذيل النصّ هو: «... فالولد قد بطل لا محالة، ولكن هناك حبل قائم قد صحّ فى سرّيّة له وستلد ذكراً إماماً ... فنحن فى الولد أصدق منكم؛ لأنّه قد يجوز فى العقل والعادة والتعارف أن يكون للرجل ولد مستور، لا يعرف فى الظاهر، ويظهر بعد ذلك، ويصحّ نسبه» (۲).

إذن هناك تدليس وقطع للنصوص واضح و بيّن، والعبارة واضحة فى أنّ

۱- كنز العمّال، ج ۱۲، ص ۳۴.

۲- فرق الشيعة، النوبختى، ص ۱۰۴.

ص: ۱۳۵

هنـاک حبلًا قائماً، وهو إشارة إلی الإمام المهـدی (عـج)، والعرف والعادة لا تأبی عن أن یکون للرجل ولـد مسـتور لا یعرف، ثمّ یظهر وتصحّ نسبته إلی والده.

الثانی: ادّعاء بلا دلیل

قوله: «حتّی قـال بعضـهم» نسـأل من هم هؤلاء البعض؟ فکان الأولی أن یعرّفنا بهم، فلیس هناک من یقول بـذلک فی کتب الإمامیّـة، فکلامنا هو حول مذهب الإمامیّة الاثنی عشـریّة- والنوبختی والأشـعری- ینقلون آراء الفرق الإسلامیّة، وهی لا تعبّر بالضرورة عن رأی الإمامیّة، وهذا غیر خفی لمن تتبّع هذا الأمر.

أضف إلی ذلک أنّ معظم فرق الشیعة قد انقرضت ولا یذکر لها أثر. فهذه مجرد دعوی لا نعلم من هو قائلها من الشیعة.

الثالث: قیاس مع الفارق

إنّ النبیّ (ص) قـد علم بالقطع والیقین أنّه لم یکن له ولـد، ولم یـدّع ذلک إطلاقاً، وهـذا واضـح، أمّا الإمام المهـدی (عـج) فقد أخبر بولادته رسول الله (ص) وأمیر المؤمنین (ع)، وقد تقدّم ذکرنا للروایات الصـحیحة الدالّة علی ذلک، وأقوال جملة کبیرة من علماء أهل السنّة قد ذکرت ولادته بلا ریب أو شکّ فیه.

الرابع: عصمة النبیّ ونبوّته وإجماع الأُمّة تنفیان هذه الدعوی

قال الشـیخ الطوسـی ردّاً علی هـذه الدعوی: «فأمّا علمنا بأنّه لم یکن للنبیّ (ص) ابن عاش بعده، فإنّما علمناه لما علمنا عصـمته ونبوّته، ولو کـان له ولـد لأظهره؛ لأنّه لا مخافـة علیه فی إظهاره، وعلمنا أیضاً بإجماع الأُمّـة علی أنّه لم یکن له ابن عاش بعـده. ومثل ذلک لا یمکن أن یدّعی العلم به فی ابن

ص: ۱۳۶

الحسن (ع)؛ لأنّ الحسن (ع) کان کالمحجور علیه، وفی حکم المحبوس، وکان الولد یخاف علیه؛ لما علم وانتشر من مذهبهم أنّ الثانی عشر هو القائم بالأمر (المؤمّل) لإزالة الدول، فهو مطلوب لا محالة، وخاف أیضاً من أهله کجعفر أخیه الذی طمع فی المیراث والأموال، فلذلک أخفاه ووقعت الشبهة فی ولادته» (۱).

إذن ممّا تقرّر من جمیع بحثنا ثبت أنّ ما تقوّله الدکتور خال عن المصداقیّة، وأنّ هناک خطأً واضحاً فی المنهج، وکذلک تقطیعه للنصوص الدالّة علی ولادته وإمامته وغیبته، وهذا ما اعترفت به أحادیث الفریقین وأقوال علمائهم، والشهادات والوثائق کلّها تدلّ علی هذه الحقیقة التی لا یمکن بمجرّد إلقاء الشبهات وذرّها فی عیون بصائر الضعفاء أن تزیل وتلغی ما تحدّث به التأریخ، ووثّقته الروایات الصحیحة والصریحة.

۱- الغیبة، الطوسی، ص ۷۸.

ص: ۱۳۷

ص: ۱۳۸

ص: ۱۳۹

الفصل الثانی: أسباب نشوء الاعتقاد بالمهدويّة والغيبة

شبهة تطّلع الشيعة لقيام كيان سياسی مستقلّ عن دولة الإسلام

اشارة

وقال فی فصل أسباب القول بالمهديّة بالغيبة، ص ۱۰۰۹:

«ولعلّ من أسباب القول بالمهديّة والغيبة أيضاً تطّلع الشيعة إلی قيام كيان سياسی لهم مستقلّ عن دولة الإسلام، وهذا ما نلمسه فی اهتمامهم بمسألة الإمامة، ولمّا خابت آمالهم، وغلبوا علی أمرهم وانقلبوا صاغرين هربوا من الواقع إلی الآمال والأحلام، كمهرب نفسی ينقذون به أنفسهم من الإحباط وشيعتهم من اليأس، وأخذوا يبثّون الرجاء والأمل فی نفوس أصحابهم، ويمنّونهم بأنّ الأمر سيكون فی النهاية لهم؛ ولذلك فإنّ القول بالمهديّة والغيبة ينشط دعاته بعد وفاة كلّ إمام؛ لمواجهة عوامل اليأس وفقدان الأمل، بالإضافة إلی تحقيق المكاسب المادّية».

وقال فی نفس الفصل، ص ۱۰۰۸:

«وأنّ وراء دعوی غيبة الإمام وانتظار رجعته الرغبة فی الاستئثار بالأموال، وأنّ هناك فئات منتفعة بدعوی التّشيّع تغرّر بالسّذّج، وتأخذ أموالهم باسم أنّهم نوّاب الإمام، فإذا ما توفّی الإمام أنكروا موته لتبقی الأموال فی أيديهم، ويستمرّ دفع الأموال إليهم باسم خمس الإمام الغائب، وهكذا تدور عمليّات النهب والسلب».

ص: ۱۴۰

وقال فی نفس الفصل، ص ۱۰۱۱:

«وأُرجّح فی هذه المسألة أنّ عقیدة الاثنی عشریّة فی المهدیّة والغیبة ترجع إلی أُصول مجوسیّة، فالشّیعة أکثرهم من الفرس، والفرس من أدیانهم المجوسیّة، والمجوس تدّعی أنّ لهم منتظراً حیّاً باقیاً مهدیّاً من ولد بشتاسف بن بهراسف، یُقال له: أبشاوثن، وأنّه فی حصن عظیم من خراسان والصّین».

بیان الشبهة:

۱- ادّعی القفاری أنّ من أسباب قول الشیعة بالإمام المهدی (عج) وغیبته هو تطلّعهم لقیام کیان سیاسی مستقلّ بهم منفصل عن دولة الإسلام.

۲- ثمّ یسوق الدلیل علی ذلک بقوله: «وهذا ما نلمسه فی اهتمامهم بمسألة الإمامة، ویدّعی أنّ آمالهم خابت وغلبوا علی أمرهم ...».

۳- لذا لجأوا إلی بثّ الرجاء والأمل لکی یکون الأمر لهم فی النهایة، فیدّعون بعد وفاة کلّ إمام أنّه المهدی؛ لمواجهة فقدان الأمل والیأس، وکذلک للحصول علی الأموال من خلال هذه الدعوی.

۴- وادّعی أنّ من أسباب القول بالغیبة أیضاً هی الاستئثار بالأموال، فإذا ما توفّی الإمام أنکروا موته؛ لتبقی الأموال فی أیدیهم، ویستمرّ دفع الأموال إلیهم باسم خمس الإمام الغائب.

۵- ثمّ یرجّح الدکتور أنّ عقیدة الشیعة الاثنی عشریّة أُصولها مجوسیّة؛ لأنّ الشیعة أکثرهم من الفرس، والفرس من أدیانهم المجوسیّة، إذن فالقول بالمهدویّة یکون أصله مجوسی.

جواب الشبهة:

أمّا قوله: «ولعلّ من أسباب القول بالمهدیّة والغیبة (۱) أیضاً تطلّع الشیعة إلی

۱- قوله: ولعلّ من أسباب القول بالمهدیّة .. إلخ هو عدم إیمانه وإنکاره لأصل هذه الفکرة، وهو وجود مهدی من آل محمّد ۹، وهذا ما أکّدناه فی الإجابة عن الشبهات السابقة، فراجع.

ص: ۱۴۱

قيام كيان سياسى لهم مستقلّ عن دولة الإسلام، وهذا ما نلمسه فى اهتمامهم بمسألة الإمامة ...»، فجوابه:

الإمامة الامتداد الطبيعى للنبوّة

إنّ مسألة الإمامة التى تقول بها الشيعة هى من المسائل المهمّة فى الإسلام؛ كونها تشكّل البنية العقائديّة والفكريّة والسياسيّة، فهى الركيزة الأساسيّة لفهم الإسلام وتجسيده بأُصوله وأركانه وفروعه، والاثنا عشريّة عندما اعتنقوا بهذه النظريّة واهتمّوا بها كان دليلهم الكتاب والسنّة الشريفة، المتمثّلة بالنبىّ الأكرم (ص) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، فليست المسألة بهذه السذاجة، وهى كونهم يريدون بناء كيان سياسى لهم؛ بل الأدلّة والنصوص هى التى أخذت بأعناقهم للقول بنظريّة الإمامة، أو بحسب تعبير السيّد شرف الدين فى كتابه «المراجعات»، حيث قال:

«إنّ تعبّدنا فى الأُصول بغير المذهب الأشعرى، وفى الفروع بغير المذاهب الأربعة، لم يكن لتحزّب أو تعصّب، ولا للريب فى اجتهاد أئمّة تلك المذاهب، ولا لعدم عدالتهم وأمانتهم ونزاهتهم وجلالتهم علماً وعملًا، لكن الأدلّة الشرعيّة أخذت بأعناقنا إلى الأخذ بمذهب الأئمّة من أهل بيت النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحى والتنزيل، فانقطعنا إليهم فى فروع الدين وعقائده، وأُصول الفقه وقواعده، ومعارف السنّة والكتاب، وعلوم الأخلاق والسلوك والآداب؛ نزولًا على حكم الأدلّة والبراهين، وتعبّداً بسنّة سيّد النبيّين والمرسلين، صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين. ولو سمحت لنا الأدلّة بمخالفة الأئمّة من آل محمّد، أو تمكّنا من تحصيل نيّة القربة لله سبحانه فى مقام العمل على مذهب غيرهم لقصصنا أثر الجمهور، وقفونا إثرهم؛ تأكيداً

ص: ۱۴۲

لعقد الولاء، وتوثيقاً لعرى الإخاء، لكنّها الأدلّة القطعيّة تقطع على المؤمن وجهته، وتحول بينه وبين ما يروم» (۱).

وهناك مئات النصوص من الآيات والروايات التى تدلّ على إمامة الأئمّة الاثنى عشر، فقد تقدّم الكلام مفصّلًا حول حديث «الثقلين»، وحديث «عدم خلو الأرض من قائم لله بحجّة»، وحديث «الاثنى عشر من قريش» وغيرها من النصوص، فراجع.

فأئمّتنا الذين ندين لهم هم سفن نجاة الأُمّة، وباب حطّتها، وأمانها من الاختلاف فى الدين، وأعلام هدايتها، وثقل رسول الله (ص)، وبقيّته فى أُمّته.

روى الطبرانى فى «المعجم الكبير» وعنه الهيثمى فى «الزوائد» و المتّقى الهندى فى «كنز العمّال»، بسنده عن رسول الله (ص): «.. إنّى سألت ذلك لهما، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولاتقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم؛ فإنّهم أعلم منكم» (۲).

وقال ابن حجر الهيتمى: «وفى قوله (ص): «فلا تقدّموهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم؛ فإنّهم أعلم منكم» دليل على أنّ من تأهّل منهم للمراتب العليّة والوظائف الدينيّة كان مقدّماً على غيره» (۳).

وقال المنّاوى فى «فيض القدير» معلّقاً على حديث الثقلين: «إنّى تارك فيكم. .. تلويح، بل تصريح بأنّهما كتوأمين خلّفهما ووصّى أُمّته بحسن معاملتهما وإيثار حقّهما على أنفسهم والاستمساك بهما فى الدين» (۴).

۱- المراجعات، السيّد شرف الدين، ص ۱۶۰.

۲- المعجم الكبير، ج ۳، ص ۶۶؛ مجمع الزوائد، ج ۹، ص ۱۶۴؛ كنز العمّال، ج ۱، ص ۱۸۸.

۳- الصواعق المحرقة، ج ۲، ص ۴۹۳.

۴- فيض القدير، المنّاوى، ج ۳، ص ۲۰.

ص: ۱۴۳

ثمّ نبّه على قول الشريف، قال: «تنبيه: قال الشريف: هذا الخبر يفهم وجود من يكون أهلًا للتمسّك به من أهل البيت والعترة الطاهرة فى كلّ زمن إلى قيام الساعة، حتّى يتوجّه الحثّ المذكور إلى التمسّك به كما أنّ الكتاب كذلك، فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض» (۱).

وقال التفتازانى فى «شرح المقاصد»: «ألا ترى أنّه عليه الصلاة والسلام قرنهم بكتاب الله تعالى فى كون التمسّك بهما منقذاً عن الضلالة، ولا معنى للتمسّك بالكتاب إلّا الأخذ بما فيه من العلم والهداية، فكذا فى العترة» (۲).

فلو سألنا القفارى: من هم هؤلاء الذين من تقدّمهم ومن قصر عنهم هالك، وكذلك من يدّعى أنّ غيرهم أعلم منهم؟ ومن هم الذين قرنهم الله بكتابه فكان التمسّك بهما منقذاً من الضلالة إلى قيام الساعة؟ ومن هم الأمان لأهل الأرض كما ينقل المنّاوى؟ وعلى من تنطبق هذه الأوصاف؟

أليس هم العترة من أهل بيته (عليهم السلام) الذين جُعلوا عدلًا للقرآن وجعل التمسّك بهما نجاة من الضلال والهلاك؟! وهذا ما أجابت عنه نفس السنّة وأوضحته، فقد أخرج الترمذى فى سننه عن عمر بن أبى سلمة، قال: «لمّا نزلت هذه الآية على النبىّ (ص): إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً فى بيت أُمّ سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً، فجلّلهم بكساء، وعلىّ خلف ظهره، فجلّله بكساء، ثمّ قال:

«اللّهمّ، هؤلاء أهل بيتى، فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»، قالت أُمّ

۱- المصدر نفسه.

۲- شرح المقاصد، ج ۲، ص ۳۰۳.

ص: ۱۴۴

سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: «أنت على مكانك، وأنت إلى خير» (۱)، قال عنه الألبانى: «صحيح» (۲)، وأخرجه غيره من المحدّثين والعلماء، كالطبرى فى «جامع البيان» (۳) والطحاوى فى «مشكل الآثار» (۴).

إذن فأهل البيت سلام الله عليهم هم الامتداد الطبيعى للرسول الأكرم (ص)، وهم حملة لواء الشريعة الإسلاميّة، وأتباع أهل البيت وشيعتهم إنّما يتّبعون من أمر الله أن يُتمسّك بهم، ويُهتدى بهداهم، ويُقتبس من نورهم، وأمّا مسألة الإمام المهدى (عج)- الإمام الثانى عشر من أئمّة العترة الطاهرة، بالإضافة إلى ما أشرنا إليه آنفاً- فقد تقدّمت الأحاديث المتواترة، ومن قال بها وبصحّتها، وأيضاً اعتراف كبار علماء أهل السنّة بولادته وغيبته، وعطفنا البحث حول طرق الشيعة، وذكرنا أدلّتهم بأسانيد صحيحة، وكذلك نقلنا الوثائق والشواهد التى نفيتم صدورها من كتب الشيعة.

فأين الهروب من الواقع؟ بل إنّ الواقع كلّ الواقع هو الذى فرض هذه الحقيقة، كما أشرنا إلى ذلك فى حديث الاثنى عشر الذى يكون مصداقه وتطبيقه الوحيد هم أئمّة الشيعة الاثنى عشريّة، فهذا الحديث ضبط قبل تكامل الواقع الإمامى، فهو انعكاس وحقيقة نطق بها من لا ينطق عن هوى، فقال: «إنّ الخلفاء بعدى اثنا عشر»، وجاء الواقع الإمامى الاثنى عشرى- ابتداءً من الإمام علىّ وانتهاءً بالمهدى- ليكون التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث النبوى الشريف.

۱- سنن الترمذى، ج ۵، ص ۳۵۱.

۲- المصدر نفسه.

۳- جامع البيان، الطبرى، ج ۲۲، ص ۱۲.

۴- شرح مشكل الآثار، ج ۲، ص ۳۳۵.

ص: ۱۴۵

إذن فالاهتمام بمسألة الإمامة جاء لهذا الغرض وليس- كما يدّعى الدكتور- تطلّع الشيعة إلى قيام كيان سياسى لهم مستقلّ عن دولة الإسلام؛ بل الإسلام صميمه وروحه هو القول بإمامتهم وخلافتهم بمقتضى ما تقدّم من الأحاديث الدالّة على ذلك.

شبهة القول بالمهديّة ينشط دعاته بعد وفاة كلّ إمام

وأمّا قوله: «ولذلك فإنّ القول بالمهديّة والغيبة ينشط دعاته بعد وفاة كلّ إمام؛ لمواجهة عوامل اليأس وفقدان الأمل، بالإضافة إلى تحقيق المكاسب الماديّة».

فجوابه:

إنّ هذا الكلام افتراء وباطل؛ لأنّ الشيعة إنّما تقول بالمهديّة والغيبة بعد وفاة الإمام الحسن العسكرى ۷ حصراً، فالشيعة الإماميّة تعتقد بالمهدويّة من زمن رسول الله (ص) ووصيّه الإمام علىّ (ع)- وأكّدنا على ذلك مراراً وكراراً- وذلك للروايات المتواترة المصرّحة- على لسان النبىّ وأهل بيته:- بأنّ الأئمّة اثنا عشر، أوّلهم علىّ بن أبى‌طالب وآخرهم المهدى، وهكذا تعتقد الشيعة بغيبته بعد وفاة الإمام العسكرى (ع) دون سائر الأئمّة، وهذا الأمر كان ثابتاً قبل ولادة الإمام المهدى (عج) بسنوات طويلة، وهناك مئات الكتب أُلّفت فى هذا المضمار من الفريقين.

وأمّا النصوص التى دلّت على ذلك فكثيرة، وقد تقدّم بعضها فى أحاديث الهويّة، حيث ذكرت أنّه من ولد رسول الله، ومن ولد علىّ وفاطمة، ومن ذرّيّة الحسين (عليهم السلام)، ونقلنا أيضاً أقوال علماء السنّة الذين قالوا: إنّه من ولد الحسن

ص: ۱۴۶

العسكرى (ع). وبعضها تضمّن تصريح الإمام الحسن العسكرى بولادته (عج) وغيبته، وقد تقدّم أيضاً وقد أجبنا عن هذه الشبهة بالتفصيل فلا نطيل.

شبهة سبب القول بالغيبة الرغبة فى الاستئثار بالأموال

اشارة

وأمّا قوله: «وأنّ وراء دعوى غيبة الإمام وانتظار رجعته الرغبة فى الاستئثار بالأموال، وأنّ هناك فئات منتفعة بدعوى التّشيّع ... ويستمرّ دفع الأموال إليهم باسم خمس الإمام الغائب، وهكذا تدور عمليّات النهب والسلب».

فنقول: لم يقتصر القفارى باتّهام الشيعة بالاستئثار بالأموال فى فصل الغيبة؛ بل نجده يكرّر هذا الكلام فى أكثر من فصل من كتابه، لا سيما فى الباب الخامس من الفصل الأوّل «فى المجال الاقتصادى» وفى خاتمة كتابه، حيث قال: «وفى المجال الاقتصادى كان أثرهم واضحاً فى أخذ أموال المسلمين بالقوّة أو الخديعة، وفى تدمير اقتصاد الأُمّة بأىّ وسيلة، وكان ما يأخذونه من أموال باسم آل البيت من أهمّ أسباب رغبة شيوخ الشيعة فى بقاء شذوذهم وخلافهم مع المسلمين» (۱).

الخمس فى القرآن والسنّة

اشارة

الخمس فى القرآن والسنّة (۲)

إنّ اتّهام الشيعة بكنز الأموال ليس له ما يبرّره فهى تهمة أُلصقت بالشيعة بلا وجه حقّ؛ وذلك لأنّ تلك الأموال هى من الخمس، أو من الزكوات

۱- أُصول مذهب الشيعة، ج ۳، ص ۱۵۵۲.

۲- سيأتى البحث حول الخمس عند الفريقين، وكيفيّة توجيه كلّ منهما لهذه النظريّة، وهل أنّ الخمس مقصور على الغنائم أم أنّه مطلق يشمل غيرها من أرباح المكاسب؟

ص: ۱۴۷

الشرعيّة التى نصّ عليها الكتاب والسنّة الشريفة، أمّا الكتاب فقوله تعالى: وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ (الأنفال: ۴۱).

قال ابن قدامة فى «المغنى»: «إنّ سهم ذى القربى ثابت بعد موت النبيّ (ص)، وقد مضى ذكر ذلك والخلاف فيه، وقد ذكرهم الله تعالى فى كتابه من ذوى السهام، وثبت أنّ النبيّ (ص) كان يعطيهم، فروى جبير بن مطعم، قال: وضع رسول الله (ص) سهم ذى القربى فى بنى هاشم وبنى المطلب، وترك بنى نوفل وبنى عبد شمس، وذكر الحديث. رواه أبو داود ولم يأت لذلك نسخ ولا تغيير، فوجب القول به والعمل بحكمه» (۱).

البخارى يعترف بالخمس للإمام

وأمّا السنّة الشريفة فقد ذكر البخارى فى «صحيحه» الدليل على الخمس، حيث قال: «ومن الدليل على أنّ الخمس للإمام، وأنّه يعطى بعض قرابته دون بعض، ما قسّم النبى (ص) لبنى المطلب وبنى هاشم من خمس خيبر ... حدّثنا عبد الله بن يوسف، حدّثنا الليث، عن عقيل بن ابن شهاب، عن ابن المسيّب، عن جبير بن مطعم، قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله (ص)، فقلنا: يا رسول الله، أعطيت بنى المطّلب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة؟! فقال رسول الله (ص): «إنّما بنو المطّلب وبنو هاشم شىء واحد» (۲)».

فالبخارى يعترف أنّ الخمس مختصّ بالإمام، ويعطيه لبعض قرابته من بنى هاشم وبنى عبد المطّلب حسب ما تقتضيه المصلحة، ولكن مَن هو الإمام الذى

۱- المغنى، عبد الله بن قدامة، ج ۳، ص ۳۰۴.

۲- صحيح البخارى، ج ۴، ص ۵۶.

ص: ۱۴۸

يعطى هذه الأموال ... سيأتى بيانه.

وأيضاً روى فى «صحيحه»: «حدّثنا شعبة، عن أبى جمرة، قال: كنت أترجم بين ابن‌عبّاس وبين الناس، فقال: إنّ وفد عبد القيس أتوا النبيّ (ص)، فقال: «من الوفد؟». .. فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع، أمرهم بالإيمان بالله عزّوجلّ وحده. قال: «هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخمس من المغنم» (۱).

والمغنم فى اللغة هو: ما يفوزون به بشكل عام، وليس مقيّداً بالغنائم، ومقتضى سياق هذا الحديث يدلّ عليه؛ لأنّ النبيّ (ص) لم يطلب من بنى عبد قيس أن يدفعوا ما غنموه من الحرب؛ لأنّهم لا يستطيعون الخروج فى غير الأشهر الحرم؛ خوفاً من المشركين، وعليه فتنصرف كلمة «المغنم» إلى خمس ما يربحونه، وهذا ما تقول به الشيعة الإماميّة.

الخمس عند الشيعة الإماميّة

أمّا نظريّة الشيعة فى الخمس فهى تلتقى مع اعتراف البخارى بأنّ الخمس للإمام، فهو يعترف أنّه للإمام؛ ولكن الفرق هو أنّ الإمام عند الشيعة مختلف عن الإمام الذى يؤمن به البخارى، فالإمام عند الإماميّة هو من قال عنه رسول الله (ص) فى غدير خم: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» (۲).

۱- صحيح البخارى، ج ۱، صص ۱۹ و ۳۰.

۲- مسند أحمد بن حنبل، ج ۱، ص ۱۵۲؛ ج ۵، ص ۲۹۷، وعلّق عليه قائلًا: «هذا حديث حسن غريب». والترمذى يقصد بالغريب أنّه ورد من هذا الوجه مع أنّ له طرقاً عديدة؛ وانظر كذلك المستدرك على الصحيحين، ج ۳، ص ۱۱۰، وعلّق الحاكم قائلًا: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه». وصحّحه الألبانى فى السلسلة الصحيحة، ج ۴، ص ۳۳۰.

ص: ۱۴۹

وكذلك نصّ رسول الله (ص) على اثنى عشر خليفة من بعده.

وقد تقدّم فى بحثنا أنّ الأدلّة تلزمنا أن نقول بإمامتهم، فهم الوريث الشرعى للرسول الكريم محمّد (ص)، كما تقدّم قول صاحب «المراجعات»: «لكنّها الأدلّة القطعيّة تقطع على المؤمن وجهته، وتحول بينه وبين ما يروم» (۱).

نعم، هى الأدلّة تلوى أعناق أهلها وتأخذ بهم إلى حيث أراد الله ورسوله، وهذا هو الفوز العظيم؛ لأنّ رضا الله ورسوله هو الركن الذى تلجأ إليه الإماميّة، وتلوذ به للوصول إلى جنّات عدن فى مجلس صدق عند مليك مقتدر.

روايات الخمس عند الشيعة

ذكر الإماميّة روايات كثيرة دالّة على أنّ الخمس هو لله وللرسول وللإمام؛ ولكن هناك لحاظ وقيد مهمّ تراه الشيعة، وهو: أنّ حيثيّة الإمامة فى الروايات المذكورة حيثيّة «تقييديّة لا تعليليّة»؛ بمعنى أنّ الحيثيّة بنفسها هى الموضوع للملك، لا أنّها علّة وواسطة فى الثبوت لملكيّة الأئمّة (عليهم السلام) للخمس، وإلّا فلو قلنا بعكس ذلك للزم انتقال الأموال إلى ورثته، لا إلى الإمام المنصوص عليه الذى يليه، وهذا ما لا تقول به الشيعة، وإليك الروايات:

۱- روى الكلينى بسند صحيح عن البزنطى عن أحمد بن محمّد بن أبى نصر، عن الرضا (ع)، قال: سئل عن قول الله عزّوجلّ: وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى، فقيل له: فما كان لله فلمن هو؟ فقال: «لرسول الله (ص)، وما كان لرسول الله فهو للإمام»، فقيل له: أفرأيت إن كان صنف من الأصناف أكثر وصنف أقلّ، ما يصنع به؟ قال: «ذاك إلى الإمام، أرأيت رسول الله (ص) كيف يصنع؟ أليس إنّما كان يعطى على ما يرى؟

۱- المراجعات، ص ۶۰.

ص: ۱۵۰

كذلك الإمام» (۱).

ودلالة الرواية واضحة على أنّ المال كلّه للإمام يضعه حيث يشاء من المصلحة العامة ومصالح المسلمين.

۲- روى الكلينى بسند صحيح عن الوشّاء، عن أبان، عن محمّد بن مسلم، عن أبى جعفر (ع) فى قول الله تعالى: وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى قال: «هم قرابة رسول الله (ص)، والخمس لله وللرسول ولنا» (۲).

۳- وروى الشيخ الطوسى فى الاستبصار بسند صحيح عن محمّد بن علىّ بن محبوب، عن محمّد بن الحسين، عن عبيد الله بن القاسم الحضرمى، عن عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبدالله (ع): «على كلّ امرئ غنم أو اكتسب الخمس ممّا أصاب لفاطمة (س)، ولمن يلى أمرها من بعدها من ورثتها الحجج على الناس، فذاك لهم خاصّة يضعونه حيث شاءوا، وحرّم عليهم الصدقة» (۳).

وواضح أنّ المراد من قوله: «لفاطمة (س) ولمن يلى أمرها. .. الحجج على الناس» هو إشارة لأمر الإمامة ومقامها.

وكذلك نجد هذا الأمر نفسه فى الروايات السنّيّة، حيث ذكر النووى فى المجموع عن المنهال بن عمرو، قال: سألت عبد الله بن محمّد بن علىّ وعلىّ بن الحسين الخمس، فقال: «هو لنا»، قلت لعلىّ بن الحسين (ع): إنّ الله تعالى يقول: وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فقال: «أيتامنا ومساكيننا» (۴).

وذكر القرطبى فى تفسيره، عن مجاهد وعلىّ بن الحسين: «أنّهم بنو هاشم

۱- الكافى، ج ۱، ص ۵۴۴.

۲- الكافى، ج ۱، ص ۵۳۹.

۳- الاستبصار، ج ۲، ص ۵۵.

۴- المجموع، النووى، ج ۱۹، ص ۳۷۳.

ص: ۱۵۱

خاصّة»، وهو قول مالك والثورى والأوزاعى وغيرهم (۱).

إشارة إلى النبىّ وآله (عليهم السلام) إذن هو حقّ للإمام يصرفه فيما يراه من المصلحة.

الخمس حقّ لمنصب الإمامة

إنّ الخمس- كما تقدّم- هو حقّ جعل لمنصب الإمامة والحكومة الحقّة، فهو مال للإمام بما أنّه (إمام) لا لشخصه، وحيثيّة الإمامة لوحظت تقييديّة لا تعليليّة، ونحوه الأنفال أيضاً، والمتصدّى لأخذهما وصرفهما فى شؤون الإمامة والحكومة من له حقّ الحكم، وهو النبىّ (ص) فى عصره الشريف، وبعده للإمام المعصوم، وفى غيبته للفقيه العادل العالم بمصالح الإسلام والمسلمين (۲).

فالفقيه العادل فى عصر الغيبة هو من يتولّى هذه الأموال ليصرفها فى مصالح الإسلام والمسلمين، وجمع وحدتهم ودفع الشرّ عن المظلوم أينما كان؛ ليحقّق بذلك آمال المسلمين فى شرق الأرض وغربها لتحقيق حكومة صالحة تكون ملاذاً للعدل والقسط، وتنفيذ قوانين الإسلام بين الأُمّة الإسلاميّة كافّة.

هذه هى رؤية الشيعة للاستفادة من الخمس، وهذا ما استفاده فقهاء الشيعة رضوان الله عليهم، ومن يراجع كتب الفقه الشيعى يجد ذلك واضحاً لا لبس فيه.

شبهة رجوع القول بالمهديّة والغيبة إلى أُصول مجوسيّة

اشارة

وأمّا قوله فى ص ۱۰۱۱:

«وأرجّح فى هذه المسألة أنّ عقيدة الاثنى عشريّة فى المهديّة والغيبة ترجع

۱- الجامع لأحكام القرآن، القرطبى، ج ۸، ص ۱۲.

۲- دراسات فى ولاية الفقيه، المنتظرى، ص ۱۱۰.

ص: ۱۵۲

إلى أُصول مجوسيّة، فالشّيعة أكثرهم من الفرس، والفرس من أديانهم المجوسيّة. ..».

فجوابه:

لا ينتهى قاموس الغرائب من ترجيحات وتقوّلات وتهم جاهزة ما أنزل الله بها من سلطان.

فقوله: إنّ عقيدة الشيعة الاثنى عشريّة ترجع إلى أُصول فارسيّة، ثمّ يعطف كلامه على الإمام المهدى (عج) وغيبته ليثبت أنّها من فكر ووحى الفكر الفارسى؛ لأنّهم هم الأكثر عددا؛ لأنّ الشيعة أكثرهم من الفرس، والفرس من أديانهم المجوسيّة، إذن فالقول بالمهدويّة يكون أصله مجوسى.

وهذه الدعوى باطلة وفاسدة، وذلك للوجوه التالية:

الأوّل: التشيّع عربى المولد والنشأة.

إنّ أُصول التشيّع ليس فارسيّاً، بل أُصوله عربيّة كما شهد بذلك أبو زهرة فى كتابه الإمام جعفر الصادق، حيث قال:

«إنّ الفرس تشيّعوا على أيدى العرب، وليس التشيّع مخلوقاً لهم. .. وأمّا فارس وخراسان وما وراءهما من بلدان الإسلام، فقد هاجر إليها كثيرون من علماء الإسلام الذين كانوا يتشيّعون؛ فراراً بعقيدتهم من الأُمويّين أوّلًا، ثمّ العبّاسيّين ثانياً، وأنّ التشيّع كان منتشراً فى هذه البلاد انتشاراً عظيماً قبل سقوط الدولة الأمويّة بفرار أتباع زيد ومن قبله إليها» (۱).

كلمات المستشرقين

وكما نجد ذلك أيضاً فى كلمات المستشرقين، نذكر منهم:

۱- الإمام الصادق، أبو زهرة، ص ۵۴۵.

ص: ۱۵۳

أ- المستشرق جولد تسيهر:

قال: «إنّ من الخطأ القول بأنّ التشيّع فی نشأته ومراحل نموّه يمثّل الأثر التعديلی الذی أحدثته أفكار الأمم الإيرانيّة فی الإسلام بعد أن اعتنقته، أو خضعت لسلطانه عن طريق الفتح والدعاية، وهذا الوهم الشائع مبنی علی سوء فهم الحوادث التأريخيّة، فالحركة العلويّة نشأت فی أرض عربيّة بحتة» (۱).

ب- المستشرق آدم متز:

قال: «إنّ مذهب الشيعة ليس كما يعتقد البعض ردّ فعل من جانب الروح الإيرانيّة يخالف الإسلام، فقد كانت جزيرة العرب شيعة كلّها عدا المدن الكبری، مثل: مكّة وتهامة وصنعاء، وكان للشيعة غلبة فی بعض المدن أيضاً، مثل: عمان، وهجر، وصعدة، أمّا إيران فكانت كلّها سنّة، ما عدا قم، وكان أهل إصفهان يغالون فی معاوية حتّی اعتقد بعض أهلها أنّه نبیّ مرسل» (۲).

ج- المستشرق الألمانی يوليوس فلهوزن:

فی كتاب «الخوارج والشيعة»، يردّ فيه علی المستشرق دوزی، الذی زعم أنّ التشيّع كمذهب دينی إيرانی الأصل، قال:

«أمّا أنّ آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيّين، فهذا أمر لا سبيل إلی الشكّ فيه، أمّا كون هذه الآراء قد انبعثت من الإيرانيّين فليست تلك الملاءمة دليلًا عليه، بل الروايات التأريخيّة تقول بعكس ذلك؛ إذ تقول: إنّ التشيّع الواضح الصريح كان قائماً أوّلًا فی الدوائر العربيّة، ثمّ انتقل بعد ذلك منها إلی الموالی» (۳).

وقال الشيخ المظفّر فی كتابه «تأريخ الشيعة»: «كان للإمام علیّ (ع) ثلاثة

۱- العقيدة والشريعة فی الإسلام، جولد تسيهر، ص ۲۰۴.

۲- الحضارة الإسلاميّة، آدم متز، ج ۱، صص ۱۰۱ و ۱۰۲.

۳- الخوارج والشيعة، يوليوس فلهوزن، ص ۱۴۶.

ص: ۱۵۴

حروب- الجمل وصفّين والنهروان- وكان جيشه كلّه عرباً أقحاحاً، بين عدنانيّة وقحطانيّة، أكانت قريش من الفرس؟ أم الأنصار- من أوس وخزرج- أم مذحج، أم همدان، أمطئ، أم كندة، أم تميم، أم مضر، أم أشباهها من القبائل؟ وهل كان زعماء جيشه غير رؤساء هذه القبائل؟ أكان عمّار فارسيّاً، أم هاشم المرقال، أم مالك الأشتر، أم صعصعة بن صوحان، أم أخوه زيد، أم قيس بن سعد الأنصارى، أم ابن عبّاس، أم محمّد بن أبى‌بكر الصدّيق، أم حجر بن عدى، أم عدى بن حاتم الطائى، وأمثال هؤلاء من القوّاد؟ أمّا أصحاب الإمامين- الحسن والحسين (عليهما السلام)- فكلّهم عرب، وجلّهما من أصحاب أبيهما أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب (ع)» (۱).

وكذلك السيّد الأمين فى «أعيان الشيعة»، حيث قال:

«فالفرس الذين دخلوا فى الإسلام لم يكونوا شيعة حتّى يقال فى حقّهم ذلك إلّا القليل منهم، واستمرّوا على غير مذهب الشيعة الأحقاب الطويلة والعصور المتمادية، وجلّ علماء أهل السنّة وأجلّاؤهم هم من الفرس، كالبخارى، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة القزوينى، والإمام الرازى، والقاضى البيضاوى، وأبو زرعة الرازى، والإمام فخر الدين الرازى، والفيروزآبادى الكازرونى صاحب القاموس، والزمخشرى .. وغيرهم».

ثمّ قال: «لكن الحقيقة أنّ بعض الفرس دان بالتشيّع للسبب الذى دان به غيرهم بالتشيّع، وبعضهم دان بالتسنّن للسبب الذى دان به غيرهم بالتسنّن، سنّة الله فى خلقه، وهذه التأويلات والاستنباطات لا تستند إلى مستند، وإنّما ساقت إليها العداوة للشيعة، وقصد التشنيع عليهم بكلّ طريق ليس إلّا» (۲).

۱- تأريخ الشيعة، محمّد حسين المظفّر، ص ۸.

۲- أعيان الشيعة، السيد الأمين، ج ۱، ص ۳۲.

ص: ۱۵۵

فلو سألنا الدكتور القفارى قبل أن يوجّه اتّهامه إلى التشيّع الفارسى: مَن هم أُولئك العلماء الذين شيّدوا وأرسوا قواعد المذهب السنّى الذى يدين به؟ أليس البخارى ومسلم النيسابورى والترمذى والنسائى وابن ماجة القزوينى، والرازى والبيضاوى وأبى زرعة الرازى، وفخر الدين الرازى وأبى حنيفة والشافعى والزمخشرى وغيرهم الكثير؟!

فكان المفترض بالدكتور القفارى أن لا يغمض العين عن هذه الحقيقة التى لابدّ أن يذعن لها.

إذن فالتشيّع عربى المولد والنشأة، وأمّا الفرس الذين دخلوا للإسلام وتشيّعوا؛ فذلك لما فهموه من نصوص أخذت بأعناقهم لموالاة أهل البيت (عليهم السلام) وهم كغيرهم من سائر الأُمم، كالعرب والترك والروم وغيرهم، فإذا كان كذلك فكيف جوّز ورجّح أنّ القول بعقيدة المهدى والغيبة أُصولها مجوسيّة؟!

الوجه الثانى: تواتر أحاديث الإمام المهدى (عج) قبل ولادته يكذب هذه الدعوى.

فقد تقدّم فى بحثنا القول بتواتر خروج الإمام المهدى (ع) من طرق الفريقين، وقلنا: إنّ الإمام المهدى وغيبته أنبأ عنها رسول الله (ص) قبل ولادته، فإذا أضفنا إلى هذه المقدّمة أنّ فتح مملكة الفرس قد وقع فى عهد خلافة عمر بن الخطّاب، فقد أسلم الفرس بعد رحلة رسول الله (ص) بمدّة، فصدور الروايات المتواترة عن رسول الله (ص) فى الإمام المهدى يكذب هذه الدعوى المفتراة على الشيعة.

الوجه الثالث: ليست الكثرة هى المقياس فى قبول الأدلّة.

ليس المدار فى الاستدلال بالأُمور العقائديّة على الكثرة، فبإمكاننا القول إنّ الشعب الماليزى أو الأندنوسى هم أكثر الشعوب المسلمة، فيتجاوز عددهم (مائتين وخمسين مليون مسلماً) أو أكثر، فهل يصحّ لنا أن ندّعى أنّ أصل

ص: ۱۵۶

الإسلام هو ماليزى أو أندنوسى؟!

إذن فهذه الدعوى باطلة من أساسها، ولعلّ الحقد والبغض على التشيّع والشيعة هو المبرّر لهذه الأقوال الخالية من الدليل والبرهان الصحيح والمعقول.

الدكتور طه حسين يحمل على خصوم الشيعة

يقول الدكتور طه حسين: «إنّ خصوم الشيعة نسبوا إليهم ما يعلمون وما لايعلمون. .. ولا يكتفى خصوم الشيعة من الشيعة بما يسمعون عنهم، أو بما يرون من سيرتهم، وإنّما يضيفون إليهم أكثر ممّا قالوا، وأكثر ممّا سمعوا ... ويحملون عليهم الأعاجيب من الأقوال والأفعال، ثمّ يتقدّم الزمان، وتكثر المقالات، ويذهب أصحاب المقالات فى الجدال كلّ مذهب، فيزداد الأمر تعقيداً وإشكالًا، ثمّ تختلط الأُمور بعد أن يبعد عهد الناس بالأحاديث، ويتجاوز الجدال خاصّة الناس إلى عامّتهم، ويتجاوز الذين يحسنونه إلى الذين لا يحسنونه، ويخوض فيه الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فيبلغ الأمر أقصى ما يمكن أن يبلغ من الإيهام والإظلام، وتصبح الأُمّة فى فتنة عمياء لا يهتدى فيها إلى الحقّ إلّا الأقلّون» (۱).

إذن فخصوم الشيعة يحملون عليهم الأعاجيب من الأقوال والأفعال بدون علم ومعرفة، والغرض هو الكيد والتنكيل لإشاعة الفتنة والتضليل، وهذا ما شهد به الدكتور طه حسين.

شبهة المقابلة بين عبد الله بن سبأ وعثمان بن سعيد العمرى

اشارة

۱- الفتنة الكبرى، طه حسين، ص ۱۷۳.

ص: ۱۵۷

قال فی فصل «واضع مبدأ الغیبة عند الشیعة»، ص ۱۰۱۱:

«إذا کان ابن سبأ هو الذی وضع عقیدة النصّ علی علیّ بالإمامة- کما تذکره کتب الفرق عند الشیعة وغیرها- فإنّ هناک ابن سبأ آخر هو الذی وضع البدیل «لفکرة الإمامة» بعد انتهائها حسّیاً بانقطاع نسل الحسن، أو أنّه واحد من مجموعة وضعت هذه الفکرة، لکنّه هو الوجه البارز لهذه الدعوی. هذا الرجل یدعی عثمان بن سعید العمری ... ثمّ قال: هؤلاء الأبواب الأربعة: عثمان بن سعید، وابنه، وابن روح، والسمری، هم المؤسّسون لقضیّة الغیبة والمهدیّة، أو هم الوجوه البارزة التی رسمت نظریّة المهدی عند الاثنی عشریّة، وتسمّی فترة عملهم بالبابیّة: «الغیبة الصغری»، والتی استمرّت سبعین سنة أو تزید ...».

بیان الشبهة

ادّعی القفاری مجموعة من الادّعاءات نبرزها بما یلی:

۱- إنّ ابن سبأ هو الذی وضع عقیدة النصّ للشیعة، حسب نقل کتب الفرق الشیعیّة وغیرها.

۲- إنّ هناک واضع البدیل لفکرة الإمامة عند وفاة «الإمام الحسن العسکری» هو عثمان بن سعید العمری، وهو من ضمن مجموعة مکوّنة من «ابنه محمّد بن عثمان والحسین بن روح وعلیّ بن محمّد السمری» ولکنّه هو الوجه الأبرز، فهؤلاء هم من رسموا وخطّطوا لنظریّة المهدی (عج) وغیبته.

الجواب:

قوله: «إذا کان ابن سبأ هو الذی وضع عقیدة النصّ علی علیّ بالإمامة، کما تذکره کتب الفرق عند الشیعة وغیرها ...».

ص: ۱۵۸

الجواب: دعوى لا محصّل لها

قبل أن نلج فى أصل الموضوع لابدّ من الإجابة عن شبهة طالما كرّرها القفارى فى مجمل أبحاثه وإن لم تكن هى من صميم البحث، ولعلّه يرى أنّ هناك قاسماً مشتركاً، وهو الإمامة فى كلا الأمرين.

فلو رجعنا إلى ما اعتمد عليه القفارى من كتب الفرق الشيعيّة- وهما «فرق الشيعة» للنوبختى، و «المقالات والفرق» للأشعرى- والتى ذكرت عقيدة النصّ عند الشيعة لنرى جليّة الأمر وحقيقته.

لننقل كلام النوبختى والأشعرى القمّى، حيث قالوا: «السبأيّة أصحاب «عبدالله بن سبأ»، وكان ممّن أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرّأ منهم، وقال: إنّ عليّاً أمره بذلك، فأخذه علىّ [۷] فسأله عن قوله هذا، فأقرّ به فأمر [علىّ ۷] بقتله».

وقالوا أيضاً: «وحكى جماعة من أهل العلم: أنّ عبد الله بن سبأ كان يهوديّاً فأسلم، ووالى عليّاً، وكان يقول وهو على يهوديّته فى يوشع بن نون وصىّ موسى بهذه المقالة، فقال فى إسلامه بعد وفاة رسول الله (ص) فى علىّ بمثل ذلك، وهو أوّل من شهد بالقول بفرض إمامة علىّ بن أبى طالب، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وأكفرهم، فمن هنا قال من خالف الشيعة أنّ أصل الرفض مأخوذ من اليهوديّة» (۱).

هذه هى النصوص التى اعتمد عليها القفارى وبنى حكمه عليها، ولكن هل يمكن أن يستفاد منها النصّ على إمامة علىّ (ع) أم أنّ الأمر مجرّد تهمة يراد منها النيل والكيد من التشيّع؟!

۱- فرق الشيعة، النوبختى، ص ۲۲؛ المقالات والفرق، الأشعرى، ص ۲۰.

ص: ۱۵۹

ملاحظات لبيان الحقيقة

وهنا نذكر بعض الملاحظات على هذه النصوص التى تدحض هذا المدّعى:

الملاحظة الأُولى:

إنّ ابن سبأ- على فرض أنّه حقيقة- (۱) ادّعى أنّ عليّاً (ع) أمره بالطعن واللعن على الصحابة بما فيهم أبو بكر وعمر وعثمان!

وهذه الدعوى أبطلها الإمام علىّ (ع) وأمر بقتله؛ لكذبه وافترائه. ولكن السؤال الذى يفرض نفسه: هل الأمر بالقتل الذى أمر به الإمام علىّ (ع) صحيح؟ نعتقد أنّ هذه القصّة مفتراة ومختلقة من أساسها؛ لأنّ مجرّد الطعن واللعن لا يوجب القتل، كما هو معلوم عند فقهاء المسلمين، فما بالك بمن هو إمام الفقهاء وباب مدينة علم رسول‌الله (ص).

الملاحظة الثانية:

قال النوبختى والأشعرى فى سند هذه القصّة: «حكى جماعة من أهل العلم» فالقصّة هى حكاية لمجهولين، مَن هم؟ وكيف وصلت إليهم؟ ومن اخترعها ولفّقها؟ فهل نستطيع أن نحكم بصحّة هذا الكلام؟ فأين موازين وضوابط الجرح والتعديل؟ وأين المناط والملاك فى قبول مثل هكذا قصص وأوهام؟!

الملاحظة الثالثة:

ثمّ لو سلّمنا بذلك فهل كلام ابن سبأ يُفهم منه أنّه وضع عقيدة النصّ على علىّ (ع) بالإمامة؟

۱- وسيأتى أنّه شخصيّة خياليّة منحولة ادّخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم، ولم يدّخروه للخوارج.

ص: ۱۶۰

فلو تأمّلنا بمنطوق هذه العبارة: «أوّل من شهد بالقول» فأين الشهادة من «وضع عقيدة النصّ»؟! وعقيدة النصّ- كما هو معلوم- لا علاقة لها بهذا الكلام إطلاقاً، والشيعة إنّما اعتمدت على الأحاديث الصحيحة والمتواترة التى رواها رسول الله (ص) فى إمامة أمير المؤمنين (ع)، كما فى حديث الثقلين وغدير خم والسفينة والإنذار وغيرها من الأحاديث.

الملاحظة الرابعة:

لو دقّقنا فى كلام النوبختى والأشعرى لوجدنا أنّهما فى مقام الاعتراض وليس الإقرار، بقرينة قولهم: «ومن هنا قال من خالف الشيعة: إنّ أصل الرفض مأخوذ من اليهوديّة» فهم فى معرض التعجّب والغرابة؛ لأنّ أصل هذا الكلام حكاية لا سند لها ولا أصل.

الملاحظة الخامسة:

ثمّ من كانت عقيدته- أى: النوبختى والأشعرى- الإيمان باثنى عشر إماماً وفقاً للنصوص التى بشَّر بها رسول الله (ص)، كيف ينسب لنفسه أنّ أصل دينه مأخوذ من اليهود؟! فمن كان من شيوخ الطائفة وعلمائها كيف ينسب لنفسه هذه الاتّهامات الباطلة التى تخدش بمذهبه؟!

قال النجاشى فى ترجمته للنوبختى: «موسى بن الحسن بن أبى سهل النوبختى، كان مفوّهاً، عالماً، حسن الاعتقاد» (۱).

وأمّا الشيخ سعد بن عبدالله الأشعرى، فقال عنه النجاشى: «شيخ هذه الطائفة وفقيهها ووجهها .. ولقى مولانا أبا محمّد (ع)» (۲).

فمن كان حسن الاعتقاد فى مذهبه وفقيه الطائفة ووجهها، كيف يطعن بما

۱- رجال النجاشى، ص ۴۰۷.

۲- المصدر نفسه، ص ۱۷۷.

ص: ۱۶۱

آمن به؟!

إذن ما بناه القفارى على أنّ ابن سبأ هو الذى وضع عقيدة النصّ على على (ع) من كتب الشيعة، باطل وغير صحيح.

علماء الشيعة وكتبهم تصرّح بأُسطورة عبد الله بن سبأ

اشارة

وأنقل للقارئ الكريم كتب الشيعة وآراء علمائهم التى تقول: إنّ هذه الشخصيّة وهميّة ومختلقة لا وجود لها فى الخارج، ولا نعلم كيف نسب الدكتور القفارى اعتراف كتب الشيعة بذلك؟!

۱- السيّد محمّد حسين كاشف الغطاء

قال: «إنّ عبد الله بن سبأ، ومجنون بنى عامر، وأبى هلال، وأمثال هؤلاء الرجال أو الأبطال كلّها أحاديث خرافة، وضعها القصّاصون وأرباب السمر والمجون، فإنّ الترف والنعيم قد بلغ أقصاه فى أواسط الدولتين الأُمويّة والعبّاسيّة، وكلّما اتّسع العيش وتوفّرت دواعى اللهو، اتّسع المجال للوضع، وراج سوق الخيال، وجعل القصص والأمثال؛ كى تأنس بها ربّات الحجال، وأبناء الترف والنعمة ...».

وقال أيضاً: «ثمّ لا يخفى عليك أخى القارئ الكريم أنّ أوّل الحائكين لهذه الأُسطورة الخرافيّة حول هذا الرجل- والذى قفى بعد ذلك أثره المؤرّخون- هو الطبرى فى (تاريخه)، وكان مصدره فيها سيف بن عمر البرجمى (ت ۱۷۰ ه) الذى يطعن به معظم أصحاب التراجم والسير بشكل صريح وواضح، حتّى لقد قال عنه مرّة: فليس خير منه، وقال عنه أبو حاتم: متروك الحديث، وقال عنه أبو داود: ليس بشىء، وأمّا النسائى والدار قطنى وابن معين، فقد

ص: ۱۶۲

قالوا عنه: ضعيف الحديث .. فراجع وتأمّل» (۱).

۲- السيّد محمّد حسين الطباطبائى

قال: «وهذان اللذان روى [أى: الطبرى] عنهما الحديث، وعنهما يروى جلّ قصص عثمان؛ أعنى شعيباً وسيفاً، هما من الكذّابين الوضّاعين المشهورين، ذكرهما علماء الرجال وقدحوا فيهما. والذى اختلقاه من حديث ابن السوداء، وهو الذى سمّوه عبد الله بن سبأ، وإليهما ينتهى حديثه، من الأحاديث الموضوعة، وقد قطع المحقّقون من أصحاب البحث أخيراً أنّ ابن السوداء هذا من الموضوعات الخرافيّة التى لا أصل لها» (۲).

۳- السيّد مرتضى العسكرى

فى كتابه «عبد الله بن سبأ»، فقد توصّل فى نتائج بحثه أنّ هذه الشخصيّة أُسطورة وهميّة، والذى اختلقها هو «سيف بن عمر» الذى طعن فيه جميع علماء السنّة، فهو ضعيف، ساقط الرواية، والغريب أنّ الطبرى قد أخذ عنه ووثّق رواياته، ومن ثمّ تبعه الآخرون، قال:
«أمثلة التصحيف عند سيف: تصحيفه كلمة «عبد الله بن وهب السبائى» رأس الخوارج إلى «عبد الله بن سبأ» واختلاق أُسطورة ضخمة له!! هكذا استطاع سيف أن يحرّف ويصحف ويقلب ويختلق أُمّة من الصحابة والتابعين ورواة الحديث، وقادة الفتوح والشعراء، وعدداً كبيراً من أماكن وكتباً سياسيّة وأراجيز وخطباً إلى غيرها! استطاع بكلّ ذلك أن يشوّه معالم التاريخ الإسلامى بدافع الزندقة! والأهمّ من كلّ ذلك أنّه استطاع أن يخفى أهدافه تحت

۱- أصل الشيعة واصولها، محمّد حسين كاشف الغطاء، ص ۱۸۱.

۲- تفسير الميزان، ج ۹، ص ۲۶۰.

ص: ۱۶۳

شعار الدفاع عن الصحابة، ونشر مناقبهم، وبذلك ضمن لأساطيره الرواج والبقاء ثلاثة عشر قرناً» (۱).

۴- السيّد الخوئی

فی «معجم رجال الحديث»، قال: «إنّ أُسطورة عبد الله بن سبأ وقصص مشاغباته الهائلة موضوعة مختلقة، اختلقها (سيف بن عمر) الوضّاع الكذّاب، ولا يسعنا المقام الإطالة فی ذلك والتدليل عليه، وقد أغنانا العلّامة الجليل والباحث المحقّق السيّد مرتضی العسكری فيما قدّم من دراسات عميقة دقيقة عن هذه القصص الخرافيّة، وعن سيف وموضوعاته فی مجلّدين ضخمين طبعا باسم «عبد الله بن سبأ»، وفی كتابه الآخر خمسون ومائة صحابی مختلق» (۲).

تطابق الرؤی فی خرافة وأُسطورة ابن سبأ

اشارة

لو تأمّل الإنسان المنصف وراجع تلك الحقبة التاريخيّة- لاسيّما فی مفردة هذا الرجل (عبد الله بن سبأ)- لوجد أنّ هناك أصابعاً خفيّة وراء ما يبثّه القصّاصون لزرع الفتنة بين المسلمين، وهناك من العلماء من أهل السنّة من تطابقت آراؤهم مع علماء الشيعة فی الكشف عن هذه الحقيقة التی بالغوا وأسرفوا فيها، وننقل بعض كلمات علماء السنّة التی تطابقت رؤيتهم مع ما توصّل إليه علماء الشيعة.

۱- الدكتور طه حسين

۱- عبد الله بن سبأ، السيّد مرتضی العسكری، ج ۲، ص ۱۶۳.

۲- السيّد الخوئی، معجم رجال الحديث، ج ۱۱، ص ۲۰۷.

ص: ۱۶۴

فى كتابه «الفتنة الكبرى»، قال: «أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا فى أُصول هذا المذهب عنصراً يهوديّاً؛ إمعاناً فى الكيد لهم، والنيل منهم، ولو قد كان أمر ابن السوداء مستنداً إلى أساس من الحقّ والتاريخ الصحيح، لكان من الطبيعى أن يظهر أثره وكيده فى هذه الحرب المعقّدة المعضلة التى كانت بصفّين، ولكان من الطبيعى أن يظهر أثره حين اختلف أصحاب علىّ فى أمر الحكومة، ولكان من الطبيعى بنوع خاص أن يظهر أثره فى تكوين هذا الحزب الجديد، الذى كان يكره الصلح وينفر منه ويكفّر من مال إليه، أو شارك فيه. ولكنّنا لا نرى لابن السوداء ذكراً فى أمر الخوارج، فكيف يمكن تعليل هذا الإهمال؟ أو كيف يمكن أن نعلّل غياب ابن سبأ عن وقعة صفّين وعن نشأة حزب المحكّمة؟

أمّا أنا فلا أُعلّل الأمرين إلّا بعلّة واحدة، وهى: أنّ ابن السوداء لم يكن إلّا وهماً، وإن وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالذى صوّره المؤرّخون، وصوّروا نشاطه أيّام عثمان، وفى العام الأوّل من خلافة علىّ، وإنّما هو شخص ادّخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم، ولم يدّخروه للخوارج ...» (۱).

۲- الأُستاذ كرد علىّ

فى كتابه «خطط الشام»، قال: «أمّا ما ذهب إليه بعض الكتّاب من أنّ أصل مذهب التشيّع من بدعة عبد الله بن سبأ فهو وهم وقلّة علم بحقيقة مذهبهم، ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم منه ومن أقواله وأعماله، وكلام علمائهم فى الطعن فيه بلا خلاف بينهم فى ذلك، علم مبلغ هذا

۱- الفتنة الكبرى، ج ۲، صص ۹۰ و ۹۱.

ص: ۱۶۵

القول من الصواب» (۱).

۳- حسن بن فرحان المالکی

فی کتابه الردّ علی «سلیمان العودة»، قال: «یحاول الدکتور العودة أن یذکر الدکتور الهلابی وکأنّه المنکر الوحید لشخصیّة ابن سبأ! ویذکرنی وکأنّنی مقلّد للهلابی فقط! بینما قد سبق الهلابی وسبقنی من علماء أهل السنّة مَنْ نفی دور ابن سبأ علی الأقلّ، أمثال العلّامة المحدّث عبد الرحمن المعلّمی فی کتابه «الأنوار الکاشفة»، والعلّامة المحدّث محمّد العربی التبّانی فی کتابه «تحذیر العبقری»، والدکتور علی سامی نشار وغیرهم، بل إنّ علماء أهل السنّة والجماعة من المحدّثین والمؤرّخین لم تکن الأغلبیّة منهم یذکرون ابن سبأ بحرف واحد، لا دوراً ولا وجوداً» (۲).

۴- الدکتور حامد حفنی داود

قال: «ولعلّ أعظم هذه الأخطاء التاریخیّة التی أفلتت من زمام هؤلاء الباحثین وغمّ علیهم أمرها، فلم یفقهوها ویفطنوا إلیها، هذه المفتریات التی افتروها علی علماء الشیعة حین لفّقوا علیهم قصّة «عبد الله بن سبأ» فیما لفّقوه من قصص- أشرت إلی بعضها فی مؤلّفاتی- وزعموا أنّ کلّ خرافة أو أُسطورة أو أُکذوبة جاءت من فجر التاریخ الإسلامی کانت من نسج لخیال علماء الشیعة، واعتبروها مغمزاً یغمزون به علیهم» (۳).

۱- المصدر نفسه، ج ۱، ص ۱۳۲.

۲- مع الدکتور العودة، حسن بن فرحان المالکی، ص ۱۳۰.

۳- نظرات فی الکتب الخالدة، حامد حفنی داود، صص ۱۰۲ و ۱۰۳.

ص: ١۶۶

٥- إبراهيم بيضون

قال: «إنّه الدور الأُسطورة وما اكتنفه من تضليل ومبالغة أكثر من الرجل الأُسطورة الذى قد يكون مجرّد تلفيق أو لا يكون، فهو أقلّ حجماً من أن يرقى إلى الدور وإلى مستوى يقود النخبة تحت قيادته» (١).

إذن هذه الأقوال تشير بصراحة لنفى هذه الأُسطورة من الفريقين، سواء كان كشخص أو كدور، ولو قَرنّا ذلك مع خلو وإهمال المصادر التأريخيّة المهمّة لذكر «عبدالله بن سبأ»، فلم نجد له ذكراً عند ابن سعد فى «طبقاته»، والبلاذرى فى «أنساب الأشراف»، وأمّا الطبرى فقد اعتمد على مرويّاته بواسطة «سيف بن عمر»، وهو ضعيف غير معتمد الرواية.

أضف إلى ذلك أيضاً: أنّ المسلمين فى عهد عثمان كان بإمكانهم أن يجعلوا هذا الرجل- الذى أثار الفتنة والخلاف بين المسلمين- تحت أنظارهم ويراقبوه، ومن ثمّ يقبضوا عليه، لاسيّما معاوية بن أبى سفيان وعبد الله بن سعد بن أبى سرح والى عثمان على مصر، فهم من الخبرة بتتبّع المعارضين والمعادين لهم، فكيف لا نجد ذلك فى التأريخ؟! وهذا دليل على أنّ الرجل صنعه أعداء الشيعة وخصومهم؛ للنيل من التشيّع، كما تقدّم فى كلام الدكتور طه حسين.

وهذا هو الأقرب علميّاً لمن يعتقد بوجوده ويعطيه هذا الدور الكبير والمؤثّر فى الأُمّة الإسلاميّة، وما صوّره الدكتور القفارى للقارئ لا يعدو كونه محض افتراء بلا دليل وبرهان.

١- عبد الله بن سبأ، إبراهيم بيضون، ص ١١٨.

ص: ۱۶۷

سبأيّة عثمان بن سعيد العمرى

اشارة

وأمّا قوله: «فإنّ هناك ابن سبأ آخر هو الذى وضع البديل لفكرة الإمامة بعد انتهائها حسيّاً بانقطاع نسل الحسن، أو أنّه واحد من مجموعة وضعت هذه الفكرة، لكنّه هو الوجه البارز لهذه الدعوى. هذا الرجل يدعى عثمان بن سعيد العمرى».

فجوابه:

تقدّم أنّ ابن سبأ الذى صنّفه القفارى أنّه هو واضع فكرة النصّ على الإمامة، ما هو إلّا شخصيّة خياليّة ليس لها وجود فى الخارج كما اتّضح ذلك من شهادة الفريقين، وأمّا فكرة الإمامة عند الشيعة الاثنى عشريّة فهى قائمة على النصّ، وهذا ما تمّ بحثه فى فصل الإمامة.

فالقول بأنّ هناك ابن سبأ آخر! لا يعدو كونه فرضيّة وهميّة لم نسمع من قال بها سوى القفارى نفسه، فهى من مختلقاته التى يبثّها زوراً وبهتاناً.

فقد تقدّم فى شبهة «أُسطوريّة ورمزيّة الإمام المهدى» بأنّ الأحاديث قد استفاضت وتواترت بخروجه، ومنكرها يعد منكراً للضروريّات والبديهيّات، ونقلنا جملة كبيرة من علماء أهل السنّة الذين قالوا بصحّة تلك الأحاديث وتواترها، وكذلك نقلنا الأحاديث الصحيحة التى تحدّد شخصيّته وهويّته، وكونه من أهل البيت، من ولد فاطمة ومن ولد الحسين (ع)، وكذلك نقلنا الأحاديث التى تفرض وجوده حيّاً فى جميع الأزمنة كحديث «الثقلين»، وحديث «الاثنى عشر»، وحديث «عدم خلو الأرض من قائم لله بحجّة»، وحديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»، وقرّرنا هناك أنّه لا تطبيق صحيح سوى ما تذهب إليه المدرسة الإماميّة، فهو الإمام الثانى عشر بمقتضى هذه

ص: ۱۶۸

النصوص، فراجع.

وأمّا قوله: «... بعد انتهائها [أى: الإمامة] حسيّاً بانقطاع نسل الحسن ...».

فنقول: إنّ الإمامة لم تنته بالحسّ أو غيره؛ لأنّنا قلنا فى شبهة «أنّ الإمام الحسن العسكرى (ع) مات بلا عقب»: إنّ الإمام بشّر بولده المهدى (عج) ونصّ على إمامته من بعده، وذكرنا بالتفصيل الأدلّة على ولادته، منها: أقوال أهل الأنساب، وأقوال العلماء من الفريقين، وذكرنا الروايات الصحيحة على ذلك، وترجمنا لسندها، ثمّ ذكرنا الشهادات الحسّيّة التى تؤكّد ولادته، كشهادة حكيمة، وممّن رآه من أصحابه، وكثرة العقائق عنه، وتصرّف السلطة العبّاسيّة مع الإمام الحسن العسكرى (ع)، وقلنا هناك: إنّ كلّ هذه الأُمور هى شواهد صدق لولادة الإمام المهدى (عج).

أحاديث الغيبة فى كتب الفريقين

أحاديث الغيبة فى كتب الفريقين (۱)

وأمّا قوله: «هؤلاء الأبواب الأربعة: عثمان بن سعيد، وابنه، وابن روح، والسمرى، هم المؤسّسون لقضيّة الغيبة ...».

فنقول: أمّا الغَيبة فالشيعة تؤمن بأنّ للإمام المهدى (عج) غيبتين: صغرى وكبرى، أو قصرى وطولى، وهذا ما نبّأتنا به الأحاديث الواردة عن رسول الله (ص) وأهل بيته الأطهار- كما سنأتى على ذكرها- أمّا الغيبة الصغرى، فمن مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة السفراء وعدم نصب غيرهم، وهى أربع وسبعون سنة، ففى هذه المدّة كان السفراء يرونه، وربّما رآه غيرهم، ويَصِلون إلى خدمته، وتخرج على أيديهم توقيعات منه إلى شيعته فى أجوبة مسائل وفى أُمور شتّى.

۱- سوف نسلّط البحث على مسألة الغيبة؛ لأنّ القفارى قد ركّز عليها، فتارةً يقول: بأنّ السفراء الأربعة هم الذين ابتكروها وأسّسوها، وتارةً يقول: بأنّها تسرّبت من حكيمة، كما سيأتى بيانه.

ص: ۱۶۹

وأمّا الغيبة الكبرى فهى بعد الأُولى، وفى آخرها يقوم بالسيف، وقد جاء فى بعض التوقيعات أنّه بعد الغيبة الكبرى لا يراه أحد، وإنّ من ادّعى الرؤية قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كذّاب، وجاء فى عدّة أخبار أنّه يحضر المواسم كلّ سنة، فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه (۱).

غياب هويّة وليس غياب شخص

ومعلوم أنّ الشيعة لا تقول بغيبة شخصه؛ بل غياب هويّة، فليس هو معدوم أو ميّت؛ بل هو موجود ولكنّه غائب عن الأبصار، فهو (عج) يشهد الموسم ويرى الناس ولايرونه، كما نجد ذلك فى الخضر (ع)، حيث كان شخصه بين الناس ويتصرّف فيهم التصرّف الولائى، كما فى القصّة المعروفة التى دارت بينه وبين موسى (ع) (۲).

لذا فالتراث الشيعى قد أشبع هذا الموضوع، ومصادره حافلة بأحاديث الغيبة عن رسول الله (ص) والأئمّة المعصومين (عليهم السلام) قبل ولادة الإمام المهدى (عج).

بل إنّ هذا الأمر يُعد من الأُمور التى تسالمت عليه الطائفة الشيعيّة؛ ولعلّ منشأ ذلك هو تهيئة أذهان الأُمّة لتقبل هذا الأمر الحتمى الوقوع، وكذلك إزالة الغموض الذى قد يثيره البعض حول هذه المسألة المهمّة.

ولم تغب تلك الأحاديث أيضاً عن المدرسة الأُخرى، فقد ذكروا فى بعض مصادرهم الحديثيّة غيبة الإمام المهدى (عج)؛ لذا سننقل ما رواه الفريقان فى هذه المسألة.

روايات الغيبة فى كتب أهل السنّة

اشارة

۱- أعيان الشيعة، ج ۲، ص ۶۴.

۲- الكهف: ۶۰- ۸۲.

ص: ۱۷۰

۱- المقدسی الشافعی (ت ق ۷ ه)

۱- المقدسی الشافعی (ت ق ۷ ه) (۱)

فی (عقد الدرر) بسنده عن أبی عبد الله الحسین بن علیّ (علیهما السلام)، أنّه قال: «لصاحب هذا الأمر- یعنی المهدی (عج)- غیبتان؛ إحداهما تطول حتّی یقول بعضهم:

مات، وبعضهم: قتل، وبعضهم: ذهب، ولا یطّلع علی موضعه أحد من ولیّ ولا غیره. ..» (۲).

وروی أیضاً: بسنده عن أبی جعفر محمّد بن علیّ (علیهما السلام)، فقال: «یکون لصاحب هذا الأمر- یعنی المهدی (عج)- غیبة فی بعض هذه الشعاب، وأومأ بیده إلی ناحیة ذی طوی ...» (۳).

۲- الحموینی الشافعی (ت ۷۲۲ ه)

۲- الحموینی الشافعی (ت ۷۲۲ ه) (۴)

فی کتابه «فرائد السمطین» بسنده عن أبی جعفر محمّد بن علیّ الباقر، عن أبیه سیّد العابدین علیّ بن الحسین، عن أبیه سیّد الشهداء الحسین بن علیّ بن أبی طالب، عن أبیه سیّد الأوصیاء أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب (علیهم السلام)، قال: قال رسول الله (ص): «المهدی من ولدی، یکون له غیبة وحیرة تضلّ فیها الأُمم، یأتی بذخیرة الأنبیاء فیملأها قسطاً وعدلًا کما ملئت جوراً وظلماً» (۵).

۱- تقدّمت ترجمته.

۲- المقدسی الشافعی، عقد الدرر، ص ۳۱، موقع الوراق. moC. qarrawla. www

۳- المصدر نفسه.

۴- تقدّمت ترجمته، وهو من شیوخ الذهبی.

۵- فرائد السمطین، ج ۲، ص ۳۳۵.

ص: ۱۷۱

۳- القندوزی الحنفی (ت ۱۲۹۴ ه)

۳- القندوزی الحنفی (ت ۱۲۹۴ ه) (۱)

فی کتابه «ینابیع المودّة» بسنده عن جابر بن عبد الله رفعه: «المهدی من ولدی اسمه اسمی، وکنیته کنیتی، أشبه الناس بی خلقاً وخلقاً، یکون له غیبة وحیرة یضلّ فیها الامم، یقبل کالشهاب الثاقب، یملؤها عدلًا وقسطاً کما ملئت جوراً وظلماً» (۲).

وروی أیضاً بسنده عن الباقر عن آبائه عن علیّ بن أبی طالب رفعه: «المهدی من ولدی، یکون له غیبة وحیرة تضلّ فیها الأُمم، یأتی به خیر الأنبیاء، یملأ الأرض قسطاً وعدلًا کما ملئت جوراً وظلماً» (۳).

مفهوم الغیبة فی الفکر الشیعی

إنّ عنایة الفکر الشیعی فی الأحادیث المرویّة عن أهل البیت (علیهم السلام) فی غیبة الإمام المهدی (عج) واضحة وجلیّة، فالتراث الشیعی قد أغنی هذه المسألة وأشبعها وأثراها، فتجسد ذلک فی مؤلّفاتهم ورسائلهم التی أفردوها لهذا الغرض، وقد اندرس بعض هذه المؤلّفات، والبعض الآخر مطبوع متداول بین الأوساط الشیعیّة.

مفهوم الغیبة فی مؤلّفات الشیعة

ونذکر علی سبیل المثال بعض المؤلّفات الشیعیّة فی هذا المجال:

کتاب «أخبار القائم (عج)» لعلیّ بن محمّد بن إبراهیم المعروف بعلّان الکلینی الرازی، وکتاب «الغیبة» لعلیّ بن محمّد بن علیّ أبی الحسن القلّاء،

۱- تقدّمت ترجمته.

۲- ینابیع المودّة، ج ۳، ص ۳۸۶.

۳- ینابیع المودّة، ج ۳، ص ۳۸۶.

ص: ۱۷۲

وكتاب «الغيبـة» لأبى محمّـد عبـد الوهاب البادرائى، وكتاب «إزالة الرين عن قلوب الأخوان فى الغيبة» للفقيه أبى‌علىّ محمّد بن محمّد المشـهور بـابن الجنيـد، وكتـاب «أخبـار المهـدىّ (عـج)» لعبّاد بن يعقوب الرواجنى، وكتاب «الغيبـة» لإبراهيم بن إسـحاق النهاونـدى، وكتاب «الغيبة» لأبى النظر محمّد بن مسـعود العيّاشى (۱)، وكتاب «الغيبة» للشـيخ النعمانى، وكتاب «الإمامة والتبصرة» لعلىّ بن الحسين بن بابويه القمّى «والد الصدوق»، وكتاب «إكمال الدين وتمام النعمة» للشيخ الصدوق (الابن).

وأمّا مؤلّفات الشـيخ المفيـد فقـد ذكر الشـيخ الطهرانى فى «الذريعـة» عـدّة كتب له، منها: كتاب «الغيبـة الكبير»، وكتاب «الجوابات فى خروج المهـدى»، وكتاب «المسائل أو الفصول العشـرة فى الغيبة» (۲)، وكتاب «المقنع فى الغيبة» للسـيّد المرتضـى علم الهدى، وكتاب «الغيبة» للشيخ الطوسى، وغيرها الكثير.

ومن راجع تلك الكتب يقطع بتواتر وصـحّة تلك الأحاديث، أضف إلى ذلك تعـدّد طرقها وكثرة مخارجها، فالسـند لا يبحث عنه فى هذه المسألة؛ بل إنّ تراثنا الشيعى يعدّها من المتواترات البديهيّات والمسلّمات.

روايات الغيبة عند الشيعة

وبما أنّنا فى مقام إدحاض حجّة الخصم؛ لذا سيكون بحثنا عن الأسانيد الصحيحة، وسننقل بعض هذه الروايات، وهى كالتالى:

۱- روى الشيخ الكلينى بسند صحيح عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن

۱- راجع كتاب رجال النجاشى، صص ۲۴۷، ۲۵۹، ۲۶۰ و ۳۹۳.

۲- الذريعة، ج ۱۶، ص ۸۰؛ رجال النجاشى، ص ۳۹۹.

ص: ۱۷۳

الحسين، عن ابن محبوب، عن إسحاق بن عمّار، قال: قال أبو عبد الله (ع): «للقائم غيبتان: إحداهما قصيرة والأُخرى طويلة، الغيبة الأُولى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة شيعته، والأُخرى لايعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة مواليه» (۱).

۲- وروى أيضاً بسند صحيح عن عليّ بن إبراهيم، عن الحسن بن موسى الخشّاب، عن عبد الله بن موسى، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «إنّ للغلام غيبة قبل أن يقوم»، قال: قلت: ولم؟ قال: «يخاف»- وأومأ بيده إلى بطنه- ثمّ قال: «يا زرارة، وهو المنتظر، وهو الذى يشك فى ولادته، منهم من يقول: مات أبوه بلا خلف، ومنهم من يقول: حمل، ومنهم من يقول: إنّه ولد قبل موت أبيه بسنتين، وهو المنتظر غير أنّ الله عزّوجلّ يحبّ أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون ...» (۲).

۳- وروى ابن بابويه القمّى بسند صحيح عن عبد الله بن جعفر الحميرى، عن أيّوب بن نوح، عن محمّد بن أبى عمير، عن جميل بن درّاج، عن زرارة، قال: قال أبو عبدالله (ع): «يأتى على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم». فقلت له: ما يصنع الناس فى ذلك الزمان؟ قال: «يتمسّكون بالأمر الذى هم عليه حتّى يتبيّن لهم» (۳).

۴- وروى الصدوق بسند صحيح، قال: حدّثنا محمّد بن الحسن، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدّثنا أبو جعفر محمّد بن أحمد العلوى، عن أبى هاشم داود بن القاسم الجعفرى، قال: سمعت أبا الحسن صاحب العسكر (ع) يقول: «الخلف من بعدى ابنى الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟» فقلت: ولِمَ

۱- الكافى، ج ۱، ص ۳۴۰.

۲- المصدر نفسه، ص ۳۳۷.

۳- الإمامة والتبصرة، ابن بابويه القمّى، ص ۱۲۵؛ كمال الدين وتمام النعمة، ص ۳۵۰.

ص: ۱۷۴

جعلنی الله فداک؟ فقال: «لأنّکم لا ترون شخصه ...» (۱). وعدم رؤیة شخصه إشارة إلی غیبته (عج).

۵- وروی الصدوق أیضاً بسند صحیح، قال: حدّثنا أحمد بن زیاد بن جعفر الهمدانی، قال: حدّثنا علیّ بن إبراهیم بن هاشم، عن أبیه، عن عبد السلام بن صالح الهروی، قال: سمعت دعبل بن علیّ الخزاعی یقول: لما أنشدت مولای الرضا (ع) قصیدتی التی أوّلها: مدارس آیات خلت من تلاوة ... قال: «یا خزاعی، نطق روح القُدُس علی لسانک بهذین البیتین، هل تدری من هذا الإمام؟ ومتی یقوم؟» فقلت: لا ـ یا سیدی، إلّا أنّی سمعت بخروج إمام منکم یطهّر الأرض من الفساد ویملأها عدلًا، فقال: «یا دعبل، الإمام بعدی محمّد ابنی، وبعد محمّد ابنه علیّ، وبعد علیّ ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم المنتظر فی غیبته، المطاع فی ظهوره، لو لم یبق من الدنیا إلّا یوم واحد لطوّل الله ذلک الیوم حتّی یخرج، فیملأها عدلًا کما ملئت جوراً وظلماً ...» (۲). وواضح من هذا الحدیث النصّ علی إمامة الإمام المهدی (عج) فضلًا عن غیبته الصغری والکبری.

ونکتفی بهذه الأحادیث الواضحة الدلالة علی غیبته والصحیحة السند، لننتقل إلی مطلب آخر، وهو أنّ الغیبة لیست بدعة أو شیئاً استحدثه الشیعة؛ بل إنّ هناک غیبات لبعض الأنبیاء، کنبیّ الله هود وصالح وعزیر وإبراهیم وموسی ویوسف علیهم أفضل الصلاة والسلام، فهذه سنّة تاریخیّة شاءت الأقدار أن تتکرّر فی الإمام المهدی (عج).

السنن التأریخیّة للغیبة

اشارة

۱- کمال الدین وتمام النعمة، ص ۳۸۱.

۲- عیون أخبار الرضا ۷، ج ۱، ص ۲۹۷.

ص: ۱۷۵

عندما نطالع ونراجع بعض تلك السنن نجد أنّ هناك تشابهاً كبيراً بين غيبات الأنبياء: وبين غيبة الإمام المهدى (عج)، لاسيّما غيبة نبيّ الله إبراهيم (ع)، حيث إنّه غاب مرّتين، وأدوار حياته من ولادة وغيبة لها شبه كبير بأدوار وحياة الإمام المهدى (عج)؛ بل لعلّها- كما يعبّر الشيخ الصدوق- أعجب منها. وعليه فالغرابة والاستهجان لدى المشكّكين يرتفع إذا وجدنا بعض تلك الغيبات قد وقعت للأنبياء قبله، لاسيّما وأنّ السنن تتكرّر فى الأُمم اللاحقة، قال تعالى: لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (الانشقاق: ۱۹) أى: سنن من كان قبلكم.

قال الامام الصادق (ع): «إنّ الله عزّوجلّ أبى إلّا أن تجرى فيه سنن الأنبياء (عليهم السلام) فى غيباتهم، وإنّه لابدّ من استيفاء مدد غيباتهم، قال الله تعالى: لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ أى: سنن من كان قبلكم» (۱).

وروى البخارى عن مجاهد، قال: «لتركبن طبقا عن طبق حالًا بعد حال»، قال هذا نبيّكم (ص) (۲).

وكذلك روى الطبرانى عن كثير بن عبد الله، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله، قال: «.. جاءكم جبرئيل يتعاهد دينكم، لتسلكنّ سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل، ولتأخذن بمثل أخذهم، إن شبراً فشبراً، وإن ذراعاً فذراعاً، وإن باعاً فباعاً (۳)، حتّى لو دخلوا فى جحر ضبّ دخلتم فيه» (۴).

فقانون السنن قد يتكرّر ولا ضير فى ذلك، وإليك بعض ما رواه الصدوق والمفيد لبعض تلك الغيبات.

۱- كمال الدين وتمام النعمة، ص ۴۸۱.

۲- صحيح البخارى، ج ۶، ص ۸۱.

۳- الباع: مسافة ما بين الكفّين إذا بسطتهما. (لسان العرب، ج ۸، ص ۲۱ «بوع»).

۴- المعجم الكبير، ج ۱۷، ص ۱۳؛ كنز العمّال، ج ۱، ص ۲۱۱.

ص: ۱۷۶

غيبة نبى الله إدريس (ع)

قال الصدوق: «فأوّل الغيبات غيبة إدريس النبيّ (ع) المشهورة حتّى آل الأمر بشيعته إلى أن تعذّر عليهم القوت، وقتل الجبّار من قتل منهم، وأفقر وأخاف باقيتهم، ثمّ ظهر (ع)، فوعد شيعته بالفرج وبقيام القائم من ولده، وهو نوح (ع)، ثمّ رفع الله عزّوجلّ إدريس (ع) إليه، فلم تزل الشيعة يتوقّعون قيام نوح (ع) قرناً بعد قرن، و خلفاً عن سلف، صابرين من الطواغيت على العذاب المهين حتّى ظهرت نبوة نوح (ع)» (۱).

ثمّ ذكر حديثاً عن الإمام الباقر (ع) يتضمّن غيبة إدريس عشرين سنة مختفياً فى غار لمّا خاف من جبّار زمانه، وملك من الملائكة يأتيه بطعامه وشرابه، ثمّ ذكر ظهور نبوّة نوح (ع).

غيبة نبى الله هود (ع)

أمّا غيبة هود (ع) فقد ذكرها نبى الله نوح، وأوصى قومه بالانتظار والترقّب لغيبته.

روى الصدوق بسنده عن الإمام الصادق (ع): «أنّه لمّا حضرت نوحاً (ع) الوفاة دعا الشيعة، فقال لهم: اعلموا أنّه ستكون من بعدى غيبة، يظهر فيها الطواغيت، وأنّ الله عزّوجلّ يفرّج عنكم بالقائم من ولدى اسمه هود، فلم يزالوا يترقّبون هوداً (ع)، وينتظرون ظهوره حتّى طال عليهم الأمد، وقست قلوب أكثرهم، فأظهر الله تعالى ذكره نبيّه هوداً (ع) عند اليأس وتناهى البلاء، وأهلك الأعداء بالريح العقيم، ثمّ وقعت الغيبة بعد ذلك إلى أن ظهر صالح (ع)» (۲).

۱- كمال الدين وتمام النعمة، ص ۱۲۷.

۲- المصدر نفسه، ص ۱۳۵.

ص: ۱۷۷

غيبة نبيّ الله إبراهيم (ع)

قال الصدوق: «وأمّا غيبة إبراهيم خليل الرحمن (ع) فإنّها تشبه غيبة قائمنا صلوات الله عليه، بل هى أعجب منها؛ لأنّ الله عزّوجلّ غيّب أثر إبراهيم (ع) وهو فى بطن أُمّه حتّى حوّله عزّوجلّ بقدرته من بطنها إلى ظهرها، ثمّ أخفى أمر ولادته إلى بلوغ الكتاب أجله».

ثمّ روى بسند صحيح (۱) عن الإمام الصادق قصّة إبراهيم (ع) مع النمرود، وخلاصتها: أنّ النمرود بعد أن علم بأنّه سيولد مولود يقضى على سلطانه وملكه حجب النساء عن الرجال، فلم يترك امرأة إلّا جعلت بالمدينة حتّى لا يخلص إليهنّ الرجال، فأرسل إلى نساء من القوابل لاـ يكون فى البطن شىء إلّا علمن به، فنظرن إلى أُمّ إبراهيم، فألزم الله تعالى ذكره ما فى الرحم الظهر، فقلن: ما نرى شيئاً فى بطنها، فلمّا وضعت أُمّ إبراهيم (به) أراد أبوه أن يذهب به إلى نمرود. .. [ثمّ أنجاه الله تعالى منه] فصدع بأمر الله تعالى، ثمّ غاب الغيبة الثانية، وذلك حين نفاه الطاغوت عن المصر، فقال: وَ أَعْتَزِلُكُمْ وَ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ (مريم: ۴۸)، الآية (۲).

غيبة نبى الله صالح (ع)

روى الصدوق بسنده عن الإمام الصادق (ع): «أنّ صالحاً (ع) غاب عن قومه زماناً، وكان يوم غاب عنهم كهلًا مبدح البطن، حسن الجسم، وافر اللحية، خميص البطن، خفيف العارضين، مجتمعاً، ربعة من الرجال، فلمّا رجع إلى

۱- والسند هو: «حدّثنا أبى، ومحمّد بن الحسن قالاـ: حدّثنا سعد بن عبد الله الأشعرى (ثقة)، عن يعقوب بن يزيد الكاتب (ثقة صدوق)، عن محمّد بن أبى عمير (ثقة)، عن هشام بن سالم (ثقة)، عن أبى بصير (ثقة)، عن أبى عبد الله ۷ .. الحديث»، فرجال السند كلّهم ثقات أجلّاء.

۲- كمال الدين وتمام النعمة، ص ۱۳۵.

ص: ۱۷۸

قومه لم يعرفوه، وكانوا على ثلاث طبقات: طبقة جاحدة، وأُخرى شاكّة، وأُخرى على يقين- إلى أن قال-: وإنّما مثل القائم مثل صالح» (۱).

غيبة نبيّ الله يوسف (ع)

وأمّا غيبة يوسف (ع) فإنّها كانت عشرين سنة، كان منها ثلاثة أيّام فى الجبّ، وفى السجن بضع سنين، فاختلفت عليه الأحوال فى غيبته من إجماع إخوته على قتله وإلقائهم إيّاه فى غيابة الجبّ، ثمّ بيعهم إيّاه بثمن بخس، ثمّ بلواه بامرأة العزيز، ثمّ بالسجن بضع سنين، ثمّ صار إليه ملك مصر، وجمع الله تعالى شمله وأراه تأويل رؤياه.

روى الصدوق بسنده عن الصادق (ع) قال: «كان يعقوب (ع) يعلم أنّ يوسف حيّ لم‌يمت، وأنّ الله سيظهره له بعد غيبته، وكان يقول لبنيه: وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ، وكان بنوه يفنّدونه على ذكره ليوسف».

ثمّ قال: «فحال العارفين فى وقتنا هذا بصاحب زماننا الغائب حال يعقوب فى معرفته بيوسف وغيبته، وحال الجاهلين به وبغيبته والمعاندين فى أمره حال إخوة يوسف الذين قالوا لأبيهم: تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلالِكَ الْقَدِيمِ، وقول يعقوب (ع): أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ دليل على أنّه قد كان علم أنّ يوسف حيّ وأنّه إنّما غيّب عنه للبلوى والامتحان» (۲).

روى الطبرى بسنده عن مبارك بن فضالة عن الحسن، قال: «القى يوسف فى الجبّ وهو ابن سبع عشرة، فغاب عن أبيه ثمانين سنة، ثمّ عاش بعد ما جمع الله له شمله ورأى تأويل رؤياه ثلاثاً وعشرين سنة» (۳).

۱- المصدر نفسه، ص ۱۳۷.

۲- كمال الدين وتمام النعمة، ص ۱۴۸.

۳- تفسير الطبرى، ج ۷، ص ۳۰۱.

ص: ۱۷۹

وروی ابن کثیر فی تفسیره: «وقال محمّد بن إسحاق: ذکر- والله أعلم- أنّ غیبة یوسف عن یعقوب کانت ثمانی عشرة سنة، قال: وأهل الکتاب یزعمون أنّها کانت أربعین سنة أو نحوها، وأنّ یعقوب (ع) بقی مع یوسف بعد أن قدم علیه مصر سبع عشرة سنة» (۱).

وقال الشیخ المفید: «وکان من قصّة یوسف بن یعقوب (علیهما السلام) ما جاءت به سورة کاملة بمعناه، وتضمّنت ذکر استتار خبره عن أبیه، وهو نبی الله تعالی، یأتیه الوحی منه سبحانه صباحاً ومساءً، وأمره مطوی عنه وعن إخوته، وهم یعاملونه ویبایعونه ویبتاعون منه، ویلقونه ویشاهدونه، فیعرفهم ولا یعرفونه، حتّی مضت علی ذلک السنون، وانقضت فیه الأزمان، وبلغ من حزن أبیه (ع) علیه لفقده، ویأسه من لقائه، وظنّه خروجه من الدنیا بوفاته ما انحنی له ظهره، وأنهک به جسمه، وذهب لبکائه علیه بصره. ولیس فی زماننا الآن مثل ذلک، ولا سمعنا بنظیر له فی سواه» (۲).

غیبة نبیّ الله موسی (ع)

وقد کان من غیبة موسی بن عمران (ع) عن وطنه وفراره من فرعون ورهطه ما نطق به الکتاب، قال تعالی: فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً یَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِی مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ (القصص: ۲۰). ولم یظهر علیه أحد مدّة غیبته عنهم فیعرف له مکاناً، حتّی ناجاه الله عزّوجلّ وبعثه نبیّاً، فدعا إلیه وعرفه الولی والعدو إذ ذاک (۳).

غیبة نبیّ الله یونس (ع)

۱- تفسیر ابن کثیر، ج ۲، ص ۶۴۴.

۲- المسائل العشرة فی الغیبة، ص ۸۴.

۳- الفصول العشرة فی الغیبة، المفید، ص ۸۴.

ص: ۱۸۰

وكان من أمر نبيّ الله يونس ۷ مع قومه وفراره عنهم عند تطاول المدّة فى خلافهم عليه واستخفافهم بحقوقه، وغيبته عنهم عن كلّ أحد من الناس حتّى لم يعلم بشر من الخلق مستقرّه ومكانه إلّا الله تعالى؛ إذ كان المتولّى لحبسه فى جوف حوت فى قرار بحر، وقد أمسك عليه رمقه حتّى بقى حيّاً، ثمّ أخرجه من ذلك إلى تحت شجرة من يقطين، بحيث لم يكن له معرفة بذلك المكان من الأرض، ولم يخطر له ببال سكناه. وهذا أيضاً خارج عن عادتنا وبعيد من تعارفنا، وقد نطق به القرآن (۱)، وأجمع عليه أهل الإسلام وغيرهم من أهل الملل والأديان (۲).

غيبة أصحاب الكهف

وكذلك غيبة أصحاب الكهف فقد نزل القرآن الكريم بخبرهم وشرح أمرهم، وفرارهم بدينهم من قومهم وحصولهم فى كهف ناء عن بلدهم، فأماتهم الله فيه وبقى كلبهم باسطاً ذراعيه بالوصيد، ودبّر أمرهم فى بقاء أجسامهم على حال أجساد الحيوان لا يلحقها بالموت تغيّر، فكان يقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال كالحى الذى يتقلّب فى منامه بالطبع والاختيار، ويقيهم حرّ الشمس التى تغيّر الألوان، والرياح التى تمزّق الأجساد، فبقوا على ذلك ثلاثمائة سنة وتسع سنين على ما جاء به الذكر الحكيم، ثمّ أحياهم، فعادوا إلى معاملة قومهم ومبايعتهم، وأنفذوا إليهم بورقهم ليبتاعوا منهم أحلّ الطعام وأطيبه وأزكاه بحسب ما تضمّن القرآن من شرح قصّتهم، مع استتار أمرهم عن قومهم وطول غيبتهم عنهم وخفاء أمرهم عليهم.

وليس فى عادتنا مثل ذلك ولا عرفناه، ولولا أنّ القرآن جاء بذكر هؤلاء القوم وخبرهم وما ذكرناه من حالهم لتسرّعت الناصبة لإنكار ذلك كما يتسرّع

۱- قال تعالى: إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ... فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ* فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ* لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (الصافات: ۱۴۰- ۱۴۳).

۲- الفصول العشرة، ص ۸۵.

ص: ۱۸۱

إلى إنكاره الملحدون والزنادقة والدهريّون (۱).

قصص أُخرى يذكرها القرآن

لو تأمّلنا فى قصص القرآن الكريم ومدى القدرة الإلهيّة الإعجازيّة على التصرّف بنظام الكون فى الإحياء والإماتة، وفى الغيبة والحضور وفى جميع جوانب الكون، فلو أخذنا ذلك المثال البسيط الذى يحدّثنا به جلّ وعلا عن قصّة صاحب الحمار الذى مرَّ على تلك القرية الخاوية على عروشها، فتعجّب سائلًا: كيف تعمّر مرّة أُخرى؟ وهل يرجع أهلها بعد أن أماتهم الله تعالى؟ ونتيجة لتلك الأفكار التى استبعدها من مخيّلته لقصر فهمه ومحدوديّة عقله، فضرب الله تعالى له ولنا المثل للعبرة والعظة.

قال الله تعالى حكاية عنه: أَوْ كَالَّذِی مَرَّ عَلی قَرْیَةٍ وَ هِیَ خاوِیَةٌ عَلی عُرُوشِها قالَ أَنَّی یُحْیِی هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها (البقره: ۲۵۹).

فجاء القدر والإعجاز الإلهى وهو أن يميته مائة عام بدون أن تتغيّر خلاياه الإنسانيّة، وتشيخ تلك النفس لتغيّر تلك الخلايا وهرمها، (فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عام) (البقره: ۲۵۹)، وأيضاً طعامه لم تجر عليه سنّة الفساد والتغيّر، وبعد أن أحياه الله تعالى خاطبه بقوله: (فَانْظُرْ إِلی طَعامِکَ وَ شَرابِکَ لَمْ یَتَسَنَّهْ وَ انْظُرْ إِلی حِمارِکَ وَ لِنَجْعَلَکَ آیَةً لِلنَّاسِ وَ انْظُرْ إِلَی الْعِظامِ کَیْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَکْسُوها لَحْماً فَلَمَّا تَبَیَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ) (البقره: ۲۵۹).

فالله جلّ وعلا جعل هذه الآية وهذه العلامة ليقول لنا: إنّ القدرة الإلهية تتجاوز عقولكم، فنحن قادرون أن نتصرّف بكم كيفما نشاء؛ لأنّنا نحن الخالقون لكم، وبيدنا مبدأكم ومنتهاكم.

۱- الفصول العشرة، صص ۸۵ و ۸۶.

ص: ۱۸۲

الخلاصة:

إذن فالإمكان للغيبة واقع وله تحقّق كما تقدّم، وعليه فلا يجوز إنكار غيبة الإمام المهدى (عج)، لاسيّما أنّ الأحاديث النبويّة من الفريقين قد ذكرت غيبته (عج)، فالاستبعاد لها أمر فى غاية الجهل الذى لا مبرّر له سوى العناد والمكابرة.

نعم، قد يقال: إنّ غيبة الأنبياء قصيرة ومحدودة بزمن معيّن.

نقول: نحن نتكلّم فى أصل الغيبة، فهناك غيبات وقعت للأنبياء والأولياء، وهذا أمر ممكن، ولو تكرّر مرّة أُخرى، فالأمر ليس غريباً أو مستهجناً، أمّا طول هذه الغيبة أو قصرها فهذا أمر راجع إلى تقدير الله تعالى شأنه، فهو العالم بملاكات هذه الأُمور، فإنّ القادر على أن يغيّب أصحاب الكهف أو غيرهم ثلاثمائة سنة، قادر أن يفعل ما يشاء، لايسأل عمّا يفعل وهم يسألون.

سفراء الإمام المهدى (عج)

اشارة

أمّا دور السفراء الأربعة للإمام المهدى (عج) الذى حاول القفارى أن يجعل منهم مبتكرين لفكرة الإمامة والغيبة، فهذا من الغرائب والعجائب التى نعتقد أنّها لا تنطلى على أحد، فمسألة المهدويّة والغيبة- كما قلنا آنفاً- هى من تقدير المولى جلّ وعلا، ورسول‌الله (ص) قد نطق بها قبل ولادته (ع) كما ذكرنا ذلك كراراً ومراراً، وذكرنا أحاديث غيبته من الفريقين، وذكرنا أيضاً غيبات الأنبياء، ووقوع الغيبة لأصحاب الكهف وغيرهم، فالعقل لا يمكن أن ينكر ذلك بعد الوقوع والتحقّق فى الخارج.

وثاقة السفراء الأربعة الذين اتّهمهم القفارى باختلاق المهدويّة

ولكى نقف على معرفة هؤلاء السفراء العظام- الذى أراد الدكتور القفارى

ص: ۱۸۳

أن يحطّ من منزلتهم باختلاقهم الكذب وغيره- ومدى ثقتهم وجلالتهم وإخلاصهم، وكيفيّة ارتباطهم بالإمام الحسن العسكرى (ع) ومن ثمّ ولده الإمام المهدى (عج)، ولننقل ترجمة حياتهم وأدوارهم فى نقل أوامر الإمام المهدى فى توجيه الأُمّة وتربيتها وكيفيّة التصرّف بعد غيابه فى غيبته الكبرى، وبذلك سوف يزول الإبهام الذى لفّق لهذه المسألة، وأنّه لاعلاقة لهؤلاء السفراء الأجلّاء بما ادّعاه القفارى فى نسبته لهم باختلاق فكرة المهديّة والغيبة.

السفير الأوّل: عثمان بن سعيد العمرى الأسدى

صفاته

كان الشيخ العمرى من الفقهاء والعلماء الكبار، فهو الأمين والعفيف، وهو الصادق، فهو موضع ثقة الجميع؛ لذا جاء اختياره لهذه المهمّة والمسؤوليّة مع ما فيها من مخاطر قد تؤدّى إلى موته أو قتله؛ لأنّ السلطة الحاكمة كانت تترصّد حركات الإمام المهدى (عج) وأتباعه، فامتهن تجارة بيع السمن، وجاءت تسميته بالسمّان؛ تقيّة وخوفاً من ملاحقته أو مطاردته، وليكون عمله سرّيّاً، ولأداء مهمّة إيصال الرسائل والأموال وغيرها من وإلى الأئمّة (عليهم السلام).

سفارته

تعدّ سفارة الشيخ عثمان بن سعيد العمرى هى الأُولى فى عصر الغيبة الصغرى، وقد نصّ عليه الإمام المهدى (عج) لتسنّم هذا المنصب، كما أنّه حاز شرف الوكالة من قبل الإمامين العسكريين، الإمام الهادى والعسكرى (عليهما السلام) (۱).

۱- رجال الطوسى، صص ۳۸۹ و ۴۰۱.

ص: ۱۸۴

أمّا مسألة النصّ عليه فقد قال الإمام المهدى (عج) مخاطباً ولده- أى: محمّد بن عثمان- عند وفاة والده: «.. وكان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره» (۱).

وهذا النصّ يكشف بصورة جليّة سفارة العمرى رحمه الله ووكالته.

وأمّا مدّة سفارته فقد بلغت خمس سنوات، من ۲۶۰ إلى ۲۶۵ ه.

وثاقته وجلالته

نذكر بعض ما ورد من مدح وإطراء لهذه الشخصيّة العظيمة، والذى تدلّ على كبر منزلته وجلالته وورعه وصدقه.

روى الشيخ الطوسى بسنده عن أحمد بن إسحاق بن سعد القمّى، عن الإمام الهادى (ع) قال: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعنّى يقوله، وما أدّاه إليكم فعنّى يؤدّيه» (۲).

وروى أيضاً بنفس السند عن الإمام العسكرى (ع)، قال: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضى وثقتى فى المحيا والممات ...» (۳).

وكتب الإمام العسكرى (ع) إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابورى فيه توثيق للعمرى، قال: «.. فلا تخرجن من البلدة حتّى تلقى العمرى، وتسلّم عليه وتعرفه ويعرفك، فإنّه الطاهر الأمين العفيف القريب منّا وإلينا» (۴).

وعند وفاة عثمان بن سعيد رضوان الله عليه خاطب الإمام المهدى (عج) ولده محمّداً، وقد مدح أباه وأثنى عليه، وهذا الخطاب يكشف عن مدى حبّ الإمام

۱- الغيبة، الشيخ الطوسى، ص ۳۶۲.

۲- المصدر نفسه، ص ۳۵۴.

۳- المصدر نفسه.

۴- اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسى، ج ۲، ص ۸۴۸.

ص: ۱۸۵

له، وأنّه فی منزلـة وجلالـة ووثاقة عالیة عنده، قال: «إنّا لله وإنّا إلیه راجعون، تسـلیماً لأمره ورضاء بقضائه ... عاش أبوک سـعیداً ومات حمیـداً، فرحمه الله وألحقه بأولیـائه ومـوالیه، فلم یزل مجتهـداً فی أمرهم، ساعیـاً فی مـا یقرّبه إلی الله عزّ وجـلّ، نضّـر الله وجهه وأقـاله عثرته» (۱).

قال الشـیخ الطوسی: «کانت توقیعات صاحب الأمر (عج) تخرج علی یدی عثمان بن سعید وابنه أبی جعفر محمّد بن عثمان إلی شیعته وخواصّ أبیه أبی محمّـد (ع)، بالأـمر والنهی والأجوبـة عمّا یسأل الشـیعة عنه إذا احتاجت إلی السؤال فیه بالخطّ الـذی کان یخرج فی حیاة الحسن (ع)، فلم تزل الشـیعة مقیمـة علی عـدالتهما إلی أن توفّی عثمان بن سـعید، وغسّـله ابنه أبو جعفر وتولّی القیام به، وحصـل الأمر کلّه مردوداً إلیه، والشـیعة مجتمعـة علی عدالته وثقته وأمانته؛ لما تقدّم له من النصّ علیه بالأمانة والعدالة، والأمر بالرجوع إلیه فی حیاة الحسن (ع)، وبعد موته فی حیاة أبیه عثمان رحمة الله علیه» (۲).

وخلاصة الکلام: أنّ العمری کان همزة الوصل بین الإمام المهدی (عج) وشـیعته فی مراسلاتهم وقضایاهم، فهو ذلک النابغة فی الفکر والعقـل والحکمـة، مضافاً إلی صـفات تحلّی بهـا وهو أهـل لهـا، کالتقوی والورع والصـدق والأمانـة، ممّا أهّله ذلک إلی تسـنّم تلک المراتب الراقیة، فکان أهلًا للنیابة الخاصّة والوکالة العامّة رضوان الله علیه.

۱- الغیبة، ص ۳۶۱؛ کمال الدین وتمام النعمة، ص ۵۱۰.

۲- الغیبة، صص ۳۵۶ و ۳۵۷.

ص: ۱۸۶

وفاته

توفّی الشیخ العمری رضوان الله علیه فی بغداد، ودفن بجانب الرصافة فی بغداد، وقبره معروف یزار.

السفیر الثانی: محمّد بن عثمان العمری، أبو جعفر

منزلته

کانت له منزلة عظیمة عند الشیعة الإمامیّة فقد تواترت وثاقته وجلالته عند الإمامیّة، وکان یلقّب بالخلّانی، لتجارته وبیعه لمادّة الخلّ المعروفة، ولعلّ ذلک کان لیختفی ویتستّر عن السلطة الحاکمة؛ مخافة قتله لو علموا بکونه وکیلًا أو سفیراً للإمام المهدی (عج)، فهم لم یتورّعوا- کما قلنا سابقاً- عن تفتیش بیت الإمام العسکری (ع) والعبث والتنکیل بکلّ ما یطالهم عند ولادة الإمام (عج)، فکیف لو علموا بأنّه الوکیل الشرعی له.

وقیل: لحلمه وورعه وتقواه، فهو الجِلّ والصدیق والصاحب لکلّ الناس، فجاءت شهرته لهذه العلّة. وعلی کلا القولین فهو ذلک الإنسان الورع الجلیل، محلّ ثقة الإمام المهدی (عج).

قال الشیخ الطوسی: «محمّد بن عثمان بن سعید العمری، یکنّی أبا جعفر، وأبوه یکنّی أبا عمرو، جمیعاً وکیلان من جهة صاحب الزمان (عج)، ولهما منزلة جلیلة عند الطائفة» (۱).

سفارته

۱- رجال الطوسی، ص ۴۷۷.

ص: ۱۸۷

أمّا سفارته فقد تمّ تعيينه من قبل الإمام المهدى (عج) سفيراً ثانياً له، وقائماً بأعماله، بعد وفاة والده مباشرة، وقد قام الإمام المهدى (عج) بخطوات عمليّة لإثبات سفارته، وذلك من خلال خطاباته إلى شيعته ومواليه فى أرجاء العالم الإسلامى يعلمهم بخبر نيابة وخلافة محمّد بن عثمان محلّ والده، فهو النائب والوكيل عنه (عج).

ومن تلك الخطابات والرسائل هو ما بعثه الإمام المهدى (عج) إلى محمّد بن مهزيار الأهوازى، حيث جاء فى كلامه:

«والابن- وقاه الله- لم يزل ثقتنا فى حياة الأب وأرضاه ونضّر وجهه، يجرى عندنا مجراه، ويسدّ مسدّه، وعن أمرنا يأمر الابن، وبه يعمل، تولّاه الله، فانته إلى قوله وعرّف معاملتنا ذلك» (۱).

وواضح من هذا الخطاب أنّ الإمام المهدى (عج) وضع ثقته المطلقة فى «محمّد بن عثمان» الذى لا يختلف عن أبيه فى القيام فى هذا الدور الحيوى والمهمّ، فى تبليغ وصايا الإمام، وتوجيه الأُمّة نحو الصلاح والكمال، فى ظرف قد يجعله عرضة للقتل فى كلّ لحظة، لاسيّما وعيون السلطة تراقب حركاتهم وسكناتهم، لذا كانت حركته فى سرّيّة وكتمان.

ولذا كان موضع رضا وقبول الإمام المهدى (عج)، بحيث كان يدعو له أن يعينه ويقوّيه، ويحفظه فى تحمل المهامّ الصعبة الملقاة عليه، وذلك حين خاطبه عند وفاة أبيه معزّياً و محفّزاً لتسلّم مهامّ النيابة من بعده، حيث قال له:

«أجزل الله لك الثواب، وأحسن لك العزاء، رزئت ورزئنا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسرّه الله فى منقلبه، وكان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك، يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحّم عليه، وأقول الحمد لله، فإنّ

۱- الغيبة، ص ۳۶۲.

ص: ۱۸۸

الأنفس طيّبة بمكانك، وما جعله الله عزّوجلّ فيك وعندك، أعانك الله وقوّاك، وعضدك ووفّقك، وكان لك وليّاً وحافظاً وراعياً وكافياً ومعيناً» (۱).

أمّا مدّة سفارته فكانت أربعين سنة، من سنة ۲۶۵ إلى ۳۰۵ ه.

وثاقته وجلالته

قال ابن الأثير فى «الكامل»: «مات أبو جعفر بن محمّد بن عثمان العسكرى المعروف بالسمّان، ويعرف أيضاً بالعمرى رئيس الإماميّة، وكان يدّعى أنّه الباب إلى الإمام المنتظر، وأوصى إلى أبى القاسم الحسين بن روح» (۲).

وقال الشيخ الطوسى: «محمّد بن عثمان بن سعيد العمرى، يكنّى أبا جعفر، وأبوه يكنّى أبا عمرو، جميعاً وكيلان من جهة صاحب الزمان (عج)، ولهما منزلة جليلة عند الطائفة» (۳).

وروى الشيخ الطوسى أيضاً بسنده عن إسحاق بن يعقوب عن الإمام المهدى (عج) قال: «وأمّا محمّد بن عثمان العمرى، وعن أبيه من قبل، فإنّه ثقتى، وكتابه كتابى» (۴).

وروى الشيخ الطوسى عن الإمام العسكرى (ع): «العمرى وابنه ثقتان، فما أدّيا فعنّى يؤدّيان، وما قالا فعنّى يقولان، فاسمع لهما وأطعهما، فإنّهم الثقتان المأمونان» (۵).

وتقدّم توثيقه من الإمام (عج) حين عزّى والده عند وفاته بقوله: «والابن وقاه

۱- كمال الدين وتمام النعمة، ص ۵۱۰؛ الغيبة، ص ۳۶۲.

۲- الكامل فى التاريخ، ابن الأثير، ج ۸، ص ۱۰۹.

۳- رجال الطوسى، ص ۴۷۷.

۴- الغيبة، ص ۲۹۱.

۵- المصدر نفسه، ص ۲۴۳.

ص: ۱۸۹

الله لم يزل ثقتنا فى حياة الأب» (۱).

رؤيته للإمام المهدى (عج)

روى الشيخ الصدوق بسند صحيح عن عبد الله بن جعفر الحميرى، قال: سألت محمّد بن عثمان العمرى، فقلت له: أرأيت صاحب هذا الأمر؟ فقال: نعم، وآخر عهدى به عند بيت الله الحرام وهو يقول: «اللّهمّ أنجز لى ما وعدتنى» (۲).

وروى أيضاً بنفس السند عن محمّد بن عثمان العمرى، قال: سمعته يقول: والله، إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنة، فيرى الناس ويعرفهم، ويرونه ولايعرفونه (۳).

إذن من خلال هذه الروايات الصحيحة فقد تشرّف العمرى برؤية الإمام (عج)، وفى هذا دلالة على عظم هذه الشخصيّة وكونه من المقرّبين والموثوق بهم عند الإمام المهدى (عج).

وفاته

توفّى الشيخ محمّد بن عثمان العمرى بعد أن أوصى لخلفه الشيخ الحسين بن روح النوبختى بالنيابة بعده بأمر الإمام المهدى (عج)، ودفن فى بغداد، وقبره معروف يزار.

السفير الثالث: الحسين بن روح أبو القاسم النوبختى

اشارة

۱- المصدر نفسه، ص ۳۶۲.

۲- كمال الدين وتمام النعمة، ص ۴۴۰.

۳- كمال الدين وتمام النعمة، ۴۴۰.

ص: ۱۹۰

جلالته ووثاقته

عرف عنه بكونه من الثقات الأجلّاء عند الخاصّة والعامّة، فكانت العامّة تعظّمه وتحترمه، وترى فيه الصدق والأمانة، فهو رأس الشيعة والشيخ الصالح بشهادة الذهبى، وكان فاضلًا موثوقاً، يختلف فى ذلك اثنان، حتّى كان أبو سهل النوبختى يقول فى حقّه: «لو كان الحجّة (عج) تحت ذيله وقرّض بالمقاريض ما كشف الذيل» (۱).

قال الذهبى: «أبو القاسم الحسين بن روح رأس الشيعة، الملقّب بالباب إلى صاحب الزمان» (۲).

وقال فى تاريخ الإسلام: «هو الشيخ الصالح أحد الأبواب لصاحب الأمر، نصّ عليه بالنيابة أبو جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمرى عنه، وجعله من أوّل من يدخل عليه حين جعل الشيعة طبقات. وقد خرج على يديه تواقيع كثيرة، فلمّا مات أبوجعفر صارت النيابة إلى أبى القاسم. وجلس فى الدار ببغداد، وجلس حوله الشيعة ...» (۳).

سفارته

الشيخ الحسين بن روح تأتى مرتبته فى السفارة هى الثالثة بعد العمرى (الابن)، وقد وكّله بعده للنيابة والسفارة والقيام بالمهمّات بين الإمام وشيعته بأمر الإمام المهدى (عج)، روى الشيخ الطوسى:

«إنّ أبا جعفر العمرى لما اشتدّت حاله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة ... فقالوا له: إن حدث أمر فمن يكون مكانك؟ فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن

۱- الغيبة، ص ۳۹۱.

۲- سير أعلام النبلاء، ج ۱۴، ص ۵۶۷.

۳- تاريخ الإسلام، ج ۲۴، ص ۱۹۰.

ص: ۱۹۱

روح بن أبی بحر النوبختی، القائم مقامی، والسفیر بینکم وبین صاحب الأمر (ع)، والوکیل له والثقة الأمین، فارجعوا إلیه فی أُمورکم، وعوّلوا علیه فی مهمّاتکم، فبذلک أُمرت وقد بلّغت» (۱).

وکانت مدّة سفارته إحدی وعشرین سنة، من ۳۰۵ إلی ۳۲۶ ه.

وفاته

توفّی رضوان الله علیه فی شهر شعبان سنة ۳۲۶ ه فی بغداد، ودفن بجانب الرصافة فی بغداد، وقبره معروف یزار.

السفیر الرابع: علیّ بن محمّد السمری

وثاقته وسمو شأنه

لا یختلف اثنان فی وثاقة وسمو ورقی مکانة السمری رضوان الله علیه عند الطائفة الشیعیّة، فیکفیه فخراً أنّ الإمام اختاره لهذه المرتبة الجلیلة فی کونه نائباً ووکیلًا عنه، فلاینال ذلک إلّا من کان ثقة جلیلًا مؤهّلًا لتحمّل المسؤولیّة، وهذا ما خوّله لتسنّم هذه الوظیفة.

سفارته

نال شرف السفارة والقیام بأعباء المسؤولیّة عن الإمام المهدی (عج) بعد وفاة السفیر الثالث الشیخ الحسین بن روح النوبختی، وکانت مدّة سفارته ثلاث سنوات، من ۳۲۶ إلی ۳۲۹ ه، فهی أقصر مدّة تولّی فیها هذا المقام السامی،

۱- الغیبة، ص ۳۷۲.

ص: ۱۹۲

وبعدها انتهت الغیبة الصغری، وذلک بالبیان الذی بلّغه به الإمام (عج)، لیأتی الدور الآخر، وهو الغیبة الکبری، وآخر کلمات وخطابات الإمام له هی قوله:

«بسم الله الرحمن الرحیم، یا علیّ بن محمّد السمری، أعظم الله أجر إخوانک فیک، فإنّک میّت ما بینک وبین ستّة أیّام، فاجمع أمرک ولا توصِ إلی أحد یقوم مقامک بعد وفاتک، فقد وقعت الغیبة الثانیة، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله عزّوجلّ، وذلک بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسیأتی شیعتی من یدّعی المشاهدة، ألا فمن ادّعی المشاهدة قبل خروج السفیانی والصیحة فهو کاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلیّ العظیم ... فلمّا کان الیوم السادس عدنا إلیه وهو یجود بنفسه، فقیل له: من وصیّک من بعدک؟ فقال: لله أمر هو بالغه» (۱).

وبنهایة هذه النیابة اقتضت حکمة الله تعالی أن یغیب ویحتجب عن عیون محبّیه وشیعته، لتبدأ مرحلة ودور آخر، وهو ما نسمّیه بالغیبة الکبری، فأرجع شیعته إلی الفقهاء للقیام بمهامّ التبلیغ إلی ما شاء الله أن یصدع بأمر ظهوره؛ لیملأ الأرض قسطاً وعدلًا بعد أن تمتلئ بالظلم والجور.

وفاته

توفّی الشیخ السمری فی بغداد، ودفن بجانب الرصافة فی بغداد، وقبره معروف یزار.

وبذلک اتّضح جلالة ووثاقة ونزاهة هؤلاء السفراء، وأنّ دورهم کان محصوراً فی تبلیغ الأحکام الشرعیّة فی عصر الغیبة، وکذلک کونهم وسطاء بین الإمام ورعیّته.

۱- کمال الدین وتمام النعمة، ص ۵۱۶؛ الغیبة، ص ۳۹۵؛ الاحتجاج، الطبرسی، ج ۲، ص ۲۹۷.

ص: ۱۹۳

تحقيق الأهداف بالغيبة الصغرى

اشارة

إنّ الغيبة الصغرى قد حقّقت الغرض وذلك بتحقيق أهدافها، فحصّنت الشيعة بهذه العمليّة التدريجيّة للنيابة وتهيئة الأُمّة للغيبة الكبرى، والتكيّف لقبول النيابة العامّة بزعامة الفقهاء العدول، قال السيّد محمّد باقر الصدر (رحمة الله):

«نيابة النوّاب الأربعة التى استمرّت حوالى سبعين عاماً، وكان السمرى هو آخر النوّاب، فقد أعلن عن انتهاء مرحلة الغيبة الصغرى التى تتميّز بنوّاب معيّنين، وابتداء الغيبة الكبرى التى لا يوجد فيها أشخاص معيّنون بالذات للوساطة بين الإمام القائد والشيعة، وقد عبّر التحوّل من الغيبة الصغرى إلى الغيبة الكبرى عن تحقيق الغيبة الصغرى لأهدافها وانتهاء مهمّتها؛ لأنّها حصّنت الشيعة بهذه العمليّة التدريجيّة عن الصدمة والشعور بالفراغ الهائل بسبب غيبة الإمام، واستطاعت أن تكيّف وضع الشيعة على أساس الغيبة، وتعدّهم بالتدريج لتقبّل فكرة النيابة العامّة عن الإمام، وبهذا تحوّلت النيابة من أفراد منصوصين إلى خطّ عام، وهو خطّ المجتهد العادل، البصير بأُمور الدنيا والدين، تبعاً لتحوّل الغيبة الصغرى إلى غيبة كبرى» (۱).

نتيجة ما تقدّم

بعد ترجمتنا لهؤلاء الثقات التى أجمعت الطائفة على صدقهم ووثاقتهم، وكذلك ما ورد من كلمات بعض أهل السنّة بكونهم من رؤوس الشيعة، فهل يعقل أن يضعوا ويختلقوا قصّة بهذا الحجم لنظريّة المهدويّة التى أطبق على ذكرها الفريقان، وبطرق صحيحة، وقبل أن يلد الإمام المهدى (عج)؟!

ثمّ هل يعقل أنّ الوكلاء والنوّاب الذين لم يحص عليهم خطأ أو كذب أو

۱- بحث حول المهدى، محمّد باقر الصدر، ص ۱۱۰.

ص: ۱۹۴

تحايل فى تصرّف، أو تهافت فى نقل، مدّة سبعين عاماً، أن يخلقوا لنا مثل هذه الفكرة، ويتّفقوا على نقلها دون إثارة الشكوك حولها، ويكسبوا بذلك ثقة الشيعة طوال هذه السنوات؟!

أضف إلى ذلك أنّ منطق الحياة العمليّة التى لو احتملنا أو شككنا بجزء يسير ممّا ينقل عن طريق هؤلاء السفراء، لشكّل لنا قرينة بكذبهم، وحاشاهم، ولكن حساب الاحتمالات يشير لنا بأنّ الحوادث بعضها يصدّق بعضاً، و يتلاءم تمام الملائمة مع الواقع الذى ينقلونه لنا، فلا يمكن أن نكذّب الواقع، ولا يمكن إلّا أن نذعن ونسلّم بولادة الإمام وحياته وغيبته.

السيّد محمّد باقر الصدر ونظريّة حساب الاحتمالات

قال: «المهدى حقيقة عاشتها أُمّة من الناس، وعبّر عنها السفراء والنوّاب طيلة سبعين عاماً من خلال تعاملهم مع الآخرين، ولم يلحظ عليهم أحد كلّ هذه المدّة تلاعباً فى الكلام، أو تحايلًا فى التصرّف، أو تهافتاً فى النقل، فهل تتصوّر أنّ بإمكان أُكذوبة أن تعيش سبعين عاماً، ويمارسها أربعة على سبيل الترتيب كلّهم يتّفقون عليها، ويظلّون يتعاملون على أساسها وكأنّها قضيّة يعيشونها بأنفسهم، ويرونها بأعينهم دون أن يبدر منهم أىّ شىء يثير الشكّ، ودون أن يكون بين الأربعة علاقة خاصّة متميّزة تتيح لهم نحواً من التواطؤ، ويكسبون من خلال ما يتّصف به سلوكهم من واقعيّة ثقة الجميع، وإيمانهم بواقعيّة القضيّة التى يدّعون أنّهم يحسّونها ويعيشون معها؟! ومنطق الحياة يثبت أيضاً أنّ من المستحيل عمليّاً بحساب الاحتمالات أن تعيش أُكذوبة بهذا الشكل، وكلّ هذه المدّة، وضمن كلّ تلك العلاقات والأخذ والعطاء، ثمّ تكسب ثقة جميع من

ص: ۱۹۵

حولها. وهكـذا نعرف أنّ ظاهرة الغيبـة الصـغرى يمكن أن تعتبر بمثابـة تجربة علميّة لإثبات ما لها من واقع موضوعى، والتسـليم بالإمام القائد بولادته وحياته وغيبته» (۱).

إذن الـدعوى التى ساقها الـدكتور القفارى- وأبـدع بل وأجهـد نفسه فى صـياغة مفرداتها- اتّضـح بطلانها، فهى مجرّد إنشاء للعبارات ليس إلّا، والواقع يكذّبها، ومنطق العقل يدفعها أيضاً.

فقـد اتّضح أنّ هؤلاء السـفراء فى درجة عالية من الوثاقة والجلالة، ولا يمكن أن يحصـى عليهم الخطأ فى القول والفعل، ودورهم كان محصوراً بالنيابة والوكالة بين الإمام المهدى (عج) وشيعته.

فنظريّة المهـدى (عـج) والغيبـة عنـد الشـيعة الإماميّة ليست وليـدة سـفراء نقلوها لنا، بل إنّ معالم هذه النظريّة نطق بها من لا ينطق عن الهوى إنّما هو وحى يوحى، فجاءت الأحاديث عن رسول الله (ص) وعن أهل بيته (عليهم السـلام) مبشّرة بهذه النظريّة التى سوف تغيّر الدنيا بأسرها، بعد أن يمتد الظلم أرجاء العالم، فيأتى المصلح العالمى ليكشف الجور، ويملأ الأرض قسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

شبهة تسريب نظريّة المهدى والغيبة عن طريق حكيمة

اشارة

قال فى ص ۱۰۲۴:

«فمسألة المهدى وغيبته تسرّبت إلى الشـيعة عن طريق حكيمة، كما تقوله رواية شـيخ الطائفة، وما أدرى كيف يقبل الشـيعة قول امرأة واحدة غير معصومة فى أصل المذهب، وهم الذين يردّون إجماع الأُمّة بأسرها إذا لم يكن

۱- بحث حول المهدى، صص ۱۱۰ و ۱۱۱.

ص: ۱۹۶

المعصوم فيهم ولو فى مسألة فرعيّة؟! وتلاحظ أنّ إمامهم يأمر بحجب أمر المهدى وغيبته إلّا عن الثقات من شيعته، مع أنّ من لم يعرف الإمام- عندهم- فإنّما يعرف ويعبد غير الله».

لفت نظر وتنبيه

قبل الإجابة أذكر تنبيهاً يفيدنا فى فهم منهج القفارى فى طرحه لهذه الشبهة وغيرها- ولعلّنا كرّرنا هذا التنبيه- لخطر ما ينسبه للطوائف الأُخرى بلا رقابة ووازع من ضمير، وأنّه يجيد المراوغة فى صياغة القصص وسبك العبارة وحبكها، قاذفاً المسلمين بشتّى التهم من دون دليل وبرهان؛ ولكى يكون القارئ على بيّنة ونكون قد رفعنا بعض ما ينسبه للآخرين من كلام غير دقيق وغير صحيح.

نقول: إنّ أُسلوب وتحليل القفارى فى طرحه لهذه الشبهة كان سطحيّاً وهشّاً؛ وذلك لاقتطاعه بعض النصوص، وكذلك المفارقات والمغالطات، كما فى قوله: «تسرّبت غيبة الإمام المهدى من حكيمة»، «وأنّ واضعها هو عثمان بن سعيد». وكذلك التدليس والكذب فى نسبته للآراء، كما نرى ذلك فى قوله: «إنّ إمامهم يأمر بحجب المهدى وغيبته» ولم يبيّن من هو ذلك الإمام؟ وأين المصدر لهذا الكلام؟

والأنكى من ذلك والذى يثير الدهشة والعجب أنّه يطرح ويفرض فهمه على أنّه الرأى السائد عند الإماميّة، وأنّه فى كتبهم، كما فى قوله: «ابن سبأ هو الذى وضع عقيدة النصّ على علىّ بالإمامة، كما تذكره كتب الفرق عند الشيعة» مع أنّ هذا الفهم غير صحيح، ولم تقل به الشيعة على الإطلاق، كما سيأتى.

وكذلك نراه يجهد نفسه بنقل بعض النصوص ويقصرها لتتلاءم مع

ص: ۱۹۷

تصوّره وفهمه، وليس حسب رؤيـة الطرف الآـخر الـتى ينقلهـا وينسب إليهـا القول، كمـا نجـد ذلـك فى تصويره وإيحـائه للقـارئ أنّ (المعرفـة) فى قوله: «مع أنّ من لم يعرف الإمام عنـدهم- أى: الشـيعة-» هى المعرفة الحسّـيّة العيانيّة، وهذا ما لا تقول به الإماميّة مطلقاً، فهو بذلك يموّه على القرّاء الكرام الكذب فيما ينسبه من أقوال إلى الطوائف والفرق الأُخرى.

وحرى بالقارئ الكريم أن يلتفت لهـذه الأقوال الجزافيّـة، وأن يبحث عن الصدق فى كلّ ما يطرحه؛ لكى تكون الحقيقة واضـحة وغير مشوّشة ومشوّهة ومدلّسة ومختلقة فى بعض الأحيان، وسنأتى على كشف زيف تلك الأقوال.

الجواب: تـارة ينقـل لنـا القفـارى أنّ مسألـة الإمـام المهـدى (عـج) وغيبته المؤسّـسون لهـا أو الوجوه البـارزة لهـا هم: عثمان بن سـعيد والآخرون معه، ومن ثمّ تكوّنت كعقيدة للشـيعة، وتارة يقول: إنّها تسرّبت إلى الشيعة عن طريق حكيمة، فلا نعلم أىّ تناقض هذا؟ فمن هو القائل؟ ومن هو المبتكر والمؤسّس لها؟!

هل هى حكيمة التى سرّبتها لنا أو عثمان بن سعيد؟ ولعلّه يأتى بناقل ثالث ورابع ليكتشف لنا السرّ الذى كان خافياً على البشريّة.

فهـذه الترّهات (۱) الساذجـة كيف يمكن أن يستسـيغها المتلقّى؛ لأـنّ القصّـة التى تروى للآـخرين لابـدّ أن يكون فيهـا نوع من الإقناع للقارئ، ولكن القفارى أوقع نفسه فى أُمور لا يكاد يجـد المخرج منها، فتراه يتخبّط خبط عشواء فى أقواله؛ لأنّه لا يسـتطيع إنكار فكرة متواترة، بل وبديهيّة عند المسلمين عامّة.

ومن تأمّل بهذه الكلمات يقطع بأنّ القفارى ينكر أصل فكرة المهدويّة كما

۱- الترّهات: الأباطيل، وهى الطرق الصغار غير الجادّة، تتشعّب عنها. لسان العرب، ج ۱۳، ص ۴۸۰ «تره».

ص: ١٩٨

تقدّم سابقاً، وإلّا فمثل هذه الدعاوى لا يمكن أن تصدر عن إنسان يدّعى العلم وقرأ الحديث وطرقه ومَن خرّجه؛ لأنّ النصوص تواترت بهذا المضمون، فمسألة المهدويّة لا يمكن تكذيبها أو الالتفاف على النصوص التى أكّدتها السنّة النبويّة الشريفة، وقد ذكرنا النصوص عن النبىّ الأكرم (ص) وأهل بيته فى ذلك، فلا نطيل فى تكرارها.

أمّا السيّدة حكيمة التى حاول أن يطعن بكلامها فهى شاهدة على ولادة الإمام المهدى (عج)، والشيعة تذكر ذلك من باب الشهادة الحسّيّة ليس إلّا، وهى واحدة من الأدلّة والشواهد على ولادة الإمام المهدى (عج)، ولا علاقة لها بتسريب نظريّة الإمام المهدى (عج) وغيبته، فلا نعلم كيفيّة الربط بين الأمرين التى يحاول القفارى دمجهما معاً بلا تأمّل فيما يطرحه من شبهات.

ولكن السؤال الذى يجب أن نتناوله هنا: من هى السيّدة حكيمة؟ وهل شهادتها تورث الاطمئنان بصدق الولادة أم لا؟

والجواب على الأمر الثانى هو: نعم، شهادتها تورث الصدق فى أقوالها، فهى من أهل بيت طهّرهم الله تعالى وأذهب عنهم الرجس.

وأمّا من هى السيّدة حكيمة؟ فننقل ترجمتها لكى يقف القارئ على درجة وفضل هذه السيّدة الجليلة.

ترجمة السيّدة حكيمة بنت الإمام الجواد ٧

اسمها ونسبها

السيّدة حكيمة بنت الإمام محمّد الجواد بن علىّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علىّ زين العابدين بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب (عليهم السلام).

ص: ۱۹۹

جلالتها ووثاقتها

من خلال نسبها الطاهر تتّضح وثاقتها وجلالتها، فهی من العلويّات النجيبات الكريمات؛ لما لها من الفضل والعلم والتقوى، فكانت المودعة لأسرار الأئمّة (عليهم السلام)، بشهادة الشيخ المجلسی والسيّد محسن الأمين رحمهما الله.

قال المجلسی: «ثمّ اعلم أنّ فی القبّة الشريفة قبراً منسوباً إلى النجيبة الكريمة العالمة الفاضلة التقيّة الرضيّة حكيمة بنت أبی جعفر الجواد ۸ ... ظهور فضلها وجلالتها وإنّها كانت مخصوصة بالأئمّة؛ ومودعة أسرارهم، وكانت أُمّ القائم عندها، وكانت حاضرة عند ولادته (ع)، وكانت تراه حيناً بعد حين فی حياة أبی محمّد العسكری (ع)، وكانت من السفراء والأبواب بعد وفاته، فينبغی زيارتها بما أجری الله على اللسان ممّا يناسب فضلها وشأنها» (۱).

وقال السيّد محسن الأمين: «كانت من الصالحات العابدات القانتات» (۲).

مشاهدتها وحضورها لولادة الإمام المهدی (عج)

روی القندوزی الحنفی عن السيّدة حكيمة: «فلمّا كانت ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، دخلت حكيمة عند الحسن، فقال لها: «يا عمّتی، كونی الليلة عندنا لأمر»، فأقامت، فلمّا كان وقت الفجر اضطربت نرجس، فقامت إليها حكيمة، فوضعت المولود المبارك ...» (۳).

روی الشيخ الصدوق بسنده عن السيّدة حكيمة، قالت: «بعث إلیّ أبو محمّد الحسن بن علیّ (عليهما السلام) فقال: «يا عمّة، اجعلی إفطارك هذه الليلة عندنا، فإنّها ليلة النصف من شعبان، فإنّ الله تبارك وتعالى سيظهر فی هذه الليلة الحجّة، وهو

۱- بحارالأنوار، ج ۹۹، ص ۷۹.

۲- أعيان الشيعة، ج ۶، ص ۲۱۷.

۳- ينابيع المودّة، ج ۳، صص ۱۷۱، ۳۰۱ و ۳۰۴.

ص: ۲۰۰

حجّته فی أرضه»، قالت: فقلت له: ومن أُمّه؟ قال لی: «نرجس، إنّ الله تعالی سیهب لک فی لیلتک هذه غلاماً سیّداً فی الدنیا والآخرة»، قالت: فخجلت واستحیت، فلمّا أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعی، فرقدت ... فجلست وقرأت ألم السجدة ویس، فبینما أنا کذلک إذ انتبهت فزعة فوثبتُ إلیها، فقلت: اسم الله علیک، ثمّ قلت لها: أتحسّین شیئاً؟ قالت: نعم یا عمّة، فقلت لها: اجمعی نفسک واجمعی قلبک فهو ما قلت لک، قالت: فأخذتنی فترة وأخذتها فترة، فانتبهت بحسّ سیّدی، فکشفت الثوب عنه فإذا أنا به (ع)» (۱).

وفاتها

توفّیت السیّدة حکیمة (س) سنة (۲۷۴ ه)، ودفنت بجوار مرقد الإمامین العسکریّین (علیهما السلام) بمدینة سامراء.

إذن ممّا تقدّم من ترجمتها یتّضح أنّ السیّدة حکیمة کانت شاهدة وحاضرة عملیّة الولادة الطاهرة للإمام الثانی عشر، وهذا دلیل علی وجود الإمام الحجّة، وهی من الوثاقة والجلالة، فلا یمکن إلّا أن نصدّق بکلماتها وروایاتها. أمّا أنّها هی التی سرّبت نظریّة المهدویّة فهذا من مفتریات وغرائب القفاری التی لا نجد لها واقعاً صحیحاً یصدّقها.

وأمّا قوله: «وتلاحظ أنّ إمامهم یأمر بحجب أمر المهدی وغیبته إلّا عن الثقات من شیعته، مع أنّ مَن لم یعرف الإمام- عندهم- فإنّما یعرف ویعبد غیر الله، وإن مات علی هذه الحالة مات میتة کفر ونفاق».

نقول: لا نعلم من هو ذلک الإمام الذی أمر بحجب الإمام المهدی (عج) إلّا عن

۱- کمال الدین وتمام النعمة، ص ۴۲۴.

ص: ۲۰۱

الثقات من شیعته؟ فبعد مراجعة «الکافی» لم نجد هذه الروایة أو هذا الکلام، وعلی فرض وجودها فالإمام یحتجب خوفاً علی نفسه من القتل الذی قد یطاله فی کلّ لحظة، وقد تقدّمت الروایات فی ذلک.

أمّا ربط هذا الکلام بمعرفة الإمام وأنّ بعضهم لم یشاهده ویعرفه سوی الثقات، فهو محتجب عن الآخرین، وکیف تُفسّر الروایات التی تقول: من مات ولم یعرف إمامه مات میتة کفر ونفاق؟

نقول أیضاً: إنّ هذا الکلام لیس له وجه صحیح ودقیق، وهو ولید عقلیّة جامدة علی ظاهر النصّ، فالشیعة لا تقصد المعرفة الحسّیّة العیانیّة؛ بل المقصود هو المعرفة الإیمانیّة، فنحن نعتقد بالله ورسوله وملائکته، وهذا الاعتقاد هو إیمانی غیبی، ولیس المقصود منه أن نشاهده حضوراً ثمّ نؤمن به! کلا فلیس الأمر کذلک.

ثمّ إنّ هذا الحدیث قد ذکرته المصادر السنّیة بألفاظ متعدّدة، منها: «من مات ولیس فی عنقه بیعة مات میتة جاهلیّة»، وطرق مختلفة وصحیحة، وأثبتنا هناک دلالته علی وجود الإمام المهدی (عج)، وکذلک یقتضی أن یکون حیّاً یرزق إلی یوم القیامة؛ لأنّ الحدیث عامّ مطلق، کما رواه مسلم فی «صحیحه»، وعمرو بن أبی عاصم فی «السنّة»، والطبرانی فی «المعجم الکبیر» (۱)، وغیرهم. فکلمة «من» یفهم منه أهل اللسان بأنّه عامّ ولکلّ فرد مکلّف، ومطلق یشمل کلّ زمان، وهذا واضح وبدیهی.

فلو ضممنا مع هذا الحدیث حدیثاً آخر صحیحاً أیضاً، وهو قوله (ص) فی حدیث الثقلین، حیث قال فیه: «کتاب الله وعترتی أهل بیتی، وأنّهما لن یفترقا

۱- صحیح مسلم، ج ۶، ص ۲۱؛ السنة، عمرو بن أبی عاصم، ص ۴۸۹؛ المعجم الکبیر، ج ۱۹، ص ۳۳۵.

ص: ۲۰۲

حتّی یردا علیّ الحوض»، فنفی الافتراق والانفکاک عن بعضهما البعض محال، إذن فلا یمکن أن یوجد الکتاب بدون العترة القرینة له، فالإمام الذی نتکلّم عن وجوده لابدّ أن یکون فی کلّ زمان.

وهذا المعنی قد فهمه ابن حجر فی «صواعقه المحرقة»، حیث قال معلّقاً علی حدیث الثقلین:

«وفی أحادیث الحثّ علی التمسّک بأهل البیت إشارة إلی عدم انقطاع متأهّل منهم للتمسّک به إلی یوم القیامة، کما أنّ الکتاب العزیز کذلک، ولهذا کانوا أماناً لأهل الأرض، ویشهد بذلک الخبر السابق: «فی کلّ خلف من أُمّتی عدول من أهل بیتی ...» (۱).

۱- الصواعق المحرقة، ص ۱۴۹.

ص: ۲۰۳

ص: ۲۰۴

ص: ۲۰۵

الفصل الثالث: شبهات يلزم منها عدم التصديق بالإمام المهدى (عج)

شبهة التنافى بين علّة الغيبة- خوف القتل- وبين العلم بموته

اشارة

قال القفارى: «أمّا سبب غيبته فقد جاء فى الكافى عن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إنّ للقائم عليه السلام غيبة قبل أن يقوم»، قلت: ولم؟ قال: «إنّه يخاف»- وأومأ بيده إلى بطنه- يعنى القتل. وجاءت عندهم روايات عدّة فى هذا، وأكّد ذلك شيخ الطائفة الطوسى بقوله: لا علّة تمنع من ظهوره إلّا خوفه على نفسه من القتل؛ لأنّه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار، وكان يتحمّل المشاق والأذى، فإنّ منازل الأئمّة وكذلك الأنبياء: إنّما تعظم لتحمّلهم المشاقّ العظيمة فى ذات الله تعالى.

ولكن هذا التعليل للغيبة الذى يؤكّده شيخ الطائفة لا يتصوّر فى حقّ الأئمّة- على ما يعتقد الشيعة- لأنّ الأئمّة يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلّا باختيار منهم، كما أثبت ذلك الكلينى فى الكافى فى روايات عديدة، وأثبت ذلك المجلسى فى بحارالأنوار. .. فكيف يخرجون من هذا التناقض؟» (۱).

جواب الشبهة

۱- أُصول مذهب الشيعة، ج ۲، ص ۱۰۳۶.

ص: ۲۰۶

إنّ ما أورده الدكتور القفارى لهذه الإشكاليّة مدفوع بأمرين:

الأوّل- حياة الإمام المهدى (عج) مقيّدة ولها شروط:

إنّ حياة الإمام (عج) مدّة طويلة مشروطة بشرائط، منها: اختفاؤه عن الناس، وهذا لايتنافى مع علمه بمدّة عمره ووقت موته أو قتله، وذلك لأنّنا نقول: إنّ علمه بموته لم‌يكن مطلقاً، بل هو مشروط باختفائه وهروبه من القتل، وهذا ليس ببعيد، فإنّ رسول‌الله (ص) كان يعلم متى يموت، ولكنّه خرج وفرّ عن الناس وأوى إلى الغار، ثمّ هاجر إلى المدينة، فهل تستطيع أن تقول: هذا تناقض كيف هرب من الموت وهو عالم به؟!

إذن هناك شروط لحياة الأنبياء أو الأئمة (عليهم السلام)، منها الهروب أو الخوف من القتل لمصلحة تقتضى هذا الخوف، ولا تلازم أو تناقض بين الأمرين.

الثانى- لوح المحو والإثبات يشمل الموت والحياة:

إنّ الله سبحانه وتعالى أخبرنا فى كتابه الشريف فى قوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ (الرعد: ۳۹). وهذا ما يطلق عليه بلوح المحو والإثبات، فيشمل الموت والحياة والرزق وغير ذلك.

قال الشيخ المفيد: «وقد يكون الشىء مكتوباً بشرط، فيتغيّر الحال فيه، قال تعالى: ثُمَّ قَضى أَجَلًا وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ (الأنعام: ۲)، فتبيّن أنّ الآجال على ضربين، ضرب منها مشترط، يصحّ فيه الزيادة والنقصان، ألا ترى إلى قوله تعالى: وَ ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِى كِتابٍ (فاطر: ۱۱)، وقوله

ص: ۲۰۷

تعالى: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ (الأعراف: ۹۶)، فتبيّن أنّ آجالهم كانت مشروطة فى الامتداد بالبرّ، والانقطاع بالفسوق» (۱).

أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن علىّ (ع) أنّه سأل رسول الله (ص) عن هذه الآية الكريمة: يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ، فقال له رسول الله (ص): لأقرّنّ عينى أُمّتى بتفسيرها: الصدقة على وجهها، وبرّ الوالدين، واصطناع المعروف يحوّل الشقاء سعادة، ويزيد فى الرزق، ويقى مصارع السوء» (۲).

إذن الآجال مشروطة بأفعال معيّنة قد يطول العمر بها وقد يقصر، والإمام المعصوم (ع) لا يخرج عن ذلك القانون الإلهى، مع علمه بموته وأجله، ولكن مع ذلك يعلم بطرو محو الله على الأجل، ولذا يحتاط ويخاف من وقوع بعض الأُمور التى قد تقع طبقاً لذلك القانون الربّانى، وهذا الأمر حدّثتنا عنه الروايات، فعن أصبغ بن نباتة: أنّ أمير المؤمنين ۷ عدل من حائط مائل إلى آخر، فقيل له: يا أمير المؤمنين، أتفرّ من قضاء الله؟ قال: «أفرّ من قضاء الله إلى قدره عزّوجلّ» (۳).

قال السيّد الطباطبائى: «إنّ القدر لا يحتّم المقدّر، فمن المرجو أن لا يقع ما قدّر، أمّا إذا كان القضاء فلا مندفع له» (۴).

فالإمام علىّ (ع) كما فى هذه الرواية- مع علمه المسبق بأنّه سوف يقتل بيد أشقى الآخرين فى مسجد الكوفة- فرّ من ذلك الحائط.

۱- تصحيح اعتقادات الإماميّة، الشيخ المفيد، ص ۶۶.

۲- كنز العمّال، ج ۲، ص ۴۴۳؛ الدرّ المنثور، ج ۴، ص ۶۶.

۳- مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليم الحلّى، صص ۱۳۶ و ۱۳۷.

۴- الميزان، ج ۱۳، ص ۷۵.

ص: ۲۰۸

وكـذلك الأمر فيما نحن فيه، فإنّ الإمام المهـدى (عج) يخضع لتلك القاعدة الربّانيّة، وهى المحو والإثبات فى اللوح المحفوظ، وهذا لا يتنافى مع علمه المسبق بطول عمره.

ولا يرد إشـكال الجهل على الله تعالى ذكره؛ لأنّ ذلك بـداء، والبـداء يسـتلزم الجهل بعلمه تعالى. فهـذا مردود؛ لأنّ البداء معناه ظهور الشـىء بعد خفائه، ولكن ليس المراد هنا ظهور الشـىء لله جلّ شأنه بعد خفائه عنه، بل المراد ظهور الشـىء من الله لمن يشاء من خلقه بعد إخفائه عنهم، ف- (بدا لله) أى: بدا حكم الله أو شأن الله.

إذن فلا تعارض بين علمه المحيط بكلّ شىء وبين تغيير حكمه.

شبهة غيبات بعض الأنبياء لا تدلّ على وقوع غيبة المهدى

اشارة

وقال فى ص ۱۰۴۸:

«ويلتمس الإماميّـة من الغيبـة التى وقعت لبعض الأنبياء دليلًا على صـحّة وقوع غيبـة مهديّهم ... أقول: إنّ هذه المقارنات غير مجدية فى إثبات فكرة غيبة إمامهم؛ لأسباب كثيرة، منها: أنّ غيبة موسى ويوسف ويونس: قد أخبر الله سبحانه بها فى كتابه بنصّ واضح صريح لا لبس فيه ولا غموض، أمّا غيبـة مهـديّهم فتنتهى روايـاته إلى حكيمـة إن صـحّت النسـبة إليها، ثمّ أخبار الأبواب الأربعـة المطعون فى شهادتهم؛ لأنّهم يجرّون المصلحة إليهم، حيث المال المتدفّق».

الجواب

اشارة

إنّ الشيعة عندما تذكر بعض الغيبات للأنبياء وغيرهم؛ لأنّ ذلك أمر قد

ص: ۲۰۹

وقع فعلًا وتحقّق فى الخارج، إذن فهو ممكن، وعندئذ يناقشون من هو جاهل متعصّب ولا يريد أن يفتح عينيه ليرى الحقيقة ليعيها، فيقرّبون له ذلك بالمثال الحسّى، فهذه المقارنة بهذا اللحاظ تكون مجدية، وليس العكس.

وأمّا هل أخبر الله تعالى عن هذه الغيبة؟

نقول: نعم، فقد تقدّمت الأخبار عن الغيبة من الفريقين، فهى مرويّة عن رسول‌الله (ص)، وأخبر بها عترته من أهل بيته (عليهم السلام)، وهم بدورهم أخبروا بها شيعتهم قبل وقوعها بمئات السنين.

قال الشيخ الصدوق: «إنّ الأئمّة (عليهم السلام) قد أخبروا بغيبته (عج)، ووصفوا كونها لشيعتهم فيما نقل عنهم، واستحفظ فى الصحف، ودوّن فى الكتب المؤلّفة من قبل أن تقع الغيبة بمائتى سنة أو أقلّ أو أكثر، فليس أحد من أتباع الأئمّة (عليهم السلام) إلّا وقد ذكر ذلك فى كثير من كتبه ورواياته ودوّنه فى مصنّفاته، وهى الكتب التى تعرف بالأُصول، مدوّنة مستحفظة عند شيعة آل محمّد (عليهم السلام)، من قبل الغيبة بما ذكرنا من السنين» (۱).

وقد أكّد الإمام الصادق (ع) على مفهوم الغيبة بشكل واضح لا يقبل الشكّ، كما تقدّم وسيأتى أيضاً.

ولا يقال: إنّ تلك الأخبار هى من علم الغيب فلا يصحّ الاحتجاج بها؟

فهذا القول مردود بما صرّح به ابن خلدون (ت ۸۰۸ ه) فى تأريخه، قال: «ولو صحّ السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه، فهم أهل الكرامات، وقد صحّ عنه أنّه كان يحذّر بعض قرابته بوقائع تكون لهم فتصحّ كما يقول، وقد حذّر يحيى ابن عمّه زيد من مصرعه،

۱- كمال الدين وتمام النعمة، ج ۱، ص ۱۹.

ص: ۲۱۰

وعصاه، فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف، وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنّك بهم علماً وديناً وآثاراً من النبوءة، وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطيّبة، وقد ينقل بين أهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب لأحد» (۱).

وقال أيضاً: «وقع لجعفر وأمثاله من أهل البيت كثير من ذلك، مستندهم فيه- والله أعلم- الكشف بما كانوا عليه من الولاية، وإذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الأولياء فى ذويهم وأعقابهم، وقد قال (ص): «إنّ فيكم محدّثين»، فهم أولى الناس بهذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة» (۲).

وقد أشار أبو العلاء المعرّى (ت ۴۴۹ ه-) إلى هذه الحقيقة فى قوله:

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم فى مسك جفر

ومرآة المنجّم وهى صغرى أرته كل عامرة وقفر (۳)

وعلمهم: ليس ذاتى، بل عرضى أفاضه الله عليهم، وأنقل هنا قول الآلوسى (ت ۱۲۷۰ ه)، الذى لا يرى مانعاً للعلم بالغيب، لاسيّما للخواصّ من الناس، حيث قال:

«ولعلّ الحقّ أن يقال: إنّ علم الغيب المنفى عن غيره جلّ وعلا هو ما كان للشخص لذاته، أى: بلا واسطة فى ثبوته له، وهذا ممّا لا يعقل لأحد من أهل السموات والأرض لمكان الإمكان فيهم ذاتاً وصفة، وهو يأبى ثبوت شىء لهم بلا واسطة ... وما وقع للخواصّ ليس من هذا العلم المنفى فى شىء؛ ضرورة أنّه من الواجب عزّوجلّ أفاضه عليهم بوجه من وجوه الإفاضة، فلا يقال: إنّهم

۱- تاريخ ابن خلدون، ج ۱، ص ۳۳۴.

۲- المصدر نفسه، ص ۳۳۱.

۳- أبو العلاء المعرّى هو: أحمد بن عبد الله بن سليمان توفّى بمعرّة النعمان، انظر: الكنى والألقاب، القمّى، ج ۳، ص ۱۹۶.

ص: ۲۱۱

علموا الغيب بـذلك المعنى، ومن قـاله كفر قطعـاً، وإنّمـا يقـال: إنّهم أظهروا أو اطّلعوا- بالبناء للمفعول- على الغيب أو نحو ذلك ممّا يفهم الواسطة فى ثبوت العلم لهم» (۱).

وهـذا عين ما تقول به الإماميّـة، فعلمهم هو بالإفاضـة والإشاءة الإلهيّـة؛ لأنّهم محدّثون من الله تعالى كما مرّ فى كلام ابن خلدون، وقد أكّد الإمام الصادق (ع) هذا المعنى، حيث قال: «نحن اثنا عشر محدّثاً» (۲).

أحاديث الغيبة عند الإمام الصادق (ع)

ولتأكيـد هـذا المعنى ولـدفع وإبطال المقدّمـة التى ساقها الـدكتور القفارى محاولًا بذلك الالتفاف على النصوص التى وردت فى غيبة الإمام المهدى (عج)، لا سيّما فى كتب ومصادر الشيعة الإماميّة، والتى ادّعى أنّها تنتهى رواياته إلى حكيمة، لذا سننقل أحاديث الغيبة على لسان الإمام الصادق (ع) قبل ولادة الإمام المهدى (عج):

۱- عن الإمـام الصـادق (ع) قـال: «إنّ للقائم منّا غيبـة يطول أمـدها»، قال: فقلت له: يا بن رسول الله، ولِمَ ذلك؟ قال: «لأنّ الله عز وجلّ أبى إلّا أنّ تجرى فيه سـنن الأنبياء (عليهم السـلام) فى غيباتهم، وأنّه لابدّ له- يا سدير- من استيفاء مدد غيباتهم، قال الله تعالى: لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ أى: سنن من كان قبلكم» (۳).

۲- عن أبى بصير، قال: «قلت لأبى عبد الله (ع): إنّ أبا جعفر (ع) يقول: «للقائم من آل محمّد عليه وعليهم السلام غيبتان: واحدة طويلة، والأخرى قصيرة». قال: فقال لى: «نعم يا أبا بصير، إحداهما أطول من

۱- روح المعانى، ج ۲۰، ص ۱۱.

۲- الكافى، ج ۱، ص ۵۳۴.

۳- كمال الدين وتمام النعمة، صص ۴۸۰ و ۴۸۱؛ علل الشرائع، ج ۱، ص ۲۴۵.

ص: ۲۱۲

الأُخرى ...» (۱).

۳- عن أبی بصیر أیضاً، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) یقول: «إنّ للقائم غیبتین، یرجع فی أحداهما، وفی الأُخری لا یدری أین هو، یشهد المواسم، یری النّاس ولا یرونه».

۴- عن إبراهیم بن عمر الیمانی، قال: سمعت أبا جعفر (ع) یقول: «إنّ لصاحب هذا الأمر غیبتین»، وسمعته یقول: «لا یقوم القائم ولأحد فی عنقه بیعة» (۲).

۵- عن الإمام الصادق (ع) قال: «للقائم غیبتان، یشهد فی إحداهما المواسم، یری النّاس ولا یرونه» (۳).

۶- عن الإمام الصادق (ع) قال: «للقائم غیبتان، أحداهما قصیرة، والأُخری طویلة، الغیبة الأُولی لا یعلم بمکانه فیها إلّا خاصّة شیعته، والأُخری لا یعلم بمکانه فیها إلّا خاصّة مواليه» (۴).

۷- عن حازم بن حبیب، قال: قال لی أبو عبد الله (ع): «یا حازم، إنّ لصاحب هذا الأمر غیبتین، یظهر فی الثانیة، إن جاءک من یقول إنّه نفض یده من تراب قبره فلا تصدّقه» (۵).

۸- عن الإمام الصادق (ع): «إنّ للقائم غیبة قبل أن یقوم»، قلت: ولم؟ قال: «إنّه یخاف»، وأومأ بیده إلی بطنه، یعنی: القتل (۶).

۹- عن الإمام الصادق (ع) قال: «أما والله، لیغیبنّ إمامکم سنیناً من دهرکم،

۱- مختصر بصائر الدرجات، ص ۱۹۵.

۲- الغیبة، النعمانی، ص ۱۷۶.

۳- الکافی، ج ۱، ص ۳۳۹.

۴- المصدر نفسه، ص ۳۴۰.

۵- الغیبة، الطوسی، ص ۴۲۴.

۶- الکافی، ج ۱، ص ۳۴۰.

ص: ۲۱۳

ولتمحصنّ حتّى يقال: مات أو هلك بأىّ وادى سلك، ولتدمعنّ عليه عيون المؤمنين، ولتكفأنّ كما تكفأ السفن فى أمواج البحر، ولا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه، وكتب فى قلبه الإيمان ...» (۱).

۱۰- عن محمّد بن مسلم قال: سمعت الإمام الباقر (ع) يقول: «القائم منّا منصور بالرّعب، مؤيّد بالنّصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز كلّها، ويظهر الله تعالى به دينه على الدين كلّه ولو كره المشركون». .. قال: قلت: يابن رسول الله، متى يخرج قائمكم؟ قال (ع): «إذا تشبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال. .. وذلك بعد غيبة طويلة» (۲).

۱۱- عن الإمام الصادق (ع): «قال رسول الله (ص): كيف إذا استيأستم من المهدى؟ فيطلع عليكم صاحبكم مثل قرن الشمس، يفرح به أهل السماء والأرض. فقيل: يا رسول الله، وأنّى يكون ذلك؟ قال (ص): «إذا غاب عنهم المهدىّ وأيسوا منه» (۳).

من أنكر المهدى فقد أنكر رسول الله (ص)

عند مراجعة الروايات التى وردت من طرقنا يتّضح أنّ المنكر للإمام المهدى (عج) وغيبته يكون منكراً للنبىّ الأكرم (ص)، وكذلك العكس لو صدّقه يكون مصدّقاً للرسول (ص)؛ لأنّ هذا الإنكار حقيقته هو إنكار لأقوال وأحاديث رسول الله (ص) الذى لاينطق عن الهوى، فهى أحاديث صادرة عن الله تعالى، وهذا قد تجلّى فى روايات الإمام الصادق (ع) أيضاً، وإليك بعضها:

۱- عن الإمام الصادق، عن آبائه (عليهم السلام)، عن رسول الله (ص)، قال:

۱- المصدر نفسه، ص ۳۳۶.

۲- كمال الدين وتمام النعمة، ص ۳۳۱.

۳- دلائل الإمامة، محمّد بن جرير الطبرى، ص ۴۶۸.

ص: ۲۱۴

«القائم من ولدى، اسمه اسمى، وكنيته كنيتى، وشمائله شمائلى، وسنّته سنّتى، يقيم الناس على ملّتى وشريعتى، ويدعوهم إلى كتاب ربّى عزّ وجلّ، من أطاعه فقد أطاعنى، ومن عصاه فقد عصانى، ومن أنكره فى غيبته فقد أنكرنى، ومن كذّبه فقد كذّبنى، ومن صدّقه فقد صدّقنى» (۱).

۲- عن الإمام الصادق (ع) قال: «إن بلغكم عن صاحب هذا الأمر غيبة فلا تنكروها» (۲).

أمّا قول القفارى: «أمّا غيبة مهديّهم فتنتهى رواياته إلى حكيمة إن صحّت النسبة إليها»؛

فنقول: اتّضح كذب هذه الدعوى من خلال الأحاديث المرويّة عن الإمام الصادق (ع) الآنفة الذكر، وأيضاً قد تناولنا هذا البحث سابقاً وترجمنا للسيّدة حكيمة، وقلنا: إنّ دورها فى قضيّة ومسألة المهدويّة كونها شاهدة على ولادة الإمام المهدى (عج)، وهى سيّدة جليلة عظيمة، ينتهى نسبها إلى العترة الطاهرة، فأقوالها ورواياتها تورث العلم والاطمئنان، لذا فهى شاهد حسّى على هذه الواقعة.

أمّا ولادته وغيبته فالقفارى قد نسى أو تناسى أنّها مروية بأسانيد صحيحة، لاسيّما فى كتب الشيعة- الذى يحاول أن يطعن فيها- ودلالتها واضحة، وقد فصّلنا القول فى ذلك، فراجع فصل أحاديث الغيبة فى كتب الفريقين.

وقوله الآخر: «ثمّ أخبار الأبواب الأربعة المطعون فى شهادتهم؛ لأنّهم يجرّون المصلحة إليهم، حيث المال المتدفّق».

نقول: من هو الذى طعن فى شهادتهم؟ وأين ومتى؟ نعم، إذا كان الطعن

۱- كمال الدين وتمام النعمة، ص ۴۱۱.

۲- الكافى، ج ۱، ص ۳۳۸.

ص: ۲۱۵

ناشئاً عن هوى وعصبيّة فهذا لا يسمّى طعناً.

أضف إلى ذلك: أنّه تقدّمت ترجمتنا لهؤلاء العظماء، وأنّهم محلّ ثقة جميع الطائفة الشيعيّة، فهم الفقهاء والأُمناء العدول، وهم رؤوس الشيعة كما فى شهادة بعض علماء السنّة كالذهبى وغيره، ثمّ أين هى المصلحة فى جرّ النفع إليهم، والذى فسّرتموه بالأموال؟!

إنّ هذا الكلام غير دقيق، وفيه من البهتان والجرأة على علماء الشيعة، فالأموال هى من مستحقّات الخمس والزكاة وموردها الفقراء ليس إلّا، وهؤلاء الوكلاء هم الصادقون والأُمناء- بشهادة علماء الرجال كالنجاشى والطوسى والحلّى وغيرهم- فى نقل تلك الأموال إلى الإمام لصرفها لمستحقّها، فهم واسطة بين الإمام وشيعته.

إذن هذا الكلام لا يعدو كونه مغالطة لا محصّل لها، والغرض منها التشويش وإلقاء الشبهات بلا دليل ناهض، وقد تعرّضنا لمسألة الخمس فى فصول سابقة، وأثبتنا براءة الشيعة من هذه التهمة، وكذلك تقدّم الكلام فى شبهة (سبأيّة عثمان بن سعيد) فراجع.

شبهة استبعاد بقاء الإمام المهدى (عج) حيّاً كلّ هذه السنين

اشارة

وقال فى ص ۱۰۵۲:

«إنّ ممّا يعرف به كذب دعوى الشيعة وجود إمامها، هو استبعاد بقائه حيّاً طول هذه المدّة التى تجاوزت الآن ألف ومائة سنة؛ فإنّ تعمير واحد من المسلمين هذه المدّة هو- كما يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة- أمر يعرف كذبه بالعادة المطّردة فى أُمّة محمّد، فلا يعرف أحد ولد فى زمن الإسلام عاش مائة

ص: ۲۱۶

وعشرين سنة فضلًا عن هذا العمر، وقد ثبت فى الصحيح عن النبىّ (ص) أنّه قال فى آخر عمره: أرأيتكم ليلتكم هذه، فإنّ على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممّن هو اليوم عليها أحد ...».

جواب الشبهة

اشارة

من الشبهات التى تثار ويروّج لها، هى مسألة طول عمر الامام المهدى (عج)، وكيف تؤمنون بإنسان يمدّ الله فى عمره هذه الفترة الطويلة؟ وهذا التساؤل ليس وليد هذه الأيّام، بل طرح منذ زمن طويل، وقد أجاب عنه علماؤنا رضوان الله عليهم بأدلّة ناصعة لاتقبل الريب والشكّ، ولكن هناك من يجادل بلا مسوّغ علمى، مدّعياً أنّ الإسلام لايقبل هذه الفكرة، إذن هو شرك وضلالة وكفر، وهذا ما دأبنا عليه فى سطور كتاب الدكتور القفارى.

وهذا الكلام بطبيعة الحال غير مقبول عندنا؛ لأنّ كلّ دعوة لابدّ أن نخضعها للدليل، فالمفصل الرئيسى والمحور الذى يسبق الخلاف فى أىّ مسألة كانت لابدّ أن ينطلق من هذه الرؤية، ورؤيتنا ترتكز على أدلّة قرآنيّة صافية، وسنّة نبويّة طاهرة، هذا هو الفيصل والمحور عندنا، وخلاف هذا الكلام فالفطرة السليمة ترفضه، والعقل يأباه، إذن نحن والدليل.

ابن تيميّة والمنافاة بين طول العمر والعادة المطّردة

أمّا ما استشهد به من قول ابن تيميّة: «فإنّ تعمير واحد من المسلمين هذه المدّة هو- كما يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة- أمر يعرف كذبه بالعادة المطّردة فى امّة محمّد. ..»، فنقول:

لا ملازمة بين الأمرين

ص: ۲۱۷

إنّ هذا الكلام باطل جزماً، فلا ملازمة بين الأمرين، وذلك بالبيان التالى:

أوّلًا: إنّ العادة المطّردة ليست هى الدليل؛ وذلك لأنّ تقدير الله تعالى لأىّ أمر خاضع لنظام المصلحة، فهناك ملاكات يعلمها ويقدّرها المولى جلّ شأنه، وخوارق العادات كثيرة لا تحصى، ومسألة طول العمر هى من تلك المعاجز، وهى خاضعة لهذا القانون الإلهى الربّانى، فالمصلحة اقتضت تقدير هذا الأمر، وهذا ليس بدعاً، فالقرآن الكريم قد صدعت آياته المحكمات بهذه الحقيقة محدّثاً عن شيخ الأنبياء نوح (ع) حيث عاش مبلّغاً وداعياً إلى الله قرابة ألف سنة، قال تعالى: فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً (العنكبوت: ۱۴).

وأيضاً امتلأت كتب المسلمين من الفريقين بذكر المعمّرين ككتاب (المعمّرين) لأبى‌حاتم السجستانى، و إكمال الدين للصدوق، والكراجكى فى رسالته التى وسمها باسم «البرهان على صحّة طول عمر الإمام صاحب الزمان» وغيرهم.

إذن فالتشكيك فى هذا الأمر فى الحقيقة يعود إلى الشكّ فى قدرة الله جلّ وعلا، الذى يقود فى النهاية إلى نسبة الظلم إليه عزّ شأنه.

ثانياً: إنّ التفريق والتمييز بين أُمّة وأُخرى- سواء كان قبل الإسلام أو بعده- لامعنى له، فليس هناك خصوصيّة أو مدخليّة للوقت، فليس بمقدورنا أن نقول: إنّ هذه الأُمّة تختلف عن الأُمّة الأُخرى فتلك مدّ الله فى عمر أنبيائهم- مثلًا- وهذه ليس كذلك!! فهذا الكلام خارج عن إرادة الإنسان؛ لأنّ الملاك فى ذلك راجع لتقدير الله وإرادته، وهو العالم والمقدّر لذلك.

ثالثاً: أمّا ما استشهد به فى صحيح البخارى فهو حجّة عليهم لا علينا، وهذا واضح. نعم، لو كان احتجاجه من كتبنا نسلّم به، أضف إلى ذلك أنّه خبر آحاد.

قال الشيخ أبو ريّة: «قال الجمهور: إنّ أخبار الآحاد لا تفيد العلم قطعاً ولو

ص: ۲۱۸

کانت مخرجة فی البخاری ومسلم ... أطلق ابن عبد البرّ وجماعته: إنّه قول جمهور أهل العلم والنظر حتّی قال بعضهم: ولو مع قرینة، أی: أنّه لا یفید العلم ولو مع قرینة. وقال الرازی فی تفسیره: وروایة الواحد إنّما تفید الظنّ» (۱).

رابعاً: إنّ الاستبعاد الذی تفوّه به ابن تیمیّة نستطیع أن نصحّحه ونضعه فی دائرة جریان عادة الطبیعة، فهذا صحیح، أمّا بالنسبة لقدرته وإرادته جلّ شانه اللامتناهیة التی یستطیع أن یحیی بها الإنسان ویعمّره یوم القیامة یوماً کان مقداره خمسین ألف سنة قبل الجنّة والنار، وکذلک ما نجده فی حیاة بعض الأنبیاء کالخضر وعیسی وغیرهم، فتقدیر هذه الأعمار هی من مختصّاته جلّ وعلا، وهو الأعلم بالمصلحة، فلا یسأل عمّا یفعل وهم یسألون.

الإمکان وعدمه فی مسألة طول العمر

لعلّ الدکتور القفاری وکذلک شیخه ابن تیمیّة واجها معضلة الإمکان- بمعنی کیف یمکن إطالة هکذا عمر کلّ هذه السنین؟!- وهی بالنسبة إلیه عقبة کؤود، فلم یستطع أن یتعدّاها أو یتحمّلها أو یستسیغها؛ لأنّه لم یدرک هذا المعنی بحسب نظرنا لعدّة أسباب:

الأوّل: أُنسه بعالم المادّة.

الثانی: رفضه للمعجز، وأنّ الله تعالی قادر علی فعل ذلک إذا اقتضت المصلحة.

الثالث: رفضه المسبق لهذه الفکرة؛ وذلک لتقلیده من سبقه تقلیداً أعمی بلا تحریک لعقله، فما هو إلّا مقلّد لأسلافه، لاسیّما ابن تیمیّة الحرّانی والقارئ

۱- أضواء علی السنة، محمود أبو ریة، ص ۲۷۷.

ص: ۲۱۹

الحصيف (۱) يرى ذلك واضحاً.

المفكّر الإسلامى محمّد باقر الصدر يقرّر نظريّة الإمكان

والواقع أنّ الإمكان نستطيع أن نفرضه بثلاثة أُمور، وندفع بذلك ما قد توهّمه الدكتور القفارى وغيره من استبعاد لهذه المسألة بما قرّره السيّد محمّد باقر الصدر فى كتابه «البحث حول المهدى».

فنقول: إنّ الإمكان له ثلاثة معان:

المعنى الأوّل: الإمكان العلمى.

المعنى الثانى: الإمكان العملى.

المعنى الثالث: الإمكان المنطقى أو العقلى.

والإمكان العلمى: هو أنّ العلم لا يرفض هذا الإمكان ولا يأبى عن قبوله، فهو غير ممتنع من ناحية علميّة.

والإمكان العملى: هو الإمكان الذى نستطيع أن نطبّقه على أرض الواقع، وله تحقّق وتعيّن فى الخارج.

والإمكان المنطقى: وهو أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبلية ما يبرر رفض الشىء والحكم باستحالته.

أمّا الإمكان الأوّل والثانى «العلمى والعملى»:

فنجد أنّ العلم دؤوب فى تجاربه العلميّة لإطالة عمر الإنسان وتوقيف هرم الخلايا التى تؤدّى إلى شيخوخته؛ لذا لم يستبعد «ريمند بول» الأُستاذ فى جامعة جونس هبكنس الأمريكيّة، حيث قال:

«إنّه يظهر من بعض التجارب العلميّة أنّ أجزاء جسم الإنسان يمكن أن

۱- الحصيف: المحكم العقل، وذو رأى وتدبير. لسان العرب، ج ۹، ص ۴۸ «حصف».

ص: ۲۲۰

تحيا إلى أىّ وقت أُريـد، وعليه فمن المحتمل أن تطول حياة الإنسان إلى مائة سـنة، وقد لا يوجد مانع يمنع من إطالتها إلى ألف سـنة» (۱).

إذن فلا يوجـد ما يبرّر رفض ذلك من الناحيـة النظريّـة؛ لأنّ التجارب آخـذه بالازدياد لتحويله وتطبيقه إلى إمكان عملى واقعى، وهى سائرة بهذا الاتّجاه من زاوية محاولاتها لتعطيل قانون الشيخوخة. وفى ضوء هذا لا يبقى مبرّر منطقى للاستغراب والإنكار.

وأمّـا الإمكـان المنطقى، فلاـ شكّ أنّ امتـداد عمر الإنسان آلاف السـنين ممكن منطقيّاً؛ لأنّ ذلك ليس مسـتحيلًا من وجهـة نظر عقليّة تجريديّة، ولا يوجد فى افتراض من هذا القبيل أىّ تناقض؛ لأنّ الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع، ولا نقاش فى ذلك، والقرآن الكريم والأحاديث تشهد بذلك، كما فى طول عمر نوح والخضر وإلياس وغيرهم.

إذن بعـد أن ثبت إمكان هـذا العمر الطويل منطقيّاً وعلميّاً، وأنّ العلم سائر فى طريق تحويل الإمكان النظرى إلى إمكان عملى تدريجاً، لاـ يبقى للاسـتغراب محتوى إلّـا اسـتبعاد أن يسـبق المهـدى العلم نفسه، فيتحوّل الإمكان النظرى إلى إمكان عملى فى شـخصه قبل أن يصل العلم فى تطوّره إلى مسـتوى القـدرة الفعليّـة على هذا التحويل، فهو نظير من يسـبق العلم فى اكتشاف دواء ذات السـحايا أو دواء السرطان (۲).

۱- مجلّـة المقتطف المصـريّة: الجزء الثانى من المجلد ۹۵/ سنة ۱۳۳۹ ه، ص ۲۰۶ تحت عنوان «خلود الإنسـان على الأرض». نقلًا عن كتاب المهدى المنتظر فى الفكر الإسلامى، إصدار: مركز الرسالة.

۲- أُنظر: بحث حول المهدى، صص ۶۶ و ۶۷. حيث قرّر هـذا البحث بأروع وأبهى تصوير، ودفع ما قد يتوهّمه البعض من رفضه لهذه الفكرة، ونحن اقتصرنا على ما بحثه باختصار وتصرّف فى العبارة.

ص: ۲۲۱

وقد علّق الأُستاذ حامد حفنى داود على ما تعرّض له السيّد محمّد باقر الصدر (رحمة الله) وأنّه من المهارة والعلم بحيث رسّخ مفهوم المهدويّة من خلال تصويره الرائع للإمكان، وأنّه لا مانع من ذلك، فالعلم والمنطق لا يأبى قبول هذه الحقيقة، حيث قال:

«وإنّى أشدّ على يديه مهنّئاً بهذا النجاح العظيم الذى أحرزه فى تفسير هذه الخارقة المهدويّة حين أوضح للباحثين المنطقيّين مراتب التصديق، ووازن بمهارة العالم الراسخ بين الإمكان الواقعى، والإمكان العلمى، والإمكان المنطقى، وذلك حين تعرّض لمدى العمر الذى بلغه الإمام المهدى من لدن القرن الثالث الهجرى إلى هذا العصر، وأوضح أنّ هذا التصوّر لئن كان ممّا ينكره الواقع، فإنّه من الناحية الفلسفيّة يعتبر جائز الوقوع، ولئن كان العلم يأبى هذا التصوّر لهذه الحياة الممتدّة نحو الألف والثلاثمائة عام إلّا أنّه ليس من المستحيل علميّاً أن تكون هناك حالات شاذّة تتغلّب فيها الخلايا الحيّة على عوامل الهدم والفناء» (۱).

ثمّ أردف مقالته هذه بأنّ التجربة العلميّة قد تناولها العلماء، وقد نجحت فى إطالة بعض الأعمار، وبالتالى ما فرض فإنّه واقع ولا شبهة فى ذلك.

مقالة الأُستاذ الحفنى:

قال: «أقول: وقد دلّت تجارب علماء الأحياء وما يقومون بإجرائه على بعض الحيوانات، من إطالة أعمار بعضها، ما يدلّ على أنّ الفروض التى ذهب إليها العلّامة الصدر فروض علميّة وممكنة الوقوع فى نظر «العلم». لكن هذا المعنى الجميل الذى حقّق فيه هذا النجاح من إقناع المنكرين وخصوم الدين له دون شكّ- كما أعتقد- ما يؤيّده فى مجال «المنقول»، فقد جاء فى

۱- نظرات فى الكتب الخالدة، حامد حفنى داود، ص ۷۵.

ص: ۲۲۲

الأحاديث المتواترة عن سيّد الأنبياء قوله: «لتتبعنّ سنن من قبلكم حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه» والمقصود- فى نظرنا- من هذا الحديث أنّ أُمّته (ع) تلخيص لكلّ ما مرّت به الأُمم السالفة من حيث المعجزات والخوارق، وليس كما يظنّ البعض أنّ الحديث مقصور على الآثام والابتلاء، بدليل أنّ أُمّته لم يحدث فيها خسف ولا فسخ؛ إحقاقاً لكرامته عند الله، وبذلك يتعيّن أنّ المقصود هو ما جرى فى الأُمم السالفة من خوارق، كقصّة أهل الكهف وقصّة العزير» (۱).

إذن اتّضح ممّا تقدّم أنّ طول العمر ممكن، واستبعاده لا مبرّر له، وهو باطل بما قرّرناه، وبهذا ننتقل إلى مبحث الوقوع، ولكى يتّضح الأمر أكثر وتكون الحجّة دامغة نذكر ثلاثة أدلّة على وقوع بعض المصاديق التى مدّ الله تعالى بأعمارهم، وذلك من خلال القرآن الكريم، والسنّة النبويّة الشريفة، والعقل.

الأدلّة على الوقوع

الدليل الأوّل: القرآن الكريم

اشارة

من تأمّل بآى الذكر الحكيم يجد أنّه يشير بشكل واضح إلى أنّ طول الأعمار أمر وارد وليس عليه غبار أوشكّ.

وإليك بعض الآيات فى هذا المضمار:

۱- قوله تعالى: وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً (النساء: ۱۵۷).

۱- نظرات فى الكتب الخالدة، صص ۷۵ و ۷۶.

ص: ۲۲۳

روى ابن أبى حاتم فى (تفسيره) بسند صحيح عن قتادة قوله: «وقولهم: إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ، أولئك أعداء الله، ابتهروا بقتل نبيّ الله عيسى، وزعموا أنّهم قتلوه وصلبوه».

وروى أيضاً بسند صحيح عن رسول الله (ص) قال: قال رسول الله (ص) لليهود: «إنّ عيسى لم يمت، وإنّه راجع إليكم قبل يوم القيامة» (۱).

ودلالة الآية صريحة فى أنّ عيسى بن مريم (ع) لم يقتل كما خُيّل لهم، بل إنّ الله جلّ وعلا رفعه إليه، ثمّ يأتى التأكيد الإلهى لهذه الحقيقة بقوله: وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً لنفى القتل، وهنا اليقين الإلهى يعزّز الحياة الخالدة لعيسى (ع) إلى أن يأذن الله، إذن هناك يقين إلهى، فنسأل هل هناك من يشكّك بهذا اليقين؟

۲- قوله تعالى: وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً (النساء: ۱۵۹).

قال ابن كثير فى تفسيره: «الضمير فى قوله قَبْلَ مَوْتِهِ عائد على عيسى (ع)، أى: وإنّ من أهل الكتاب إلّا ليؤمننّ بعيسى، وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، فحينئذٍ يؤمن به أهل الكتاب كلّهم؛ لأنّه يضع الجزية ولا يقبل إلّا الإسلام. وقال ابن أبى حاتم: حدّثنا أبى، حدّثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدّثنا عبد الله بن أبى جعفر، عن أبيه، حدّثنا الربيع بن أنس، عن الحسن أنّه قال فى قوله تعالى: إِنِّى مُتَوَفِّيكَ؛ يعنى وفاة المنام رفعه الله فى منامه، قال الحسن: قال رسول الله (ص) لليهود: «إنّ عيسى لم يمت، وإنّه راجع إليكم قبل يوم القيامة» (۲).

إذن الآية تدلّ على أنّ عيسى (ع) حىّ يرزق، وأهل الكتاب يؤمنون بهذه

۱- تفسير ابن أبى حاتم، ج ۴، ص ۱۱۱۰.

۲- تفسير ابن كثير، ج ۱، ص ۳۷۴.

ص: ۲۲۴

الحقیقة.

۳- وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلی قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِیهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِینَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ (العنکبوت: ۱۴).

الفخر الرازی و نظریّة البقاء الذاتی الإنسانی

وقد علّق الفخر الرازی علی هذه الآیة الشریفة حیث قال:

«المسألة الثالثة: قال بعض الأطبّاء: العمر الإنسانی لا یزید علی مائة وعشرین سنة، والآیة تدلّ علی خلاف قولهم، والعقل یوافقها، فإنّ البقاء علی الترکیب الذی فی الإنسان ممکن لذاته، وإلّا لما بقی، ودوام تأثیر المؤثّر فیه ممکن؛ لأنّ المؤثّر فیه إن کان واجب الوجود فظاهر الدوام، وإن کان غیره فله مؤثّر، وینتهی إلی الواجب وهو دائم، فتأثیره یجوز أن یکون دائماً، فإذن البقاء ممکن فی ذاته، فإن لم یکن فلعارض لکن العارض ممکن العدم، وإلّا لما بقی هذا المقدار لوجوب وجود العارض المانع، فظهر أنّ کلامهم علی خلاف العقل والنقل، ثمّ نقول: لا نزاع بیننا وبینهم؛ لأنّهم یقولون: العمر الطبیعی لا یکون أکثر من مائة وعشرین سنة، ونحن نقول هذا العمر لیس طبیعیّاً بل هو عطاء إلهی، وأمّا العمر الطبیعی فلا یدوم عندنا ولا لحظة، فضلًا عن مائة أو أکثر» (۱).

توضیحه:

أراد الفخر الرازی الاعتراض علی من قال بأنّ العمر الإنسانی لا یزید علی مائة وعشرین سنة، وذلک من خلال النقاط التالیة:

الأُولی: لأنّ هذه الآیة الشریفة تخالف قولهم، والقرآن حجّة قاطعة لا یمکن

۱- تفسیر الفخر الرازی، ج ۲۵، ص ۴۲.

ص: ۲۲۵

إلّا التصديق به والإذعان له.

الثانية: إنّ العقل يتوافق ويتواءم مع القرآن؛ لأنّ بقاء الإنسان بتركيبه من الأعضاء المختلفة فى الشكل والطبع والصفة، فهو ممكن فى حدّ نفسه وذاته، ولو قلنا خلاف ذلك لما وجد هذا الإنسان وانتفى بقاؤه، فالمؤثّر والموجد له هو الله تعالى، والإنسان يبقى فى دائرة الإمكان، وتابع لمؤثّره وموجده، ويتصرّف به حيث يشاء فهو القادر على كلّ الممكنات، وهو الدائم لبقائه، وذلك يدلّ على كمال قدرته وإرادته، فالمؤثّر هو الله واجب الوجود، وإن كان غيره فله مؤثّر ولكن ينتهى إليه، وإلّا لزم التسلسل، فتأثيره لابدّ أن يتّصف بالدوام، وعليه فالبقاء يكون ممكناً.

الثالثة: ثمّ يتنزّل الفخر الرازى للمعترضين فيقول: نحن نتّفق معكم؛ ولكن لابدّ أن تسلّموا بالإعجاز والعطاء الإلهى، فهذا ما لا تستطيعون أن تنكرونه، وعليه فلابدّ من التسليم والإقرار بطول العمر.

وهناك الكثير من الآيات التى فيها إشارة صريحة، إلى أنّ هناك ظواهر قد تقتضى الحكمة الإلهيّة أن يمدّ بأجلها، ولا ضير فى ذلك.

الدليل الثانى: السنّة النبويّة

مسلم النيسابورى يروى حياة الدجّال الأبديّة

ونذكر من السنّة ما جاء فى صحيح مسلم «حديث الجسّاسة»، حيث ذكر فى هذا الحديث أنّ الدجّال حيّ يرزق وعمره طويل مقارنة بأعمار البشر العاديّين، ولكن بعض فقهاء السنّة اختلفوا بعد القطع بكونه حيّاً، هل هو لا يزال محبوساً ومقيّداً بالسلاسل فى الجزيرة التى شاهدها فيها الصحابى تميم الدارى، وأنّه لم يؤذن له فى الخروج منها أو لم يكن كذلك؟

وأمّا الحديث فقد اختصرنا على جملة من مفرداته:

ص: ۲۲۶

روی مسلم فی صحیحه: «عن فاطمة بنت قیس أنّها قالت: سمعت نداء المنادی «منادی رسول الله (ص)» ینادی الصلاة جامعة، فخرجت إلی المسجد، فصلّیت مع رسول‌الله وکنت فی النساء اللاتی یلین ظهور القوم، فلمّا قضی رسول الله صلاته جلس علی المنبر وهو یضحک فقال: «لیلزم کلّ إنسان مصلّاه». ثمّ قال: «أتدرون لما جمعتکم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (والله، إنّی ما جمعتکم لرغبة ولا لرهبة، ولکن جمعتکم لأنّ تمیماً الداری کان رجلًا نصرانیّاً فجاء فبایع وأسلم، وحدّثنی حدیثاً وافق الذی کنت أُحدّثکم عن المسیح الدجّال، حدّثنی أنّه رکب فی سفینة بحریّة مع ثلاثین ... فدخلنا الجزیرة فلقیتنا دابّة أهلب کثیر الشعر ... فقلنا: ویلک ما أنت؟ فقالت: أنا الجسّاسة، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلی هذا الرجل بالدیر. فإنّه إلی خبرکم بالأشواق. فأقبلنا إلیک سراعاً ... قال لهم: «قد کان ذاک أما أنّ ذلک خیر لهم أن یطیعوه وإنّی أُخبرکم عنّی: أنا المسیح وأنّی أُوشک أن یؤذن لی فی الخروج فأخرج فأسیر فی الأرض، فلا أدع قریة إلّا هبطتها فی أربعین لیلة غیر مکّة وطیبة، فهما محرّمتان علیّ کلتاهما کلّما أردت أن أدخل واحدة أو إحداهما استقبلنی ملَک بیده السیف صلتاً یصدّنی عنها، وإنّ علی کلّ نقب منها ملائکة یحرسونها» قالت فاطمة: قال رسول الله وطعن بمخصرته فی المنبر: «هذه طیبة. هذه طیبة» یعنی المدینة، «ألا هل کنت حدّثتکم ذلک؟ فقال الناس: (نعم) قال الرسول: (فإنّه أعجبنی حدیث تمیم، فإنّه وافق الذی کنت أُحدّثکم عنه وعن المدینة ومکّة، إلّا أنّه فی بحر الشام أو فی بحر الیمن، لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق، وأومأ بیده الشریفة إلی المشرق» (۱).

۱- صحیح مسلم، ج ۸، صص ۲۰۴ و ۲۰۵.

ص: ۲۲۷

قال النووی: «هـذا [الحـدیث] معـدود فی مناقب تمیم؛ لأنّ النبی (ص) روی عنه هذه القصّة، وفیه روایة الفاضل عن المفضول، وروایة المتبوع عن تابعه» (۱).

ومن الطریف فی قصّة الدجّال، أنّ أحد المفکّرین المصریّین- وهو محمّد عیسی داود- فی أبحاثه المتعلّقة بالدجّال، وظاهرة الأطباق الطائرة، ومثّلث برمودا، قال:

«إنّ الدجّال کان مقیّداً وفکّ قیده، وهو الآن حرّ طلیق، ویقف خلف المؤامرات العالمیّة ومنظّمات الماسونیّة، وأنّه یتسبّب فی حوداث الاختفاء فی مثلّث برمودا، وأنّه مسؤول عن ظاهرة الأطباق الطائرة، وأنّه هو أیضاً السامری المذکور فی القرآن الذی أضلّ بنی إسرائیل، وجعلهم یعبدون عجلًا ذهبیّاً له خوار (۲)، صنعه لهم من حلّی المصریّین فی عهد الخروج مع موسی» (۳).

وهذا القول یدلّ بصورة واضحة علی أنّ الدجّال حیّ، وهناک من یری أنّه یتصرّف بنظام الکون کما رأینا تحلیل الدکتور محمّد عیسی داود، ولعلّه استند فی ذلک لما رواه مسلم کما تقدّمت الروایة.

عیسی (ع) یقتل الدجّال

وهناک روایات تتحدّث عن أنّ عیسی (ع) هو مَن یقتل الدجّال، وفی هذا دلالة علی أنّه حیّ إلی وقت عیسی (ع).

روی البخاری بسنده عن سعید بن المسیّب عن أبی هریرة: قال قال رسول

۱- شرح صحیح مسلم، ج ۱۸، ص ۸۱.

۲- الخوار: صوت الثور وما اشتدّ من صوت البقرة والعجل. لسان العرب، ج ۴، ص ۲۶۱ «خور».

۳- أُنظر موقع: gro.aidepikiw.ra//:ptth

ص: ۲۲۸

الله (ص): «ألا ـ إنّ عيسى بن مريم ليس بينى وبينه نبى ولا ـ رسول، ألا إنّه خليفتى من بعدى يقتل الدجّال، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، وتضع الحرب أوزارها، ألا مَن أدركه منكم فليقرأ ۷» (۱).

ففى هذه الرواية نرى أنّ أبا هريرة يتمنّى أن يدرك عيسى، ودلالته واضحة فى بقائه.

حياة الخضر وإلياس (عليهما السلام)

قال القفارى: ج ۲ ص ۱۰۵۵:

«أمّا الخضر وإلياس فإنّ الذى عليه المحقّقون من أهل العلم أنّهما قد ماتا، وعلى تقدير حياتهما فلا نسلّم لهما المقارنة؛ لأنّهما ليسا بمكلّفين فى هداية هذه الأُمّة ...».

علماء السنّة يذهبون إلى بقاء حياتهما

أمّا قوله: «فإنّ الذى عليه المحقّقون من أهل العلم أنّهما قد ماتا».

فهذا الكلام مردود بقول جملة من علماء أهل السنّة الذين أكّدوا حياتهما، ونذكر منهم:

۱- الثعلبى (ت ۴۲۷ ه) فى كتاب «العرائس».

قال: «والصحيح أنّ الخضر نبى معمّر، محجوب عن الأبصار» (۲).

۲- القرطبى (ت ۶۷۱ ه) فى تفسيره «الجامع لأحكام القرآن».

بعدما ذكر الأقوال النافية لحياة الخضر (ع) صرّح برأيه قائلًا: «..

۱- المعجم الصغير، ج ۱، ص ۲۵۷.

۲- نقلًا عن القرطبى، الجامع لأحكام القرآن: ج ۱۱، ص ۴۳.

ص: ۲۲۹

والصحيح القول الثانى، وهو أنّه حى» (۱).

ثمّ يؤكّد قوله الذى اختاره:

«قلت: قد ذكرنا هذا الحديث والكلام عليه، وبيّنا حياة الخضر إلى الآن، والله أعلم» (۲).

ثمّ روى أنّ الخضر وإلياس (عليهما السلام) لا يزالان حيّين مادام القرآن موجوداً على الأرض، قال:

«وعن عمرو بن دينار، قال: إنّ الخضر وإلياس لا يزالان حيّين فى الأرض ما دام القرآن على الأرض، فإذا رفع ماتا.

وقد ذكر شيخنا الإمام أبو محمّد عبد المعطى بن محمود بن عبد المعطى اللخمى فى شرح الرسالة له: للقشيرى حكايات كثيرة عن جماعة من الصالحين والصالحات بأنّهم رأوا الخضر (ع) ولقوه، يفيد مجموعها غلبة الظنّ بحياته، مع ما ذكره النقّاش والثعلبى وغيرهما.

وقد جاء فى «صحيح مسلم»: «أنّ الدجّال ينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس- أو- من خير الناس»، الحديث، وفى آخره قال أبو إسحاق: يعنى أنّ هذا الرجل هو الخضر ..» (۳).

إذن فالخضر وإلياس (عليهما السلام) لا يزالان حيّين إلى الآن على رأى القرطبى، وهو من كبار علماء أهل السنّة.

۳- النووى (ت ۶۷۶ ه) فى «شرح صحيح مسلم».

قال: «جمهور العلماء على أنّه حىّ موجود بين أظهرنا، وذلك متّفق عليه عند الصوفيّة وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم فى رؤيته، والإجتماع به،

۱- الجامع لأحكام القرآن، ج ۱۱، ص ۴۱.

۲- المصدر نفسه، ص ۴۵، ومن أراد التفصيل فليراجع: ج ۱۱، صص ۴۱- ۴۴.

۳- الجامع لأحكام القرآن، ج ۱۱، ص ۴۳.

ص: ۲۳۰

والأخـذ عنه، وسؤاله وجوابه، ووجوده فی المواضع الشـریفة، ومواطن الخیر أکثر من أن یحصـر، وأشـهر من أن یستر، وقال الشـیخ أبو عمر بن الصلاح: هو حیّ عند جماهیر العلماء والصالحین والعامّة معهم فی ذلک، قال: وإنّما شذّ بإنکاره بعض المحدّثین» (۱).

فـالنووی وابن الصـلاح ینقلون عن جمهور العلمـاء والعامّـة بأنّ الخضـر (ع) حیّ، وهو بین أظهرهم، ومن خالف هـذا القول هو شاذّ لا عبرة بکلامه.

۴- ابن حجر العسقلانی (ت ۸۵۲ ه) فی «الإصابة فی تمیّیز الصحابة».

روی عن الحسن البصری أنّه قال:

«وکّل إلیاس بالفیافی، ووکّل الخضر بالبحور، وقد أُعطیا الخلد فی الدنیا إلی الصیحة الأُولی، وأنّهما یجتمعان فی موسم کلّ عام».

ثمّ روی عن أنس، قال: قال رسول الله (ص): «إنّ الخضـر فی البحر، والیسع فی البرّ، یجتمعان کلّ لیلـة عنـد الردم الذی بناه ذو القرنین بین الناس، وبین یأجوج ومأجوج، ویحجّان ویعتمران کلّ عام، ویشربان من زمزمکم شربة تکفیهما إلی قابل ...» (۲).

۵- الکنجی الشافعی من أعلام القرن السابع فی «البیان فی أخبار صاحب الزمان».

قـال: «ولا ـ امتنـاع فی بقائه بـدلیل بقاء عیسـی وإلیاس والخضـر من أولیاء الله تعالی، وبقاء الـدجّال وإبلیس الملعونین أعـداء الله تعالی، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالکتاب والسنّة ...» (۳).

۱- شرح صحیح مسلم، ج ۱۵، ص ۱۳۶.

۲- الإصابة، ج ۲، ص ۲۵۱.

۳- البیان فی أخبار صاحب الزمان، الکنجی الشافعی، ص ۹۷.

ص: ۲۳۱

وأمّا عن طول عمر نبى الله نوح (ع) فلا نحتاج إلى أقوال العلماء بعد أن نصّ عليه القرآن الكريم.

وتقدّم الكلام حول بقاء أهل الكهف أكثر من ثلاثة قرون وهم نيام، ولعلّ بقاءهم هذه الفترة أعجب من طول عمر نوح (ع)؛ إذ هم فى رقدتهم لا يأكلون ولا يشربون.

كما أنّ الرجل الذى أماته الله مائة عام ثمّ أحياه، وطعامه لم يتسنّه خير شاهد وخير مثال، وكلّ ذلك قد ورد فى الكتاب العزيز، وتقدّم الكلام عنه.

دفع شبهة المقارنة بالهداية

وأما قوله: «وعلى تقدير حياتهما [أى إلياس والخضر] فلا نسلّم لهما المقارنة؛ لأنّهما ليسا بمكلّفين فى هداية هذه الأُمّة».

فجوابه

هذا باطل جزماً؛ لأنّه بعدما تقرّر من أنّه حىّ وبين أظهرنا كما عليه جمهور العلماء فلا نستطيع أن نقطع أن ليس من مهامّه الهداية؛ بل ذلك مرجعه وعلمه عند الله، وهو أعلم بتقدير المصلحة؛ لأنّه لا يمكن أن يفعل العبث.

ثم إنّ النووى يذكر أنّه موجود فى مواطن الخير أكثر من أن يحصى- كما تقدّم- ومعلوم أنّ مواطن الخير هى الهداية، فلا نعلم من أين علم الدكتور القفارى أنّ الخضر ليس من مهامّه الهداية إلّا أن يعلم الغيب، وهذا خلاف الواقع؟!

وكذلك ورد فى الحديث عن القندوزى الحنفى «ولم تخل الأرض منذ خلق

ص: ۲۳۲

الله آدم من حجّة الله فيها، إمّا ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو الأرض إلى أن تقوم الساعة من حجّة فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله» (۱). أو «لساخت بأهلها» (۲).

وأمّا المقارنة التى أجهد الدكتور نفسه فيها، فعلماء الشيعة- كما قلنا سابقاً ونكرّر الآن- يذكرون ذلك من باب الإمكان ليس إلّا.

وأمّا أدوارهم فى الهداية أو غيرها، فهذا مرجعه وتقديره إلى علم الله وإرادته واختياره، فهو الأعلم بالمصلحة، وهو المقدّر لها.

وأختم ردّ هذه الشبهة بأبيات شعريّة للسيّد رضا الموسوى الهندى تدلّ على المقصود، حيث أنشد قائلًا:

وإن تسترب فيه لطول بقائه أجابك إدريس وإلياس والخضر

ومكث نبى الله نوح بقومه كذا نوم أهل الكهف نصّ به الذكر

وقد وجد الدجّال فى عهد أحمد ولم ينصرم منه إلى الساعة العمر

وقد عاش عوج ألف عام وفوقها ولولا عصا موسى لأخّره الدهر

ومن بلغت أعمارهم فوق مائة وما بلغت ألفاً فليس لهم حصر (۳)

إذن هذه شهادة صريحة وواضحة توثّق أنّ طول العمر أمر وارد فى الحياة ولا ضير فيه، فمتى ما اقتضت الحكمة الإلهيّة والمصلحة أن يطيل الأعمار أطالها، ولا مانع من ذلك.

فإذا جوّزنا ذلك فى الأنبياء وغيرهم- كما تقدّم- فلِمَ لا نقول ذلك فى الإمام المهدى (عج) بمقتضى الحكمة والعطاء الإلهى- كما يعبّر الفخر الرازى؟!-

---

۱- ينابيع المودّة، ج ۳، ص ۳۶۰.

۲- المصدر نفسه.

۳- ديوان السيّد رضا الهندى، صص ۲۹ و ۳۰.

ص: ۲۳۳

وحكم الأمثال كما هو معلوم فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد، فإذا جاز هناك جاز هنا بلا تردّد.

شبهة الدفاع عن الغيبة أبطلها الشيعة أنفسهم

قال الدكتور القفارى: فى ج ۲ ص ۱۰۵۴.

«وهذا الدفاع [عن طول أمد الغيبة] قد أبطله الشيعة أنفسهم؛ لأنّهم يقولون بأنّ مهديّهم هو الحاكم الشرعى للأُمّة منذ أحد عشر قرناً أو يزيد، وهو القيّم على القرآن، ولا يحتجّ بالقرآن إلّا به، ولا هداة للبشر إلّا بواسطته ... وهو الذى معه القرآن الكامل ومصحف فاطمة والجفر والجامعة، وما يحتاجه الناس فى دينهم ودنياهم، فمهديّهم مسؤول عن الأُمّة، ومعه وسائل هدايتهم وسعادتها فى الدنيا والآخرة».

الجواب

تقدّم أنّ دفاع الشيعة فى محلّه، ولا يوجد أىّ إبطال لما قلناه، والشيعة تقول: إنّ الامام المهدى (عج) هو إمام مفترض الطاعة، وأمّا الحاكم الشرعى فهو من نصبه الإمام؛ لورود الأدلّة على ذلك كما فى قوله:

«انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر فى حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فارضوا به حكماً فإنّى قد جعلته عليكم حاكماً» (۱).

وهذه الحاكميّة لها شرائط وضوابط لابدّ أن تجتمع فيه لكى يكون حاكماً، منها: أن يكون صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه.

وأمّا قوله: «لا يحتجّ بالقرآن إلّا به»،

۱- الكافى، ج ۷، ص ۴۱۲.

ص: ۲۳۴

فنقول: إنّ الشيعة حجّتها القاطعة هى القرآن الكريم، وما من حديث يروى فى كتبهم مخالفاً لهذه الحجّة إلّا وطرحوه، وهذا ما تسالم عليه الإماميّة الاثنا عشريّة بلا خلاف.

وجلّ كتبنا الحديثيّة تحمل هذه القاعدة، فالكلينى/ فى مقدّمة كتابه «الكافى» أكّد على هذا المفهوم، حيث قال:

فاعلم يا أخى- أرشدك الله- أنّه لا يسع أحداً تمييز شىء ممّا اختلف الرواية فيه عن العلماء (عليهم السلام) برأيه، إلّا على ما أطلقه العالم (ع) بقوله: «اعرضوها على كتاب الله، فما وافق كتاب الله جلّ وعزّ فاقبلوه، وما خالف كتاب الله فردّوه» (۱).

وهذا شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسى فى كتابه «التهذيب» قال:

«روى عن النبى (ص) وعن الأئمة: أنّهم قالوا: «إذا جاءكم منّا حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالفه فاطرحوه» (۲).

۱- الكافى، ج ۱، ص ۸.

۲- تهذيب الأحكام، ج ۷، ص ۲۷۵.

ص: ۲۳۵

ص: ۲۳۶

ص: ۲۳۷

ص: ۲۳۸

الفصل الرابع: الطعن والتشكيك بعدد أئمّة الشيعة

تمهيد

لم يكتف الدكتور القفارى بإنكاره للمهدويّة والغيبة، بل تعدّى ذلك لإنكار أصل الإمامة، وبالتالى الطعن والتشكيك مرّة أُخرى بإمامة الإمام الثانى عشر، ومن أهمّ ما طرحه فى هذا الشأن، هو نفى أنّ الأئمّة اثنا عشر؛ لأنّ روايات الشيعة- كما يدّعى- تثبت أنّهم ثلاثة عشر، وبذلك ينفى أصل إمامتهم؛ للاختلاف الوارد فى هذا العدد.

ثمّ يستبعد قبول العقل لهذا العدد؛ لأنّه خلاف منطق الواقع، مع أنّ الواقع يتلاءم مع هذه الحقيقة التى نصّ عليها رسول الله (ص) فى حديث «الاثنى عشر خليفة أو أمير، وأنّهم من قريش» على اختلاف ألفاظه وطرقه المختلفة، والتى بلغت رواياته أكثر من مائتين وسبعين رواية، وفى أشهر كتب الفريقين، علماً أنّ هذا الحديث قد روى قبل أن يولد الإمام المهدى (عج)، وقد تقدّم أنّه لا تطبيق صحيح يتلاءم مع مضمون هذا الحديث سوى الواقع الإمامى الاثنا عشرى، ابتداء بالإمام علىّ وانتهاء بالمهدى (عليهم السلام)، ليكون هو التطبيق الوحيد المعقول له، كما تقدّم الكلام عنه مفصّلًا.

ثمّ يختلق الدكتور القفارى فكرة أنّ الإمامة لمّا كانت سرّيّة ومحاطة بالكتمان

ص: ۲۳۹

- كما يستنتج ذلك من الروايات- أنّ الله أسرّها إلى عليّ (ع) وعليّ يختار ما يريد، وليس الله هو الذى عيّن هذا العدد من الأئمّة، ثمّ شكّك فى الروايات فى تعيين العدد المنصوص عليه عند الشيعة. وهدف الدكتور القفارى واضح، وهو نسف فكرة الإمامة أوّلًا، وفى الآن نفسه الطعن بفكرة المهدويّة والغيبة، وكونها أُسطورة وخيال من وحى الشيعة أنفسهم.

ولكن هذه الأفكار سيتّضح أنّها مجرّد دعاوى يسهل لكلّ إنسان أن يصيغها بألفاظ مسوقة ومرتّبة بقوالب لفظيّة، ولكن الحقيقة ستثبت خلاف ما يدّعى؛ لأنّ هناك قلباً وتشويهاً للحقائق بشكل غريب، كما سيتّضح من خلال سير البحث.

شبهة أئمّة الشيعة ثلاثة عشر وليس اثنى عشر

اشارة

قال القفارى: «كما أنّك ترى الكافى أصحّ كتبهم الأربعة قد احتوى على جملة من أحاديثهم تقول بأنّ الأئمة ثلاثة عشر»، فقد روى الكلينى بسنده عن أبى جعفر، قال: «قال رسول الله (ص): إنّى واثنى عشر إماماً من ولدى وأنت يا عليّ زرّ الأرض- يعنى أوتادها وجبالها- بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدى ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا» (۱).

فهذا النصّ أفاد أنّ أئمّتهم- بدون عليّ- اثنا عشر ومع عليّ يصبحون ثلاثة عشر. وهذا ينسف بنيان الاثنى عشريّة ... كذلك روت كتب الشيعة الاثنى عشريّة عن أبى جعفر عن جابر، قال: دخلت على فاطمة وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثنى عشر آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمّد،

۱- الكافى، ج ۱، ص ۵۳۴.

ص: ۲۴۰

وثلاثة منهم عليّ» (۱).

فانظر كيف اعتبروا أئمّتهم اثنى عشر كلّهم من أولاد فاطمة، فإذن عليّ ليس من أئمّتهم؛ لأنّه زوج فاطمة لا ولدها، أو يكون مجموع أئمّتهم ثلاثة عشر.

وممّا يدلّ أيضاً على أنّهم لم يعتبروا عليّاً من أئمّتهم قوله: ثلاثة منهم عليّ، فإنّ المسمّى بعليّ من الأئمّة عند الاثنى عشريّة أربعة: أمير المؤمنين عليّ، وعليّ بن الحسين، وعليّ الرضا، وعليّ الهادى ...».

ثمّ قال: «والقول بأنّ الأئمّة ثلاثة عشر قامت فرقة من الشيعة تقول به، ولعلّ تلك النصوص من آثارها، وقد ذكر هذه الفرقة الطوسى فى ردّه على من خالف الاتّجاه الاثنى عشرى، الذى ينتمى إليه (۲)، وكذلك النجاشى فى ترجمة هبة الله أحمد بن محمّد (۳).

وكلّ فرقة من هذه الفرق تدّعى أنّها على الحقّ، وأنّ الخبر فى تعيين أئمّتها متواتر، وتبطل ما ذهبت إليه الفرق الشيعيّة الأُخرى، وهذا دليل على أنّهم ليسوا على شىء؛ إذ لو تواتر خبر إحدى فرقهم لم يقع الاختلاف قط بينهم» (۴).

بيان الشبهة

إنّ القفارى أراد أن يصوّر الشبهة بما يلى:

إنّ الشيعة قد تسالم عندهم أنّ عدد أئمّتهم «اثنا عشر إماماً»؛ فى حين أنّنا نجد

۱- المصدر نفسه، ص ۵۳۲؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج ۱، ص ۲۶۴؛ الإرشاد، ص ۳۹۳؛ الغيبة، الطوسى، ص ۹۲.

۲- الغيبة، ص ۱۳۷.

۳- رجال النجاشى، ص ۳۴۳.

۴- أُصول مذهب الشيعة، ج ۲، صص ۸۰۹- ۸۱۱.

ص: ۲۴۱

أن أصحّ كتاب عندهم وهو «الكافى» وغيره من الكتب الشيعيّة الأُخرى تروى: أنّهم «ثلاثة عشر إماماً»، ومن يدّعى ذلك هم فرقة من فرق الشيعة أيضاً، وتلك النصوص القائلة بأنّ الأئمّة ثلاثة عشر هو من آثار هذه الفرقة، فهناك فرقتان وكلّ فرقة تدّعى أنّ عدد أئمّتها متواتر، وهذا التضارب يكشف عن بطلان كلتا الفرقتين فى دعواهما؛ لأنّ تواتر خبر إحدى الفرقتين موجب لعدم وقوع الخلاف، وبهذا ينكشف بطلان عقيدة الشيعة فى اعتقادهم بعدد الأئمّة.

مرتكزات الشبهة

لقد ارتكز فى دعواه على ما يلى:

۱- ذكر رواية للشيخ الكلينى، فى كتابه «الكافى» وصحّح هذه الرواية بناءً على أنّه أصحّ الكتب عند الشيعة، وفسّرها وفق ذوقه الخاصّ، بقوله: «إنّ هذا النصّ أفاد أنّ أئمّتهم- بدون علىّ- اثنا عشر، ومع علىّ يصبحون ثلاثة عشر».

۲- لقد دلّس وحرّف وأدرج كلاماً غير موجود فى أصل رواية «الكافى»، وهذا مخلّ بالمنهجيّة العلميّة التى وصف نفسه بها فى مقدّمة كتابه (۱)، فالرواية التى ذكرها الكلينى هى: «إنّى واثنى عشر من ولدى وأنت يا علىّ زرّ الأرض ...» (۲)، فلا توجد كلمة «إماماً» بل هى من مدرجات القفارى.

۳- وذكر أيضاً حديث اللوح، وأيضاً فسّره بأنّ الاثنى عشر كلّهم من أولاد

۱- قال القفارى فى المقدّمة: «والموضوعيّة الصادقة أن تنقل من كتبهم بأمانة، وأن تختار المصادر المعتمدة عندهم ...»، أُصول مذهب الشيعة، ج ۱، ص ۱۶.

۲- الكافى، ج ۱، ص ۵۳۴.

ص: ۲۴۲

فاطمة، فإذن علیّ لیس من أئمّتهم؛ لأنّه زوج فاطمة لا ولدها، وعلیه فیکون المجموع ثلاثة عشر.

۴- إنّ الشیعة لم تعتبر «علیّاً (ع)» من أئمّتهم؛ لأنّه ذکر: «ثلاثة منهم محمّد، وثلاثة منهم علیّ»، فإنّ أسماء «علیّ» فقط ثلاثة فی حین أنّهم أربعة، وهم: أمیر المؤمنین علیّ، وعلیّ بن الحسین، وعلیّ الرضا، وعلیّ الهادی (علیهم السلام).

۵- إنّ هناک فرقة من الشیعة تعتقد: بأنّ الأئمّة ثلاثة عشر، ثمّ تسرّبت هذه المقالة إلی مذهب الاثنی عشر؛ لذا ردّها الطوسی والنجاشی.

۶- إنّ کلّ فرقة من هذه الفرق تدّعی أنّها الحقّ، وأنّ الخبر فی تعیین أئمّتها متواتر، وهذا دلیل علی أنّهم لیسوا علی شیء؛ إذ لو تواتر خبر إحدی فرقهم لم یقع الاختلاف قطّ بینهم.

الجواب

تُعرف الشیعة الإمامیّة بالفرقة الاثنی عشریّة، وهذا ما تسالم علیه کلّ من له إلمام بأبجدیّة الفرق وعلومها، ومنشأ هذه التسمیة: هو اعتقادهم باثنی عشر إماماً من بنی هاشم، نصّ علیهم رسول الله (ص) کما هو معلوم للجمیع، ومن ثمّ نصّ کلّ إمام علی الإمام الذی بعده، بشکل یخلو من الشکّ والإبهام.

قال الشهرستانی فی «الملل والنحل»: «أسامی الأئمّة الاثنی عشر عند الإمامیّة: المرتضی والمجتبی والشهید والسجّاد والباقر والصادق والکاظم والرضا والتقی والنقی والزکی والحجّة القائم المنتظر» (۱).

وقد تقدّم منّا قریباً فی بحث «سرّیّة وکتمان أمر الإمامة» تضافر الروایات- وبأسانید صحیحة- الدالّة علی عددهم والنصّ علیهم، کما ورد من طرقنا

۱- الملل والنحل، الشهرستانی، ج ۱، ص ۱۷۳.

ص: ۲۴۳

الشيعيّة فی روايات «الأئمّة من ولد الحسين»، وكذلك التی نصّت عليهم جميعاً.

إذن مـذهب الإماميّـة عموده الفقری قائم على أنّ أئمّتهم اثنا عشـر إماماً. وكتبهم تعجّ بذلك، ومن تتبع مصادرهم يعرف هذه الحقيقة التی لا يعتريها الشكّ والريب.

علماء أهل السنّة يصرّحون أنّ الأئمّة اثنا عشر عند الشيعة

إنّ أعلام أهل السـنّة الذين ترجموا لأئمّة هذا المذهب الشـريف عبّروا عنهم بالأئمّة الاثنی عشـر، ولم نجد أحداً خالف منهم وقال: إنّ الأئمّـة ثلاثـة عشـر، فهـذا الأمر من المسـلّمات حـديثيّاً و تأريخيّاً، ومن يـدّعی خلافه شاذّ نادر، لا يعبأ به ولا يعتمد عليه، وإليك بعض النصوص التی تشير إلى ذلك:

قال الذهبی فی ترجمته للإمام الباقر (ع): «وهو أحد الأئمّة الاثنی عشر الذين تبجّلهم الشيعة الإماميّة وتقول بعصمتهم وبمعرفتهم بجميع الدين» (۱).

قـال ابن خلّكـان فی ترجمـة الإمام الباقر (ع): «أبو جعفر محمّـد بن زين العابـدين، الملقّب بالباقر، أحـد الأئمّـة الاثنی عشـر فی اعتقاد الإماميّة» (۲).

وقال الذهبی فی ترجمة الإمام الجواد (ع): «هو أحد الأئمّة الاثنی عشر الذين تدّعی الشيعة فيهم العصمة» (۳).

وقال الصـفدی فی ترجمـة الإمام الهادی (ع): «علیّ بن محمّـد بن علیّ بن موسـی بن جعفر بن محمّد بن علیّ بن الحسـين بن علیّ بن أبی طالب، وهو أبو الحسن الهادی بن الجواد بن الرضا بن الكاظم بن الصادق بن الباقر بن زين

۱- سير أعلام النبلاء، ج ۴، ص ۴۰۲.

۲- وفيات الأعيان، ج ۱، ص ۳۲۷.

۳- تأريخ الإسلام، ج ۱۳، ص ۳۸۵.

ص: ۲۴۴

العابدين، أحد الأئمّة الاثنى عشر عند الإماميّة» (۱).

وقال ابن كثير فى تعليقه على حديث «الاثنى عشر كلّهم من قريش»: «وليس المراد الأئمّة الاثنى عشر الذين يعتقد فيهم الرافضة الذين أوّلهم علىّ بن أبى طالب وآخرهم المنتظر بسرداب سامرا، وهو محمّد بن الحسن العسكرى» (۲).

فهنا ابن كثير يعتقد ويسلّم أنّ الأئمّة عند الشيعة هم اثنا عشر إماماً، أوّلهم الإمام علىّ (ع) وآخرهم الإمام المهدى المنتظر (عج).

وقال ابن خلدون فى «تأريخه» عند تعليقه على نسب الطالبيّين: «وكان الكاظم على زى الأعراب مائلًا إلى السواد، وكان الرشيد يؤثره ويتجافى عن السعاية فيه كما مرّ، ثمّ حبسه، ومن عقبه بقيّة الأئمّة الاثنى عشر عند الإماميّة من لدن علىّ بن أبى طالب الوصىّ ووفاته سنة خمس وثلاثين، ثمّ ابنه الحسن ووفاته سنة خمس وأربعين، ثمّ أخوه الحسين ومقتله سنة إحدى وستّين، ثمّ ابنه زين العابدين ووفاته [سنة أربع وتسعين]، ثمّ ابنه محمّد الباقر ووفاته سنة إحدى وثمانين ومائة، ثمّ ابنه جعفر الصادق ووفاته سنة ثلاث وأربعين ومائة، ثمّ ابنه موسى الكاظم ووفاته سنة ثلاث وثمانين ومائة، وهو سابع الأئمّة عندهم، ثمّ ابنه علىّ الرضا ووفاته سنة ثلاث ومائتين، ثمّ ابنه محمّد المقتفى ووفاته سنة عشرين ومائتين، ثمّ ابنه علىّ الهادى ووفاته سنة أربع وخمسين ومائتين، ثمّ ابنه حسن العسكرى ووفاته سنة ستّين ومائتين، ثمّ ابنه محمّد المهدى، وهو الثانى عشر، وهو عندهم حىّ منتظر، وأخبارهم معروفة» (۳).

۱- الوافى بالوفيات، ج ۲۲، ص ۴۸.

۲- البداية والنهاية، ج ۱، ص ۱۷۷.

۳- تاريخ ابن خلدون، ج ۴، ص ۱۱۵.

ص: ۲۴۵

إذن اتّضح أنّ هناك اتّفاقاً بين أرباب أهل التراجم على أنّ أئمّة الشيعة هم اثنا عشر وليس ثلاثة عشر.

دعوى أصحّيّة جميع ما ورد فى الكافى

اشارة

كثيراً ما يُرَدّد فى أكثر من مقال أنّ «الكافى» أو «نهج البلاغة» هما أصحّ الكتب عند الشيعة؛ حيث قال القفارى فى مقاطع متعدّدة: «كما أنّك ترى الكافى أصحّ كتبهم الأربعة»، أو قوله: «وفى كتاب الكافى- أصحّ كتاب عندهم- روايات كثيرة فى هذا»، أو قوله: «وهذه الرواية وردت فى الكافى، أصحّ كتاب عندهم» أو «وكتاب النّهج الذى هو أصحّ كتاب عند الشيعة»، أو «.. باعتراف أصحّ كتاب فى نظر الشيعة» (۱).

الجواب

نقول: الظاهر من تكرار هذه الكلمات أنّه يريد أن يقول: إنّ جميع ما ورد فى «الكافى» هو صحيح، لذا نجد أنّه يقول فى مقدّمة كتابه: «قال محب الدين الخطيب: إنَّ الكافى عند الشيعة هو كصحيح مسلم عند المسلمين ... ولذا كانت منابع اطّلاعات الكلينى قطعيّة الاعتبار» (۲).

فإن كان هذا هو مقصوده فجوابه:

إنّ علماء الشيعة رضوان الله عليهم تعاملوا مع كتاب «الكافى» بروح الاعتدال والإنصاف بعيداً عن التعصّب إذا ما قارنّا ذلك مع صحيح البخارى ومسلم؛ حيث نجد هالة القداسة والعصمة قد أُضفيت عليهما، فعلماء الشيعة لم يتنكّروا

۱- أُصول مذهب الشيعة، ج ۲، صص ۸۰۹ و ۸۱۳.

۲- المصدر نفسه، ج ۱، ص ۲۳.

ص: ۲۴۶

لحسناته، ولم‌يتجاهلوا ما فيه من ضعف بعض الأسانيد ومناقشتهم لدلالاتها، ومع ضبطه ودقّته وجلالة قدره رحمه الله؛ مع ذلك كلّه لم نجد أحداً يقول بصحّة جميع ما يحتويه «الكافى».

قال المحدّث النورى فى «مستدركه» فى حديثه عن «الكافى»: «ويمتاز عمّا سواه من كتب الحديث بقرب عهده إلى الأُصول المعوّل عليها والمأخوذ عنها، وما فيه من دقّة الضبط، وجودة الترتيب، وحسن التبويب، وإيجاز العناوين، فلا ترى فيه حديثاً ذكر فى غير بابه، كما أنّه لم ينقل الحديث بالمعنى أصلًا، ولم يتصرّف فيه، كما حدث للبخارى مرّات ومرّات.

ومع جلالة قدره وعلو شأنه بين الأصحاب، لم يقل أحد بوجوب الاعتقاد بكلّ ما فيه، ولم يسمّ صحيحاً كما سمّى البخارى ومسلم» (۱).

لذا فإنّنا لم نجد من علمائنا من يقول بأنّ من روى عنه الكلينى فقد جاز القنطرة، كما قال الكثيرون من محدّثى أهل السنّة فى «صحيح البخارى» (۲).

إذن هذا هو موقف علماء الشيعة من كتاب «الكافى»، بل كلّ كتاب من كتبهم وكتب غيرهم أيضاً، فهم يمحّصون كلّ كلمة تقال ويعرضونها على كتاب الله جلّ وعلا، فما وافقه أخذوا به، وما خالفه ضربوا به عرض الجدار.

وإن كان مقصوده أنّ كتاب «الكافى» بالنسبة لغيره هو أصحّ كتاب، وأنّ هذه النسبة إضافيّة، فهذه الدعوى صحيحة؛ لأنّ الشيخ الكلينى أمضى عشرين

۱- مستدرك الوسائل، ج ۱، صص ۲۸ و ۲۹.

۲- قال ابن حجر العسقلانى: «وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسى يقول فى الرجل الذى يخرّج عنه فى الصحيح: هذا جاز القنطرة، يعنى بذلك أنّه لا يلتفت إلى ما قيل فيه». مقدّمة فتح البارى، ص ۳۸۱.

ص: ۲۴۷

سنة فى شأن تصنيف «الكافى»، ولا يخفى أنّ تلك المدّة الطويلة تستدعى تحرّى الدقّة والضبط فى الرجال والأسانيد والمتون والطرق، وهذا بدوره يستلزم الإحاطة بما ورد فيه من روايات؛ لذا أصبح هذا الكتاب موضع إجلال وتقدير علماء الطائفة رضوان الله عليهم.

فكون «الكافى» أصحّ الكتب عند الشيعة لا يلزم منه صحّة كلّ ما فيه كما هو واضح؛ بل رواياته خاضعة لميزان التصحيح والتضعيف وفق المبانى المتّبعة عند علماء الشيعة، وقد كرّرنا ذلك مراراً.

روايات الكلينى التى يتوهّم منها أنّ الأئمّة ثلاثة عشر

كما أشرنا أنّ مذهب الشيعة الإماميّة قائم على أنّ الأئمّة «اثنا عشر» وبروايات متواترة لا يمكن التشكيك فيها؛ بل أصبح هذا الاعتقاد عَلماً للشيعة، فضلًا عمّن اعترف من علماء أهل السنّة بذلك كما أسلفنا سابقاً، فلو فرضنا جدلًا صحّة هذه الأحاديث، فلا يمكن أن تمسّ ما ورد من الروايات المتعدّدة وبطرق كثيرة جدّاً، والتى عقد لها نفس الكلينى أبواباً كما سيأتى، مع أنّ روايات الثلاثة عشر ضعيفة من حيث السند وقابلة للتأويل من حيث الدلالة.

وقد استشهد القفارى بروايتين من «الكافى» لإثبات ادّعائه، ولكى نقف على دفع هذه الشبهة لابدّ من دراسة وافية لجميع الروايات فى كتبنا الحديثية التى يبدو منها القول بهذه المسألة، كما ورد فى كتاب «الكافى» لثقة الإسلام الكلينى (رحمة الله).

وهذه الروايات مع ضعف سندها- كما سيتّضح- وقع فيها التصحيف الناشئ من خطأ النسّاخ وسوء تعبير بعض الرواة، فإنّنا نجد ذلك الخطأ أو السهو أمراً مألوفاً وارداً فى الكتب القديمة؛ لأنّ معظم هذه الكتب قد نُسخت باليد، ولهذا نجد كثيراً من علماء الحديث وضعوا دراسات لمعالجة هذا الداء،

ص: ۲۴۸

وأيضاً هناك من أهل السـنّة من كتب فى هذا المجال كما فى كتاب «بيان خطأ البخارى فى تأريخه»، وأشاروا فيه إلى الخطأ من بعض النسّاخ، حيث نقرأ فى مقدّمة هذا الكتاب:

«موضوع الكتاب على التحديد بيان ما وقع من خطأ أو شـبهة فى النسخة التى وقف عليها الرازيان من تأريخ البخارى. والشواهد تقضى أنّ أبا زرعة استقرأ تلك النسخة من أوّلها إلى آخرها، ونبّه على ما رآه خطأ أو شبهة مع بيان الصواب عنده» (۱).

وممّـا يؤكّـد لنـا أنّ هـذه الروايـات من سوء تعبير الرواة أو خطـأ النسّاخ، هو أنّ الكلينى هـدفه وغرضه من تأليف «الكافى» بيان عقيـدة الشـيعة الإماميّـة الصـحيحة، وذلك من خلال الروايات التى تنصّ على عددهم مع النصّ على أسـمائهم، وهذا واضح فى أبواب كتابه، فلو قلنا بعكس ذلك لزم نقض الغرض، وهو قبيح.

إذن بلا شكّ هناك خطأ قـد وقع فى بعض النسـخ لكتاب «الكافى»، وبمراجعـة فاحصـة فى الكتب التى تنقل عن الكلينى، أو بمراجعة الأصل المنقول منه الحديث والنظر فيه يتّضح صدق ما نقول.

ثمّ لو تنزّلنا وقلنا بعـدم التصـحيف فإنّنا سـننقل أقوال علمائنا الـذين شـرحوا هـذه الأحاديث التى يتراءى منها أنّهم ثلاثة عشـر، وسوف يتضّح الجواب بعد طرح الأُمور التالية:

۱- نقل روايات «الكافى» التى ورد فيها التصحيف.

۲- مناقشة سند هذه الروايات.

۳- شرح متن هذه الروايات.

۱- بيان خطأ البخارى، ص ۳.

ص: ۲۴۹

۴- نقل الروايات من الكتب بدون تصحيف.

۵- نقل الروايات من «الكافى» بلفظ «الأئمّة اثنا عشر».

۶- نتيجة ومقارنة.

روايات الكلينى التى وقع فيها التصحيف

الرواية الأُولى

اشارة

روى ثقة الإسلام الكلينى فى كتابه «الكافى»:

محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد، عن محمّد بن الحسين، عن أبى سعيد العصفورى، عن عمرو بن ثابت، عن أبى الجارود، عن أبى جعفر (ع) قال: «قال رسول الله (ص): إنّى واثنى عشر من ولدى وأنت يا علىّ زِرّ الأرض- يعنى أوتادها وجبالها- بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدى ساخت الأرض بأهلها ولم‌ينظروا» (۱).

سند الرواية

الرواية ضعيفة: فيها زياد بن المنذر أبو الجارود: تنسب إليه الجارودية، رويت فى ذمّه روايات، كان إماميّاً، ثمّ صار زيديّاً (۲).

قال التفرشى فى نقد الرجال عن الكشى: «تنسب إليه السرحوبيّة من الزيديّة، وسمّاه بذلك الباقر (ع)، وذكر أنّ سرحوباً اسم شيطان أعمى يسكن

۱- الكافى، ج ۱، ص ۵۳۴. فالرواية تقول «اثنى عشر من ولدى» وليس «اثنى عشر إماماً» كما يدّعى القفارى.

۲- رجال النجاشى، ص ۱۷۰؛ الفهرست، الطوسى، صص ۱۳۱ و ۱۳۲؛ خلاصة الأقوال، العلّامة الحلّى، ص ۳۴۸.

ص: ۲۵۰

البحر، ثمّ فیه روایة تدلّ علی کذبه» (۱).

شرح متن الروایة

قال المازندرانی شارحاً ومعلّقاً علی هذه الروایة:

«قوله: «واثنا عشر من ولدی» هم اثنا عشر مع فاطمة (علیهم السلام). قوله: «رزّ الأرض» بالزرّ بالراء المهملة والزای المعجمة، یقال: رززت الشیء فی الأرض رزّاً، أی: أثبته فیها، والرزّة الحدیدة التی یدخل فیها القفل، فیستحکم بها الباب» (۲).

فظاهر الحدیث أنّ فاطمة (س) مشمولة به ضمن لفظ «الاثنی عشر».

هذا، مضافاً إلی صحّة إطلاق الولد علی أمیر المؤمنین، وعلی سائر الأئمة (علیهم السلام) تغلیباً. وعطف «أنت» علیه من قبیل عطف الخاصّ علی العامّ تأکیداً وتشریفاً، کعطف جبرئیل علی الملائکة (۳).

الکتب التی ذکرت الروایة الأُولی من دون تصحیف

الأصول الستّة عشر: ذکرت هذه الروایة من دون تصحیف فی کتاب «الأُصول الستّة عشر» الذی ألّفه نخبة من الرواة، وإلیک نصّها:

عباد، عن عمرو، عن أبی الجارود، عن أبی جعفر (ع) قال: «قال رسول الله (ص): إنّی وأحد عشر من ولدی وأنت یا علیّ زرّ الأرض- أعنی أوتادها [و] جبالها- وقال: وتد الله الأرض أن تسیخ بأهلها، فإذا ذهب الأحد عشر من

۱- نقد الرجال، ج ۲، صص ۲۷۹ و ۲۸۰.

۲- شرح أُصول الکافی، ج ۷، ص ۳۸۰.

۳- بحارالأنوار، ج ۳۶، ص ۲۶۰.

ص: ۲۵۱

ولدى ساخت الأرض بأهلها ولم‌ينظروا» (۱).

الرواية الثانية

اشارة

روى ثقة الإسلام الكلينى (رحمة الله) فى كتابه «الكافى»:

محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن مسعدة بن زياد، عن أبى عبد الله ومحمّد بن الحسين، عن إبراهيم، عن أبى يحيى المدائنى، عن أبى هارون العبدى، عن أبى سعيد الخدرى، قال: أقبل يهودى من عظماء يهود يثرب، وتزعم يهود المدينة أنّه أعلم أهل زمانه حتّى رفع إلى عمر، فقال له: يا عمر، إنّى جئتك أُريد الإسلام، فإن أخبرتنى عمّا أسألك عنه فأنت أعلم أصحاب محمّد بالكتاب والسنّة وجميع ما أُريد أن أسأل عنه، قال: فقال له عمر: إنّى لست هناك، لكنّى أرشدك إلى من هو أعلم أُمّتنا بالكتاب والسنّة وجميع ما قد تسأل عنه، وهو ذاك- فأومأ إلى علىّ (ع)-. .. فقال له أمير المؤمنين (ع): «إنّ لهذه الأُمّة اثنى عشر إمام هدى من ذرّيّة نبيّها، وهم منّى، وأمّا منزل نبيّنا فى الجنّة ففى أفضلها وأشرفها جنّة عدن، وأمّا من معه فى منزله فيها فهؤلاء الاثنا عشر من ذرّيّته وأُمّهم وجدّتهم وأُمّ أُمّهم وذراريهم، لا يشركهم فيها أحد» (۲).

سند الرواية

الرواية ضعيفة: وذلك للأسباب التالية:

أوّلًا: الظاهر أنّ فى هذا السند تصحيف؛ لأنّ إبراهيم: هو ابن أبى يحيى المدائنى وحرف «عن» تصحيف ل- «أبى»، وهذا الرجل لم يُتعرّض لذكره

۱- الأصول الستّة عشر، ص ۱۶.

۲- الكافى، ج ۱، ص ۵۳۱.

ص: ۲۵۲

فی أُصول الرجال (۱).

ثانیاً: قال الشیخ لطف الله الصافی:

«قال المجلسی فی مرآة العقول: سنده الأوّل صحیح، لکنّ الظاهر أنّ فیه إرسالًا؛ إذ مسعدة من أصحاب الصادق (ع)، ومحمّد بن الحسین بن أبی الخطّاب من أصحاب الجواد والهادی والعسکری (علیهم السلام) لکن یروی هارون بن مسلم عنه کثیراً، مع أنّه قال النجاشی فیه: لقی أبا محمّد وأبا الحسن، فیحتمل أن یکون مسعدة معمّراً، روی عنه محمّد.

أقول: لا یدفع بذلک احتمال الإرسال؛ لبعد مسعدة بن زیاد بلقاء مولانا الکاظم، والرضا، والجواد (علیهم السلام) فی مدّة تزید علی خمسین سنة، وعدم روایته عنهم ولو بالمکاتبة أو بالواسطة، فالظاهر أنّه توفّی فی زمان الصادق (علیهم السلام)، وقد قبض فی شوّال سنة ثمان وأربعین ومائة أو أوائل عصر الکاظم (ع)، ومحمّد بن الحسین بن أبی الخطّاب توفّی فی سنة اثنتین وستّین ومائتین، وبذلک یستبعد روایة محمّد بن الحسین عنه بلا واسطة، بل وروایة هارون بن مسلم، فبقی احتمال الإرسال علی حاله، والله أعلم» (۲).

شرح متن الروایة

قال المازندرانی: «قوله: «من ذرّیّة نبیّها» هذا باعتبار الأکثریّة فی التغلیب، وکذا فی قوله: «من ذرّیّته».» (۳).

وقال المجلسی: «قوله (ع): «من ذرّیّة نبیّها». أقول: یخطر بالبال فی حلّ الإشکال الوارد علیه من عدم کون أمیر المؤمنین من الذرّیّة وجوه: الأوّل: إنّ

۱- معجم رجال الحدیث، ج ۱، ص ۱۸۲.

۲- لمحات، لطف الله الصافی، ص ۲۲۶.

۳- شرح أُصول الکافی، ج ۷، ص ۳۷۳.

ص: ۲۵۳

السائل لمّا علم بوفور علمه (ع) وما شاهد من آثار الإمامۀ والوصايۀ فيه أنّه أوّل الأوصياء: فكأنّ سؤاله عن التتمّۀ، فالمراد بالاثنى عشر تتمّتهم وتكملتهم غيره (ع).

الثانى: أن يكون إطلاق الذرّيّۀ عليه للتغليب، وهو مجاز شائع.

الثالث: أن استعير لفظ الذرّيّۀ للعترۀ ويريد بها ما يعمّ الولادۀ الحقيقيّۀ والمجازيّۀ، فإنّ النبيّ (ص) كان والد جميع الأُمّۀ، لا سيّما بالنسبۀ إلى أمير المؤمنين (ع) فإنّه كان مربّيه ومعلّمه، وعلاقۀ المجاز هنا كثيرۀ.

الرابع: أن يكون «من ذرّيّۀ نبيّها» خبر مبتدأ محذوف، أى: بقيتهم من الذرّيّۀ، أو هم من الذرّيّۀ بارتكاب استخدام فى الضمير، بإرجاع الضمير إلى الأغلب تجوّزاً، وأكثر تلك الوجوه يجرى فى قوله: «من ذرّيّته»، وكذا قوله: «أمّهم» يعنى فاطمۀ، وجدّتهم يعنى خديجۀ (عليهما السلام). وقوله: «وهم منّى» على الأوّل والرابع ظاهر، وعلى الوجهين الأخيرين يمكن أن ترتكب تجوّز فى كلمۀ «من» بما يشمل العينيّۀ أيضاً، أو يقال: ضمير «هم» راجع إلى الذرّيّۀ مطلقاً» (۱).

الكتب التى ذكرت الروايۀ الثانيۀ من دون تصحيف

وردت هذه الروايۀ بطرق أُخرى ولكن بنفس المضمون:

۱- كتاب «الغيبۀ» لمحمّد بن إبراهيم النعمانى:

«عن أبى هارون العبدى، عن عمر بن أبى سلمۀ ربيب رسول الله (ص)؛ وعن أبى الطفيل عامر بن واثلۀ، قال:. .. وأخبرنى عن موضع محمّد فى الجنّۀ، أىّ موضع هو؟ وكم مع محمّد فى منزلته؟ فقال علىّ (ع): «يا يهودى، لهذه الأُمّۀ اثنا عشر إماماً مهديّاً، كلّهم هاد مهدىّ لا يضرّهم خذلان من

۱- بحار الأنوار، ج ۳۶، ص ۳۸۲.

ص: ۲۵۴

خذلهم» إلى آخر الروايۀ (۱).

۲- «كمال الدين وتمام النعمۀ» للشيخ الصدوق:

عن أبى عبد الله (ع) قال: «لمّا بايع الناس عمر بعد موت أبى بكر أتاه رجل من شباب اليهود وهو فى المسجد، فسلّم عليه والناس حوله، فقال: يا أمير المؤمنين، دلّنى ... وأمّا قولك: من مع محمّد من أُمّته فى الجنّۀ فهؤلاء الاثنا عشر أئمّۀ الهدى، قال الفتى: صدقت، فو الله الذى لا إله إلّا هو، إنّه لمكتوب عندى بإملاء موسى وخطّ هارون بيده» إلى آخر الروايۀ (۲).

وروى أيضاً عن أبى الطفيل عامر بن واثلۀ، قال: شهدنا الصلاۀ على أبى بكر- إلى أن قال-: « (أمّا) منزل محمّد (ص) من الجنّۀ فى جنّۀ عدن، وهى وسط الجنان وأقربها من عرش الرحمن جلّ جلاله، قال له اليهودى: أشهد بالله لقد صدقت، قال له علىّ (ع): «والذين يسكنون معه فى الجنّۀ هؤلاء «الأئمّۀ» الاثنا عشر» قال له اليهودى: أشهد بالله لقد صدقت» (۳).

۳- «الخصال» للشيخ الصدوق:

عن جعفربن محمّد (ع) قال: «... قال: والثلاث الأُخرى كم لهذه الأُمّۀ من إمام هدى لايضرّهم من خذلهم؟ قال: اثنا عشر إماماً، قال: صدقت والله، إنّه لبخطّ هارون وإملاء موسى، قال: فأين يسكن نبيّكم من الجنّۀ؟ قال: فى أعلاها درجۀ وأشرفها مكاناً فى جنّۀ عدن، قال: صدقت والله، إنّه لبخطّ هارون وإملاء موسى، ثمّ قال: فمن ينزل بعده فى منزله؟ قال: اثنا عشر إماماً، قال: صدقت والله، إنّه لبخطّ هارون وإملاء موسى» إلى آخر الروايۀ (۴).

۱- الغيبۀ، محمّد بن إبراهيم النعمانى، صص ۹۸ و ۹۹.

۲- كمال الدين وتمام النعمۀ، صص ۲۹۷ و ۲۹۸.

۳- المصدر نفسه، صص ۲۹۹ و ۳۰۰.

۴- الخصال، صص ۴۷۵ و ۴۷۶.

ص: ۲۵۵

إذن فالروایات التی ذکرها النعمانی والصدوق، لم نجد فیها ذکر لکلمة «من ذرّیّة نبیّها أو من ذرّیّته»؛ وذُکر فقط «الاثنی عشر»، وواضح أنّ المراد ینصرف إلیهم جمیعاً بما فی ذلک أمیر المؤمنین (ع).

الروایة الثالثة

اشارة

روی ثقة الإسلام الکلینی فی کتابه «الکافی»:

«محمّد بن یحیی، عن محمّد بن الحسین، عن ابن محبوب، عن أبی الجارود، عن أبی جعفر (ع)، عن جابر بن عبد الله الأنصاری، قال: «دخلت علی فاطمة (س) وبین یدیها لوح فیه أسماء الأوصیاء من ولدها، فعددت اثنی عشر آخرهم القائم (عج)، ثلاثة منهم محمّد وثلاثة منهم علیّ» (۱).

سند الروایة

الروایة ضعیفة: لضعف أبی الجارود کما تقدّم.

شرح متن الروایة

قال المازندرانی: «قوله: «فعددت اثنی عشر» أی: فعددت الأوصیاء أو أسماءهم جمیعاً اثنی عشر، فلا ینافی هذا قوله: «من ولدها»؛ لأنّ الأوّل باعتبار البعض، والثانی باعتبار الجمیع. قوله: «ثلاثة منهم علیّ» أی: ثلاثة من ولدها، فلا ینافی هذا أنّ علیّاً أربعة» (۲).

۱- الکافی، ج ۱، ص ۵۳۲.

۲- شرح أُصول الکافی، ج ۷، ص ۳۷۳.

ص: ۲۵۶

الكتب التى ذكرت الرواية الثالثة من دون تصحيف

۱- «عيون أخبار الرضا» للشيخ الصدوق:

عن أبى الجارود، عن أبى جعفر (ع)، عن جابر بن عبد الله الأنصارى، قال: «دخلت على فاطمة (س) وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء، فعددت اثنى عشر آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمّد، وأربعة منهم علىّ (عليهم السلام)».

وقال أيضاً: عن أبى الجارود، عن أبى جعفر (ع)، عن جابر بن عبد الله الأنصارى، قال: «دخلت على فاطمة (س) وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء، فعددت اثنى عشر آخرهم القائم (ع)، ثلاثة منهم محمّد، وأربعة منهم علىّ (عليهم السلام)» (۱).

وقد رواها أيضاً المجلسى فى «بحارالأنوار» والميرزا النورى فى خاتمة «المستدرك» بنفس اللفظ عن «العيون»: «ثلاثة منهم محمّد، وأربعة منهم على (عليهم السلام)» (۲).

۲- «الإرشاد» للشيخ المفيد:

عن أبى الجارود، عن أبى جعفر محمّد بن علىّ (عليهما السلام)، عن جابر بن عبد الله الأنصارى، قال: «دخلت على فاطمة بنت رسول الله (ص) وبين يديها لوح، فيه أسماء الأوصياء والأئمّة من ولدها، فعددت اثنى عشر اسماً آخرهم القائم من ولد فاطمة، ثلاثة منهم محمّد، وأربعة منهم علىّ» (۳).

۳- «العدد القويّة» لعلىّ بن يوسف الحلّى:

وفى رواية أُخرى قال: «دخلت على فاطمة (س) وبين يديها لوح، مكتوب فيه

۱- عيون أخبار الرضا ۷، ج ۲، ص ۵۲.

۲- بحارالأنوار، ج ۳۶، ص ۲۰۲؛ خاتمة المستدرك، ج ۵، صص ۴۱۷ و ۴۱۸.

۳- الإرشاد، ج ۲، ص ۳۴۶.

ص: ۲۵۷

أسماء الأوصیاء، فعددت اثنی عشر آخرهم القائم (عج)» (۱).

إذن هذه الروایات لسانها واضح فی أنّ الأئمّة اثنا عشر ثلاثة منهم محمّد، وأربعة منهم علیّ، فیکون أمیر المؤمنین (ع) داخلًا فیهم.

الروایة الرابعة

اشارة

روی الکلینی فی کتابه «الکافی»:

أبو علیّ الأشعری، عن الحسن بن عبید الله، عن الحسن بن موسی الخشّاب، عن علیّ بن سماعة، عن علیّ بن الحسن بن رباط، عن ابن أُذینة، عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر (ع) یقول: «الاثنا عشر الإمام من آل محمّد کلّهم محدّث، من ولد رسول الله (ص) وولد علیّ بن أبی طالب (ع)، فرسول الله (ص) وعلیّ (ع) هما الوالدان» (۲).

سند الروایة

الروایة ضعیفة؛ لجهالة علیّ بن سماعة، فلیس له ذکر فی کتب الرجال.

شرح متن الروایة

قال المازندرانی: «قوله: «کلّهم محدّث» مبتدأ وخبر، وإفراد الخبر باعتبار لفظ الکلّ، وقوله: «من ولد رسول الله (ص) ومن ولد علیّ (ع)» خبر بعد خبر علی الظاهر، وهذا الحکم باعتبار الأکثر، والقرینة علم المخاطب به» (۳).

الکتب التی ذکرت الروایة الرابعة من دون تصحیف

۱- العدد القویّة، ص ۷۱.

۲- الکافی، ج ۱، ص ۵۳۳.

۳- شرح أُصول الکافی، ج ۷، ص ۳۷۰.

ص: ۲۵۸

۱- «عیون أخبار الرضا» للشیخ الصدوق:

عن زرارة بن أعین، قال: سمعت أبا جعفر (ع) یقول: «نحن اثنا عشر إماماً من آل محمّد کلّهم محدّثون بعد رسول الله (ص)، وعلیّ بن أبی طالب منهم» (۱).

۲- «الإرشاد» للشیخ المفید:

عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر (ع) یقول: «الاثنا عشر الأئمّة من آل محمّد کلّهم محدّث، علیّ بن أبی طالب وأحد عشر من ولده، ورسول الله وعلیّ هما الوالدان، صلی الله علیهما» (۲).

وقد رواها الطبرسی فی «أعلام الوری»، و الکراجکی فی «الاستنصار»، والأربلی فی «کشف الغمّة» بنفس اللفظ: «علیّ بن أبی طالب وأحد عشر من ولده»، عن المفید، عن (الکافی) (۳).

الروایة الخامسة

اشارة

روی ثقة الإسلام الکلینی فی کتابه «الکافی»: وبهذا الإسناد، عن أبی سعید رفعه، عن أبی جعفر (ع)، قال: «قال رسول الله (ص): من ولدی اثنا عشر نقیباً، نجباء، محدّثون، مفهمون، آخرهم القائم بالحقّ، یملأها عدلًا کما ملئت جوراً» (۴).

سند الروایة

الروایة ضعیفة؛ لأنّ سند أبی سعید العصفوری ینتهی إلی زیاد بن المنذر

۱- عیون أخبار الرضا ۷، ج ۲، ص ۶۰.

۲- الإرشاد، ج ۲، ص ۳۴۷.

۳- أعلام الوری، ج ۲، ص ۱۷۱؛ الاستنصار، الکراجکی، ص ۱۷؛ کشف الغمّة، الأربلی، ج ۳، ص ۲۴۶.

۴- الکافی، ج ۱، ص ۵۳۴.

ص: ۲۵۹

أبی الجارود، وقد تقدّم أنّه ضعیف.

شرح متن الحدیث

قال المازندرانی: «قوله: «من ولدی اثنا عشر نقیباً» من باب التغلیب، أو أطلق الولد علی علیّ (ع) مجازاً» (۱).

الکتب التی ذکرت الروایة الخامسة من دون تصحیف

الأصول السـتّة عشـر: عبّاد رفعه إلی أبی جعفر (ع) قال: «قال رسول الله (ص): من ولـدی أحد عشـر نقیباً نجیباً «نقباء نجباء»، محدّثون، مفهمون، آخرهم القائم بالحقّ، یملأها الأرض عدلًا کما ملئت جوراً» (۲).

قال التستری فی «قاموس الرجال» فی ترجمة «عبّاد أبو سعید العصفوری»:

«وقوله (أی: عبّاد) فی خبر بعده: عن النبی (ص): «من ولدی اثنا عشـر نقباء نجباء»، محرّف «أحد عشر»، کما هو کذلک فی أصل أبی سعید المشتمل علی تسعة عشر حدیثاً» (۳).

وواضح من کلام الشـیخ التستری أنّ هناک تصـحیفاً فی الروایة، والأصل روایة أبی‌سـعید، التی تقول: «من ولدی أحد عشـر»، وبالطبع فإنّ أمیر المؤمنین هو الثانی عشر.

هذا مجمل الروایات التی ذکرها الکلینی (رحمة الله) والتی یُدعی أنّ الأئمّة «ثلاثة عشر»، وقد تقدّم الکلام فیها.

۱- شرح اصول الکافی، ج ۷، ص ۳۸۱.

۲- الأصول الستة عشر، ص ۱۵.

۳- قاموس الرجال، التستری، ج ۱۱، ص ۳۴۷.

ص: ۲۶۰

الأئمّة (الاثنا عشر) فی روایات الکافی

إنّ الکلینی عقد أبواباً وفصولًا فی النصّ علی الأئمّة وبیان عددهم (علیهم السلام)، وهذا بطبیعة الحال لغی مفاد تلک الروایات القلیلة النادرة، ولا تعارضها؛ لاستفاضتها وکثرة طرقها.

والأبواب هی کالتالی:

۱- باب فیما جاء فی الاثنی عشر والنصّ علیهم (۱).

۲- باب ما نصّ الله عزّوجلّ ورسوله علی الأئمّة واحداً فواحداً (۲).

۳- أبواب التأریخ، حیث ذکر الشیخ الکلینی ولادة النبی (ص) والأئمّة الاثنی عشر من بعده (۳).

وننقل بعض النصوص الصحیحة التی تدلّ علی أنّ الأئمّة (اثنا عشر)، وأترک للقارىء المحترم مراجعة الروایات الأُخری الکثیرة الطرق التی یشدّ بعضها بعضاً.

کثرة الروایات التی مفادها أنّ الأئمّة اثنا عشر

۱- روی الکلینی بسند صحیح عن علیّ بن إبراهیم، عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، عن سعید بن غزوان، عن أبی بصیر، عن أبی جعفر (ع) قال: «یکون تسعة أئمّة بعد الحسین بن علیّ، تاسعهم قائمهم» (۴).

۱- الکافی، ج ۱، ص ۵۲۵.

۲- المصدر نفسه، ص ۲۸۶.

۳- المصدر نفسه، ص ۴۳۹.

۴- المصدر نفسه، ص ۵۳۳، أمّا السند إلی ابن أبی عمیر فواضح، وکلّهم ثقات، وسعید بن غزوان وثّقه النجاشی، قال: «سعید بن غزوان الأسدی مولاهم، کوفی، روی عن أبی عبد الله ۷، ثقة». رجال النجاشی، ص ۱۸۱.

ص: ۲۶۱

۲- ما رواه أیضاً بسند صحیح عن محمّد بن یحیی، عن أحمد بن محمّد بن عیسی، عن الحسن بن محبوب، عن إسحاق بن غالب، عن أبی عبدالله الصادق (ع) من کلام یذکر فیه الأئمّة- إلی أن قال-: «فلم یزل الله یختارهم لخلقه من وُلد الحسین من عقب کلّ إمام، کلّما مضی منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماماً وعلماً هادیاً ...» (۱).

۳- وروی أیضاً بسند صحیح عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد البرقی، عن أبی هاشم داود بن القاسم الجعفری، عن أبی جعفر الثانی (ع) قال: أقبل أمیر المؤمنین (ع) ومعه الحسن بن علیّ (ع) وهو متّکئ علی ید سلیمان، فدخل المسجد الحرام، فجلس؛ إذ أقبل رجل حسن الهیئة واللباس، فسلّم علی أمیر المؤمنین، فردّ (ع) فجلس، ثمّ قال: یا أمیر المؤمنین، أسألک عن ثلاث مسائل، إن أخبرتنی بهنّ علمت أنّ القوم رکبوا من أمرک ما قضی علیهم، وأن لیسوا بمأمونین فی دنیاهم وآخرتهم، وإن تکن الأُخری علمت أنّک وهم شرع سواء.

فقال له أمیر المؤمنین (ع): سلنی عمّا بدا لک، قال: أخبرنی عن الرجل إذا نام

۱- المصدر نفسه، ص ۲۰۳. أمّا السند ففی غایة الصحة؛ فإنّ محمّد بن یحیی هو العطّار. محمّد بن یحیی أبو جعفر العطّار القمّی، شیخ أصحابنا فی زمانه، ثقة، عین، کثیر الحدیث. رجال النجاشی، ص ۳۵۳؛ الخلاصة، العلّامة الحلّی، ص ۲۶۰. وأحمد بن محمّد هو: ابن عیسی الأشعری، وثّقه الشیخ فی رجاله، وقال العلّامة: «وأبو جعفر شیخ قم ووجهها وفقیهها غیر مدافع ... وکان ثقة» انظر: رجال الطوسی: ص ۳۵۱؛ الخلاصة، ص ۶۱.

ص: ۲۶۲

أین تـذهب روحه؟ وعن الرجـل کیف یـذکر وینسـی؟ وعن الرجل کیف یشـبه ولـده الأعمام والأخوال؟ فالتفت أمیر المؤمنین ۷ إلی الحسن، فقـال: یـا أبـا محمّـد أجبه، قال: فأجابه الحسن ۷ فقـال الرجـل: أشـهد أن لا إله إلّا الله ولم‌أزل أشـهد بها، وأشـهد أنّ محمّـداً رسول‌الله ولم أزل أشـهد بـذلک، وأشـهد أنّک وصـی رسول الله ۹ والقـائم بحجّته- وأشـار إلی أمیر المؤمنین- ولم أزل أشـهد بهـا، وأشـهد أنّک وصـیه والقائم بحجّته- وأشار إلی الحسن ۷- وأشـهد أنّ الحسـین بن علی وصـی أخیه والقائم بحجّته بعده، وأشهد علی علی بن الحسـین أنّه القائم بأمر الحسین بعده، وأشهد علی محمّد بن علی أنّه القائم بأمر علی بن الحسین، وأشهد علی جعفر بن محمّد بأنّه القائم بأمر محمّد، وأشـهد علی موسـی أنّه القائم بأمر جعفر بن محمّد، وأشهد علی علی بن موسی أنّه القائم بأمر موسی بن جعفر، وأشـهد علی محمّـد بن علی أنّه القائم بأمر علی بن موسـی، وأشـهد علی علی بن محمّـد بأنّه القائم بأمر محمّـد بن علی، وأشـهد علی الحسن بن علی بأنّه القائم بأمر علی بن محمّـد، وأشـهد علی رجل من ولـد الحسن، لا یکنّی ولا یسـمّی حتّی یظهر أمره فیملأها عـدلًا کما ملئت جوراً، والسلام علیک یا أمیر المؤمنین ورحمة الله وبرکاته، ثمّ قام فمضی.

فقـال أمیر المؤمنین: یـا أبـا محمّـد، اتّبعه فـانظر أین یقصـد، فخرج الحسن بن علیّ (علیهمـا السـلام)، فقـال: ما کان إلّا أن وضع رجله خارجـاً من المسـجد فمـا دریت أین أخـذ من أرض الله، فرجعت إلی أمیر المؤمنین (ع) فأعلمته، فقال: یا أبا محمّـد، أتعرفه؟ قلت: الله ورسوله وأمیر المؤمنین أعلم، قال: هو الخضر (ع)» (۱).

ثمّ ذکر روایـات کثیرة فی النصّ علیهم واحـداً فواحـداً، ابتـداءً بـأمیر المؤمنین (ع)، وانتهاءً بالقائم المهـدی بن الحسن العسـکری (ع)، بعدّة طرق، وهذا

۱- الکافی، ج ۱، ص ۵۲۶.

ص: ۲۶۳

كافٍ فی صحّتها باعتضاد الروایات الصحیحة التی ذکرناها سابقاً.

نتیجة ومقارنة

ممّا تقدّم یتّضح بجلاء أنّ مجمل الروایات التی رواها الکلینی رحمه الله فی «الکافی» والتی یظهر منها أنّ الأئمّة ثلاثة عشر ضعیفة سنداً، وأنّ هناک تصحیفاً طرأ علی هذه الروایات، وقد بیّنا أصل هذه الروایات، ونقلنا شروحها، واتّضح المقال فیها.

ثمّ نقلنا بعض الروایات الصحیحة بلفظ «الأئمّة الاثنی عشر والنصّ علیهم»، وأبواب التأریخ التی ذکرت ولادتهم وحصرهم باثنی عشر إماماً؛ ولکثرتها وتعدّد طرقها أعرضنا عن نقلها جمیعاً.

وهناک روایات متواترة فی کتبنا الأُخری، کالتی ذکرها الصدوق وعقد لها أبواباً وفصولًا فی کتابه «کمال الدین وتمام النعمة»، وفی کتابه «الخصال»، وکذلک ذکر الخزّاز القمّی کتاباً بعنوان «کفایة الأثر فی النصّ علی الاثنی عشر» وذکر أکثر من ثلاثین طریقاً لإثبات النصّ علی الأئمّة الاثنی عشر.

بطلان دعوی أنّ هناک فرقة من الشیعة تقول: إنّ الأئمّة ثلاثة عشر

قال القفاری:

«والقول بأنّ الأئمّة ثلاثة عشر قامت فرقة من الشیعة تقول به، ولعلّ تلک النصوص من آثارها، وقد ذکر هذه الفرقة الطوسی فی ردّه علی من خالف الاتّجاه الاثنی عشری» (۱).

الجواب علی هذا الادّعاء:

إنّ هذا غیر صحیح البتّة، فلا توجد «فرقة» للشیعة تقول بهذا الکلام، إلّا

۱- أصول مذهب الشیعة، ج ۲، ص ۸۰۹.

ص: ۲۶۴

هبة الله بن أحمد حفید العمری. وقد قال عنه النجاشی: «کان یتعاطی الکلام وحضر مجلس أبی الحسین بن أبی شیبة العلوی الزیدی المذهب، فعمل له کتاباً، وذکر أنّ الأئمّة ثلاثة عشر مع زید بن علیّ بن الحسین، واحتجّ بحدیث فی کتاب سلیم بن قیس الهلالی أنّ الأئمّة اثنا عشر من ولد أمیر المؤمنین (ع)» (۱).

وهذا الرجل (هبة الله بن أحمد العمری) قال عنه التستری فی «قاموسه»:

«الظاهر أنّ الرجل إمامی غیر ورع، أراد استمالة جانب ابن أبی شیبة الزیدی بدرج زید فی الأئمّة (علیهم السلام)، لا أنّه زیدی، وکیف یکون زیدیّاً والزیدی لا یری إمامة السجّاد (ع) ومن بعده؛ لأنّهم یشترطون فی الإمامة الخروج بالسیف» (۲).

الأئمّة ثلاثة عشر فی کتاب سلیم بن قیس

أمّا ما ورد فی «کتاب سلیم بن قیس الهلالی» أنّ الأئمّة اثنا عشر من ولد أمیرالمؤمنین (ع).

الجواب:

إنّ الشیخ التستری أیضاً أجاب عن هذه الشبهة قائلًا:

«قلت: نسخ کتاب سلیم مختلفة بالزیادة والنقصان شدیداً، والخبر الذی قال هبة الله وإن لم یک فی ما وصل إلینا من نسخته ... والصواب فی الجواب: ما تقدّم فی «سلیم» عن المفید: أنّ الکتاب دسّ فیه، فالعمل منه بما لم یقم علی صحّته شاهد غیر جائز» (۳).

۱- رجال النجاشی، ص ۴۴۰.

۲- قاموس الرجال، ج ۱۰، ص ۴۹۹.

۳- قاموس الرجال، ج ۱۰، ص ۵۰۰.

ص: ۲۶۵

إذن لا توجد هناك «فرقة» تقول بأنّ الأئمّة ثلاثة عشر؛ ولكن القفارى أراد أن يوهم القارئ بذلك فنسب إلى الشيخ الطوسى زوراً أنّه قال بهذه الفرقة، وأوهم أيضاً أنّ النجاشى قال بذلك؛ فى حين أنّ النجاشى ذكر ترجمته، وقال: إنّه يقول بذلك ولم يتطرّق بكلامه حول هذه الفرقة إطلاقاً. وحسب تتبعنا لم نجد فى مصادرنا الشيعيّة من يقول بأنّ هناك فرقة من الشيعة تقول بذلك.

دعوى التواتر فى من يرى أنّ الأئمّة ثلاثة عشر دعوى كاذبة

قال القفارى:

«وكلّ فرقة من هذه الفرق تدّعى أنّها على الحقّ، وأنّ الخبر فى تعيين أئمّتها متواتر، وتبطل ما ذهبت إليه الفرق الشيعيّة الأُخرى، وهذا دليل على أنّهم ليسوا على شىء، إذ لو تواتر خبر إحدى فرقهم لم يقع الاختلاف قط بينهم» (۱).

الجواب:

أوّلًا: لا توجد فرقة تقول بأنّ الأئمّة ثلاثة عشر حتّى يترتّب عليها القول بأنّها على الحقّ؛ بل إنّ تصوير هذا الأمر بأنّ هناك فرقة ادّعت التواتر هو من مخيّلة القفارى ليس إلّا!! وهذا تدليس وتحريف تمجّه العقول التى تطلب الحقيقة، فأين التواتر المزعوم؟!

وثانياً: إنّ التواتر التى تدّعيه الشيعة الإماميّة هو أنّ الأئمّة اثنا عشر، ومذهبهم قائم على هذه الحقيقة، وكتبهم تنصّ على عددهم وكذلك أسمائهم، فالمسألة فوق التواتر، بل إنّها باتت من المسلّمات عند غير مذهب الشيعة، وقد أشرنا إلى ذلك فى مقدّمة هذا البحث لما ذكره أعلام أهل السنّة الذين ترجموا

۱- أصول مذهب الشيعة، ج ۲، ص ۸۱۱.

ص: ۲۶۶

لأئمّة الشيعة (عليهم السلام)، وقالوا بصراحة: إنّهم من الأئمّة الاثنى عشر، ولم نجد أحداً قد خالف منهم، وقال: إنّ الأئمّة ثلاثة عشر.

وهذا دليل على تسالمهم فى هذه المسألة.

وأيضاً تقدّم فى البحوث السابقة التفصيل فى ذكر الأدلّة والروايات الصحيحة من الفريقين على أنّ الأئمّة اثنا عشر.

ثمّ إنّ فرض الاختلاف بين الفرق ليس بالضرورة يبطل كلا الفرقتين، فخلق التعارض لا يسقطهما معاً؛ ومعلوم بالبداهة أنّ هناك فرقاً كثيرة من أهل السنّة تدّعى التواتر فى إثبات صحّة فرقتها، بل تقول بتواترها وتبطل الدعاوى الأُخرى.

إذن دعوى التعارض بين تواتر فرقة وفرقة أُخرى يبطل كلا التواترين، باطل لا يقول به أهل العلم والمعرفة.

فهذه الفرية التى صاغها الدكتور القفارى لا يمكن أن تنطلى على أحد، وهى من مفترياته التى أراد بها تشويه الحقيقة بأىّ أسلوب كان- وللأسف- ولو بافتراء الكذب، وقد تبيّن أنّ هناك إدراجاً للكلام وإضافةً على النصوص الأصليّة من القفارى، وقد تمّت الإشارة إليه، وهذا يدعو الإنسان المنصف أن يتأمّل بأقواله التى يلصقها بالغير بلا دليل موضوعى وعلمى.

شبهة حصر الأئمّة عند الشيعة بعدد معيّن لا يقبله العقل ومنطق الواقع

اشارة

قال القفارى:

«ومسألة حصر الأئمّة بعدد معيّن لا يقبلها العقل ومنطق الواقع؛ إذ بعد انتهاء العدد المعيّن هل تظلّ الأُمّة بدون إمام؟ ولذلك فإنّ عصر الأئمّة الظاهرين عند الاثنى عشريّة لا يتعدّى قرنين ونصف إلّا قليلًا.

ص: ۲۶۷

وقد اضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمّة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام، واختلف قولهم فى حدود النيابة ... وفى هذا العصر اضطرّوا للخروج نهائيّاً عن هذا الأصل الذى هو قاعدة دينهم، فجعلوا رئاسة الدولة تتمّ عن طريق الانتخاب ... لكنّهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع، فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعى» (۱).

بيان الشبهة

إنّ حصر الأئمّة بعدد معيّن غير منطقى؛ لأنّ أعمار الأئمّة- باستثناء المهدى- لايتجاوز القرنين والنصف بينما الحياة أكبر من هذا الزمان بلا شكّ.

ومن هنا اضطرّوا إلى نظريّة نيابة المجتهد- فكلّ مجتهد يكون إماماً- ثمّ فى هذا العصر تنازل الشيعة عن الاعتقاد بعدد معيّن، فجعلوا الرئاسة لشخص ومجتهد بعينه من خلال الانتخاب، وهكذا صار حصر العدد ليس مطلوباً، بل نوع الحصر متحقّق، وهو يكفى عندهم.

أساسيّات الشبهة

۱- إنّ مسألة حصر الأئمّة بعدد معيّن خلاف العقل والواقع؛ لأنّه بعد انتهاء العدد تبقى الأُمّة بدون إمام، وهذا خلاف اعتقادات الشيعة الإماميّة.

۲- لذا اضطرّ الشيعة إلى نيابة الفقيه، خروجاً من حصر العدد إلى الحصر النوعى.

۳- ثمّ قاموا بتأسيس الحكومة بولاية ورئاسة الفقيه فى هذا العصر.

۴- ثمّ اختلفوا فى حدود نيابة الفقيه.

۱- أُصول مذهب الشيعة، ج ۲، ص ۸۱۴.

ص: ۲۶۸

الجواب

إنّ العقل والواقع يشهدان بقبول هذه الحقيقة لا العكس؛ لأنّ العقل والواقع لا يمكن أن يتجاوزا الشرع، فهما يسيران بخطّين متوازيين، ولا يمكن أن يتقاطعاً إطلاقاً، والشيعة تسير ضمن مقرّرات الشريعة المحمّديّة الأصيلة؛ لذا فإنّ اعتقادهم بالأئمّة الاثنى عشر- أوّلهم الإمام عليّ (ع) وآخرهم الإمام المهدى (عج)- قد جاء على أثر النصوص الشرعيّة الصحيحة من الفريقين، التى لا يمكن لمسلم أن يتجاوز مضامينها، فهى حجّة عليه، كحديث «الاثنى عشر من قريش»، وحديث الثقلين «إنّى تارك فيكم الثقلين .. كتاب الله وعترتى أهل بيتى»، وحديث «من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهليّة»، وغيرها من الأحاديث التى تنصّ على هذه الحقيقة.

وما ذكره من السبب لعدم قبول العقل والواقع لهذه المسألة بقوله:

«إذ بعد انتهاء العدد المعيّن هل تظلّ الأُمّة بدون إمام؟»

فهذا الفرض باطل؛ لأنّ الشيعة تعتقد بأنّ هناك إماماً حيّاً بين أظهرها، ولكنّه غائب يمارس مهامّ الإمامة بمعنى من معانيها، إذن ما فرضه من هذه المقدّمة غير تام.

ولعلّ الذى حدا به للقول بهذا الأمر هو النظر إلى استحالة طول العمر الذى اعتاد العرف أن يراه محدوداً بسنين قصيرة.

وهذا الفرض غير منتج؛ لأنّ مسألة طول عمر الإمام المهدى (عج) قد تقدّم الجواب عنها مفصّلًا فى الردّ على شبهة «استبعاد بقاء الإمام حيّاً كلّ هذه السنين» وثبت طول العمر عقلًا ونقلًا، فراجع.

اضطرار الشيعة للقول بنيابة المجتهد

ص: ۲۶۹

أمّا قوله: «وقد اضطرّ الشّيعة للخروج عن حصر الأئمّة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام، واختلف قولهم فى حدود النيابة ...».

نقول: إنّ الشيعة لم تضطرّ للخروج عن حصر العدد؛ بل الشيعة تقول: إنّ عدد الأئمّة ينتهى بالإمام المهدى (عج)، وهو حىّ غائب، وهو الإمام الثانى عشر، كما هو معلوم من النصوص المتقدّمة، والتى لا تطبيق صحيح لها سوى ما تقوله المدرسة الإماميّة.

إذن هناك مغالطة واضحة، فالقفارى افتعل مسألة الاضطرار ليرتّب عليها مسألة النيابة، وهو باطل، وهذا واضح لكلّ من راجع عقائد الشيعة.

وأمّا مسألة النيابة: فهى مرتبطة بالغيبة الكبرى للإمام المهدى (عج)- بناءً على إيمان الشيعة وفق ما وجدوه من أدلّة تلزمهم بهذا الأمر؛ وليس من الضرورة أن يكون الطرف الآخر مقتنعاً بذلك، فلكلّ أدلّته، ولكلّ رؤيته فيما توصّل إليه من بيان الشريعة والسنّة النبويّة- وبيان الوظيفة الشرعيّة للمقلّد بعد قول الإمام (ع):

«أمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتى عليكم وأنا حجّة الله عليهم» (۱).

وقد رسم الأئمّة: للناس طريقاً يسيرون عليه فى أخذ دينهم، وهو التقليد، يقول الإمام الحسن العسكرى (ع): «فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه» (۲).

حدود نيابة الفقيه وقيام الدولة الإسلاميّة

۱- كمال الدين وتمام النعمة، ص ۴۸۴؛ الغيبة، الشيخ الطوسى، ص ۲۹۱؛ وسائل الشيعة، ج ۲۷، ص ۱۴۰.

۲- وسائل الشيعة، ج ۱۸، صص ۹۴ و ۹۵؛ الاحتجاج، ج ۲، ص ۲۶۴.

ص: ۲۷۰

واختلف فقهاء الشيعة فى هذه النيابة، فهناك من يرى أنّ ولاية الفقيه محدودة وجزئيّة فى أُمور معيّنة، وهناك من يرى الولاية المطلقة للفقيه، فهى أنظار اجتهاديّة، خاضعة لموازين وأدلّة فقهيّة، فكلّ فقيه له أدلّته التى استنبطها من وحى الشريعة.

ومن يؤمن بالولاية المطلقة للفقيه يؤمن بإقامة الدولة الإسلاميّة فى زمن الغيبة، قال الإمام الخمينى (رحمة الله) فى كتابه «الحكومة الإسلاميّة»:

«إنّ خصائص الحاكم الشرعى لا يزال يعتبر توفّرها فى أىّ شخص مؤهّلًا ليحكم فى الناس، وهذه الخصائص- التى هى عبارة عن العلم بالقانون والعدالة- موجودة فى معظم فقهائنا فى هذا العصر، فإذا أجمعوا أمرهم كان فى ميسورهم إيجاد وتكوين حكومة عادلة» (۱).

فالسيّد الإمام الخمينى واضح كلامه فى أنّ الفقيه الجامع للشرائط- والتى منها: العلم بالقانون والعدالة- له أهليّة أن يقيم دولة إسلاميّة عادلة، وللفقهاء الآخرين أن يأخذوا بيده ويعضدوه فى إقامة هذا الحكم الإسلامى؛ لأنّه يعتبر ضرورة فى زمن الغيبة الكبرى.

أمّا قوله:

«جعلوا رئاسة الدولة تتمّ عن طريق الانتخاب، وذلك بتحديد جملة من المواصفات والمؤهّلات التى تعيّن الرئيس بالنوع، وهو الفقيه الشيعى ...».

فنقول: إنّ جعل رئاسة الدولة عن طريق الانتخاب لا يلغى الاعتقاد بمحدوديّة عدد الأئمّة؛ لأنّ كون الفقيه الجامع للشرائط حاكماً لا يعنى كونه

۱- الحكومة الإسلاميّة، الإمام الخمينى، صص ۴۸ و ۴۹.

ص: ۲۷۱

إماماً معصوماً، بل هو نائب عن الإمام فی إدارة الدولة، ویبدو أنّ القفاری وفق اعتقاداته الخاطئة لا یمیّز بین الإمام والرئیس، فهو لا یفهم الإمامة إلّا فی معنی رئاسة الدولة، وهکذا یتّضح أنّ الاعتقاد بعدد الأئمّة باق فی عقیدة الشیعة ولم یتخلّ عنه، وأنّ الإمامة لم تنقطع حتّی مع غیاب الإمام المهدی (عج) لأنّنا نعتقد بأنّه یمارس الإمامة، وهو غائب.

شبهة کتمان وسرّیّة مبدأ الإمامة وعدم تعیین أشخاص الأئمّة

اشارة

قال القفاری: «إذا کانت الولایة صنو (۱) النّبوّة أو أعظم، فلماذا تکون سرّیّة مُحاطة بالکتمان، حتّی أنّ رسول الله (ص)- والذی أمره الله أن یبلّغ ما أنزل إلیه- یخفی أمرها ویسرّها إلی علیّ، ثمّ یسرّها علیّ إلی من شاء؟!

ولا تحدّد هذه الروایة الأشخاص الذین أسرّها علیّ إلیهم ... وتترک الأمر لمشیئته یختار ما یرید، أمّا غیر علیّ فلا خیرة له فی الاختیار! فکیف تکون الولایة التی هی أصل النجاة عندهم، وأساس قبول الأعمال، والفیصل بین الإیمان والکفر، کیف تظلّ سرّیّة حتّی یتولّی نشرها ولد کیسان؟!» (۲).

بیان الشبهة

إنّ أمر الإمامة التی تدّعی الشیعة أنّها الفصل بین الإیمان والکفر، وأنّها

۱- الصنو: الأخ الشقیق والعمّ والابن. والصنو: المثل. لسان العرب، ج ۱۴، ص ۴۷۰ «صنو».

۲- أُصول مذهب الشیعة، ج ۲، ص ۷۹۹، وأُنظر: ص ۸۰۸، فقد کرّر نفس الکلام، والغریب أنّ منهج القفاری یعتمد علی خلط الکلام بعضه بالبعض الآخر، بلا وجه مناسبة، فنجده یقفز علی المنهج الموضوعی والعلمی، فمثلًا: عندما یتحدّث عن (سرّیّة مبدأ الإمامة) فی ص ۸۰۸ نجده فی نفس الصفحة یتحدّث عن (البداء) فأین البداء من سرّیّة مبدأ الإمامة؟!

ص: ۲۷۲

النجاة عندهم، قد أُحيطت بسرّيّة بالغة وكتمان شديد، فلو كانت أمراً مهمّاً وصنواً للنبوّة، فلماذا كانت متّسمة بهذا الخفاء، بحيث يتولّى نشرها ولد كيسان؟! حتّى أنّهم قد أخفوا أسماء أئمّتهم، فهذا كلّه يدلّ على أنّ فكرة الإمامة باطلة من أساسها، وبالتالى يستلزم ذلك إسقاط روايات الشيعة التى تدلّ على عددهم.

مرتكزات الشبهة

لقد اعتمد القفارى فى هذه الشبهة على عدّة روايات، ثمّ استنتج بحدسه وذهنيّته أنّ أمر الإمامة كانت سرّيّة، ومن ثمّ يرتّب على ذلك أنّ عليّاً (ع) لم يعيّن عدد الأئمّة الذين يلونه. والروايات هى ما يلى:

۱- ما رواه الكلينى فى «الكافى»، قال أبو جعفر الصادق (ع): «ولاية الله أسرّها إلى جبرائيل، وأسرّها جبرائيل إلى محمّد، وأسرّها محمّد إلى علىّ، وأسرها علىّ إلى من شاء الله، ثمّ أنتم تذيعون ذلك! من الذى أمسك حرفاً سمعه؟!

قال أبو جعفر: «فى حكمة آل داود: ينبغى لمسلم أن يكون مالكاً لنفسه، مقبلًا على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، فاتّقوا الله ولا تذيعوا حديثنا» (۱).

۲- وكذلك ما رواه الكلينى: «.. ولا تبثّوا سرّنا، ولا تذيعوا أمرنا» (۲).

۳- فى حديث آخر أُسند إلى أبى جعفر (ع) ويقول: «المذيع حديثنا كالجاحد له» (۳).

۱- الكافى، ج ۲، ص ۲۲۴.

۲- الكافى، ج ۲، ص ۲۲۲.

۳- المصدر نفسه، ص ۳۷۰.

ص: ۲۷۳

۴- وقالوا: «إنّ أمرنا مستور مقنّع بالميثاق، فمن هتك علينا أذلّه الله» (۱).

۵- وتحدّد بعض نصوصهم إذاعة أمر الولاية ... على يد طائفة الكيسانيّة، فتقول: «ما زال سرّنا مكتوماً حتّى صار فى يد ولد كيسان» (۲).

هذه مجمل الروايات التى نقلها القفارى، والتى يثبت من خلالها سرّيّة وكتمان أمر الإمامة.

فإذن لابدّ من دراسة هذه الروايات، وفهم المراد من الكتمان والسرّ فيها، ثمّ بعد ذلك الحكم بصحّة هذه الدعوى أو بطلانها، فنحاول أن نفهم هذه الروايات بموضوعيّة دون أن نلوى عنق الروايات بما ينسجم مع فكرة مبتدعة لا أصل لها، قد تكون مجرّد دعوى، وما أكثر الدعاوى.

الجواب

۱- إنّ أمر الإمامة ليس فيه خفاء أو كتمان كما ادّعاه القفارى، كيف ذلك ورسول‌الله (ص) قد أولى هذا الأمر من الأهميّة والتدبير له منذ أوّل يوم دعا فيه إلى الإسلام، وأوّل يوم أخذ فيه البيعة لإقامة المجتمع الإسلامى، فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عبادة بن الصامت، قال: «بايعنا رسول الله [(ص)] على السمع والطاعة فى المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله» (۳).

فعدم منازعة «الأمر» إشارة إلى «الإمامة» فى هذا الحديث الصحيح، والذى نجدهم قد تنازعوا عليه فى سقيفة بنى ساعدة.

۲- قد عيّن صلوات الله عليه «ولىّ الأمر» يوم دعا الأقربين إليه للإسلام،

۱- المصدر نفسه، ص ۲۲۷.

۲- المصدر نفسه، ص ۲۲۵.

۳- صحيح البخارى، ج ۸، ص ۱۲۲؛ صحيح مسلم، ج ۶، ص ۱۶.

ص: ۲۷۴

لمّا نزلت هـذه الآيـة على رسول الله (ص): وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (الشعراء: ۲۱۴)، وكانت هـذه الدعوة فى السـنة الثالثة من البعثة، وهى أوّل مرّة أظهر فيها الرسول الدعوة إلى الإسلام، وشخّص فيها الإمام من بعده وعرّفه للأقربين إليه (۱).

۳- أعلن رسول الله (ص) هـذا الأمر فى حجّة الوداع فى الثامن عشـر من ذى الحجّة، وكان معه من الصـحابة والأعراب وممّن يسـكن حول مكّة والمدينة مائة وعشـرون ألفاً (۲)، وهم شـهدوا معه حجّة الوداع، وسـمعوا منه حـديث الغدير: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه» وهذا الحديث فى أعلى مراتب الصـحّة، فضلًا عن كونه متواتراً، كما صرّح بذلك الذهبى فى سير أعلام النبلاء (۳)، وابن حجر المكّى فى الصواعق المحرقة (۴)، والفقيه ضياء الدين المقبلى (۵).

۴- أكّد رسول الله (ص) أمر ولاية علىّ بن أبى طالب فى قضيّة جيش اليمن عندما بعث (ص) سريّتين إلى اليمن، وكان على إحداها علىّ بن أبى طالب (ع)، وعلى الثانية خالد بن الوليد، فظفروا بالعدو وأصابوا غنائم، فأخذ علىّ (ع)

۱- فى حـديث الـدار أو حديث الإنذار، دعا رسول الله ۹ رجال عشـيرته، ودعاهم إلى الإسلام، فعن علىّ ۷ قال: «لمّا نزلت هـذه الآية: وَأَنـذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ فقال: يا علىّ، إنّ الله يأمرنى أن أنـذر عشـيرتى ... قال: فأخـذ برقبتى وقال: إنّ هـذا أخى ووصـيّى وخليفتى فيكم، فاسـمعوا له وأطيعوا». روى هذا الحديث بأسانيد صحيحة، روى أحمد قريباً منه فى مسنده، ج ۱، ص ۱۱۱؛ وأخرجه الطبرى فى تاريخه، ج ۲، ص ۶۳؛ والحافظ النسائى فى الخصائص، صـص ۸۶ و ۸۷؛ وقال الهيثمى فى زوائـده: رواه أحمـد، ورجاله ثقات، ج ۸، ص ۳۰۲.

۲- تذكرة الخواصّ، سبط ابن الجوزى، ص ۳۷.

۳- قال الذهبى: «هذا حديث حسن عال جدّاً، ومتنه متواتر». سير أعلام النبلاء، ج ۸، ص ۳۳۵.

۴- وقال ابن حجر: «إنّه حـديث صـحيح لا مريـة فيه، وقـد أخرجه جماعـة كالترمذى والنسائى وأحمد وطرقه كثيرة جدّاً، ومن ثمّ رواه ستّة عشر صحابيّاً .. ولا التفات لمن قدح فى صحّته» الصواعق المحرقة، ج ۱، صص ۱۰۶ و ۱۰۷.

۵- وقال الفقيه القبلى: «إن لم يكن هـذا معلوماً فما فى الـدين معلوم؟!» هدايـة العقول إلى نهاية السؤول، عن كتاب الغدير للأمينى، ج ۱، ص ۳۱۴.

ص: ۲۷۵

جاریهٔ من السبی، فلم یرقّ ذلک لخالد وأصحابه، فشکوه إلی رسول الله (ص)، فردّهم رسول الله (ص) أنّه یستحقّ ذلک، وهو ولیّکم، ومن له الأمر من بعدی.

أخرج أحمد فی المسند وغیره عن بریدهٔ، قال: «بعث رسول الله (ص) بعثین إلی الیمن، علی أحدهما علیّ بن أبی طالب، وعلی الآخر خالد بن الولید، فقال: «إذا التقیتم فعلیٌّ علی الناس، وإن افترقتما فکلّ واحد منکما علی جنده»، فلقینا بنی زید (زبید) من أهل الیمن فاقتتلنا، فظهر المسلمون علی المشرکین، فقتلنا المقاتلهٔ وسبینا الذرّیّهٔ، فاصطفی علیّ امرأهٔ من السبی لنفسه، قال بریدهٔ: فکتب معی خالد بن الولید إلی رسولالله (ص) یخبره بذلک، فلمّا أتیت النبیّ (ص) دفعت الکتاب، فقرئ علیه، فرأیت الغضب فی وجه رسول الله (ص)، فقلت: یا رسول الله، هذا مکان العائذ، بعثتنی مع رجل وأمرتنی أن أطیعه، ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول الله (ص): «لا تقع فی علیّ، فإنّه منّی وأنا منه، وهو ولیّکم بعدی، وإنّه منّی وأنا منه، وهو ولیّکم بعدی» (۱).

وقال حمزهٔ أحمد الزین فی حکمه علی الحدیث: «إسناده صحیح» (۲).

۵- أشار رسول الله (ص) فی حدیث الثقلین المتواتر والصحیح- الذی ورد ذکره فی صحیح مسلم، وصحّحه الحاکم والذهبی، وابن کثیر فی «تفسیره»، والبغوی فی «المصابیح»، والألبانی فی «الأحادیث الصحیحهٔ» وغیرهم (۳)، وکذلک فی حدیث المنزلهٔ (۴)، وغیرها من الأحادیث (۵)- إلی ولایهٔ علیّ بن أبی

۱- مسند أحمد بن حنبل، ج ۵، ص ۳۵۶.

۲- المصدر نفسه، ج ۱۶، ص ۴۸۶.

۳- صحیح مسلم، ج ۷، صص ۱۲۲ و ۱۲۳؛ المستدرک علی الصحیحین، ج ۳، ص ۱۰۹؛ تفسیر ابن کثیر، ج ۴، ص ۶۲۲؛ مصابیح السنهٔ، ج ۲، ص ۲۰۵، الأحادیث الصحیحهٔ، الألبانی، ص ۱۷۶۱.

۴- حدیث المنزلهٔ رواه أکثر من عشرین صحابیّاً وصحابیهٔ، وخرّجه أکثر من أربعین عالماً، رواه البخاری فی صحیحه: ج ۴، ص ۲۰۸؛ وفی صحیح مسلم: ج ۷، ص ۱۲۰، وقال الشیخ محمّد جعفر الکتانی بما نصّه: «حدیث .. متواتر جاء عن نیف وعشرین صحابیاً»؛ نظم المتناثر فی الحدیث المتواتر، ص ۱۹۵. وقال ابن عبدالبر فی الاستیعاب: «هو من أثبت الآثار وأصحّها». الاستیعاب، ج ۳، ص ۱۰۹۷.

۵- کحدیث الرایهٔ والسفینهٔ والمؤاخاهٔ وحدیث تبلیغ سورهٔ براءهٔ وحدیث سدّ الأبواب وحدیث باب حطّهٔ.

ص: ۲۷۶

طالب (ع).

إذن هل يعقل بعد كلّ هذه النصوص الصحيحة والمتواترة- مع وضوح دلالتها- والتى قد نطق وبلّغ بها رسول الله (ص) أُمّته- أن يخرج علينا القفارى بادّعاء أنّ أمر الإمامة سرّى ومحاط بالكتمان؟!

سرّيّة الإمامة بسبب الخوف من السلطة

أمّا الروايات التى تمسّك بها القفارى فالتفسير الصحيح لها هو أنّ لسانها يتحدّث على أنّ أمر الإمامة ليس خافياً وسرّيّاً، بل الحديث عنه فى الظرف الذى يعيشه الأئمّة أمام السلطة الحاكمة آنذاك لابدّ أن يكون سرّيّاً؛ خوفاً على حياتهم من القتل وكذلك على شيعتهم، بحيث وصل الأمر إلى أنّ الحسن البصرى لا يذكر اسم علىّ (ع) خوفاً من القتل.

روى المزى عن الحسن البصرى، عن يونس بن عبيد، قال: «سألت الحسن، قلت: يا أبا سعيد إنّك تقول: قال رسول الله (ص) وإنّك لم تدركه؟ قال: يابن أخى، لقد سألتنى عن شىء ما سألنى عنه أحد قبلك، ولولا منزلتك منّى ما أخبرتك، إنّى فى زمان كما ترى- وكان فى عمل الحجّاج-، كلّ شىء سمعتنى أقول: قال رسول الله (ص)، فهو عن علىّ بن أبى طالب، غير أنّى فى زمان لا أستطيع أن أذكر علياً» (۱).

۱- تهذيب الكمال، ج ۶، ص ۱۲۴.

ص: ۲۷۷

وكذلك نجد الشعبى يقول: «ما لقينا من علىّ بن أبى طالب إن أحببناه قتلنا، وإن أبغضناه هلكنا» (۱).

وينقل لنا الطبرى فى «تأريخه» عن المغيرة أنّه يقول لصعصعة بن صوحان: «إيّاك أن يبلغنى عنك أنّك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإيّاك أن يبلغنى عنك أنّك تظهر شيئاً من فضل علىّ علانية، فإنّك لست بذاكر من فضل علىّ شيئاً أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً ممّا أُمرنا به، ونذكر الشىء الذى لا نجد منه بدّاً، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا، فإن كنت ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك فى منازلكم سرّاً، وأمّا علانية فى المسجد فإنّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا» (۲).

بل تجاوز الأمر هذا الحدّ بكثير حتّى أصبح الرجل يخشى حتّى وهو فى المنام- فى عالم الرؤيا- أن يتّهم بالقرب من علىّ (ع).

فقد روى الخطيب عن الفتح بن شخرف، قال: «حملتنى عينى فنمت، فبينا أنا نائم إذا أنا بشخصين، فقلت للذى يقرب منّى: من أنت يا هذا؟ فقال لى: من ولد آدم. قلت: كلّنا من ولد آدم، قلت: فما الذى وراءك؟ قال لى: علىّ بن أبى طالب، قال: قلت له: أنت قريب منه ولا تسأله؟! قال: أخشى أن يقول الناس: إنّى رافضى!» (۳).

إذن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا فى أجواء يشاع فيها القتل وسفك دمائهم ودماء شيعتهم، قال القرطبى:

«فقد صدر عنهم [بنى أُميّة] من قتل أهل بيت رسول الله (ص)، وسبيهم وقتل

۱- النصائح الكافية، محمّد بن عقيل، ص ۱۵۳.

۲- تاريخ الطبرى، ج ۴، ص ۱۴۴؛ وكذلك ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج ۳، ص ۴۳۰.

۳- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادى، ج ۱۲، ص ۳۸۲.

ص: ۲۷۸

خيـار المهاجرين والأنصار بالمدينـة وبمكّـة وغيرهما، وغير خاف ما صـدر عن الحجّاج وسـليمان بن عبـد الملك وولـده، من سـفك الـدماء وإتلاف الأموال، وإهلاك الناس بالحجاز والعراق وغير ذلك. وبالجملـة، فبنو أُميّـة قابلوا وصيّة النبيّ (ص) فى أهل بيته وأُمّته بالمخالفة والعقوق، فسـفكوا دماءهم، وسـبوا نساءهم، وأسـروا صـغارهم، وخرّبوا ديارهم، وجحدوا شرفهم، واستباحوا لعنهم وشتمهم، فخـالفوا رسول الله (ص) فى وصيّته، وقابلوه بنقيض قصـده وأُمنيته، فوا خجلهم إذا وقفوا بين يـديه، ويا فضـيحتهم يوم يعرضون عليه» (۱).

أمّا أمر الإمامة فالنصوص التى ذكرناها كانت ترنّ فى آذانهم، ولا يمكن لعاقل أن يدّعى أنّها كانت محاطة بالسرّية والكتمان.

ومن البديهى أن يكون الحديث بإمامتهم فى ذلك الظرف محاطاً بالكتمان والسريّة، فكان المبرّر يدعو إلى ذلك.

التحريف فى مضامين الروايات

وبعد بيان المعنى المراد إجمالًا لابدّ من دراسة الروايات المذكورة بشكل دقيق، فنقول:

۱- رواية الكلينى (رحمة الله): «ولاية الله أسرّها إلى جبرائيل، وأسرّها جبرائيل ...».

ما هو المراد من كلمـة (أسـرّها)؟ وهل أنّ الله جلّ وعلا يمكن أن يطرأ على ذاته المقدّسـة خوف حتّى يُخفى هذا الأمر على جبرائيل؟ وكذلك الأمر بالنسبة إلى جبرائيل، فهل هناك داع لكى يسرّها إلى النبيّ (ص)؟ إذاً لابدّ من فهم كلمة

۱- التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبى، ص ۵۶۳.

ص: ۲۷۹

«أسرّ» وعلی ضوئها یتمّ فهم دلالة هذه الروایة.

فنقول: إنّ کلمة «أسرّ» معناها «الظهور» فی اللغة، قال فی مقاییس اللغة عن أبی‌عبید: «قرأ: وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ (یونس: ۵۴) قال: أظهروها، وأنشد قول امرئ القیس: (لو یسرّون مقتلی) أی: لو یظهرون» (۱).

وکذلک فسّر البغوی هذه الآیة بالظهور، قال: «معناه أظهروا الندامة؛ لأنّه لیس ذلک الیوم یوم تصبّر وتصنّع» (۲).

فالسرّیة هنا- کما فی اللغة- بمعنی الظهور، ولایوجد هناک داع للسرّ فی هذا الأمر. نعم، یمکن أن یقال: السرّیة ناشئة من الظرف الذی هم فیه، فلابدّ أن یکون سرّیاً ومحاطاً بالکتمان؛ مخافة أن یقتلوهم وشیعتهم، کما نفهمه من ذیل هذه الروایة التی حذفها القفاری، أمّا صدرها فواضح فی ظهور أمر الإمامة العامّة کما تقدّم.

۲- أمّا الروایة الثانیة والثالثة: «... ولا تبثّوا سرّنا ولا تذیعوا أمرنا»، وکذا قوله (ع) «المذیع حدیثنا کالجاحد له».

نقول: واضح ممّا تقدّم أنّ إذاعة أمرهم فی ذلک الظرف یعود إلی الضرر علیهم وعلی شیعتهم، ولذلک نجد أنّ المعلّی بن خنیس (قُتل)؛ لأنّه أذاع أمر إمامتهم (علیهم السلام).

روی الکشّی بإسناده عن المفضّل، قال: «دخلت علی أبی عبد الله (ع) یوم

۱- مقاییس اللغة، أبو الحسین أحمد بن فارس، ج ۳، ص ۶۷.

۲- تفسیر البغوی، ج ۲، ص ۳۵۷؛ وکذلک البیضاوی فی تفسیره، ج ۳، ص ۲۰۳؛ ابن الجوزی فی زاد المسیر، ج ۴، ص ۳۹؛ وأُنظر: تفسیر النسفی، ج ۲، ص ۱۳۲.

ص: ۲۸۰

قتل فیه المعلّی، فقلت له: یابن رسول الله، ألا تری إلی هـذا الخطب الجلیل الـذی نزل بالشـیعة فی هذا الیوم؟ قال: «وما هو؟» قلت: قتل المعلّی بن خنیس، قال: «رحم الله المعلّی، قد کنت أتوقّع ذلک، إنّه أذاع سرّنا» (۱).

وقال المازنـدرانی معلّقاً علی هـذا الحـدیث: «وضـرر الإذاعة یعود إلی المذیع وإلی المعصوم وإلی المؤمنین، واعلم أنّه (ع) کان خائفاً من أعداء الدین علی نفسه المقدّسة وعلی شیعته، وکان فی تقیّة شدیدة منهم، فلذلک نهی عن إذاعة خبر دالّ علی إمامته وإمامة آبائه وأولاده الطاهرین» (۲).

إذن کتمان أمرهم لا علاقـة له بأمر الإمامـة العامّة التی نصّ علیها رسول الله (ص)، فأمر الإمامة العامّة شـیء، وإذاعة هذا الأمر خوفاً من السـلطة الحاکمـة من القتل شـیء آخر، فالروایة أجنبیّة، ولسانها یتحدّث عن الظرف الذی کانوا یحتاطون فیه خوفاً علی أنفسـهم وعلی شیعتهم.

۳- أمّا الروایة الرابعة: «إنّ أمرنا مستور مقنّع بالمیثاق، فمن هتک علینا أذلّه الله».

نقول: هـذه الروایـة لا تختلف فی مضـمونها عمّا سـبق، قال المازنـدرانی: «أی: أخذ الله عهداً علی المقرّین بأمرنا علی اسـتتاره وکتمانه علی المنکرین، فمن هتک علینا بإظهاره ... أذلّه الله لنقض عهده المتضمّن للإضرار علینا» (۳).

فالإضرار علیهم هو السبب فی کتمان هذا الأمر، وهذا الأمر لا علاقة له بإمامتهم العامّة (علیهم السلام).

۴- أمّا الروایة الخامسة: «ما زال سرّنا مکتوماً حتّی صار فی ید ولد

۱- بحارالأنوار، ج ۷۲، ص ۸۵.

۲- شرح أصول الکافی، ج ۱۰، ص ۳۳.

۳- شرح أصول الکافی، ج ۹، ص ۱۳۶.

ص: ۲۸۱

كيسان» التى يظهر منها أنّ الذى أخرج هذا السرّ «الإمامة» إلى العلن هم ولد كيسان.

نقول: هـذه الروايـة ضـعيفة؛ لأنّ فيها الربيع بن محمّـد المسـلمى، وهو مجهول، إذن فتأسـيس الكلام على روايـة ضـعيفة مخلّ بالمنهج العلمى، ولا يمكن قبوله بحال، وبهذا اندفع ما ارتكز عليه القفارى فى هذه الشبهة.

نعم، يبقى الكلام فى الرواية الأُولى التى استنتج منها أنّ أشخاص الأئمّة غير معلومى العدد، وإليك تفصيله.

بيان عدد الأئمة:

اشارة

شكّك القفارى فى الروايات التى نقلها من مصادرنا، كما تقـدّم فى الرواية الأُولى عن الكلينى (رحمة الله)، حيث قال: «ولا تحدّد هذه الرواية الأشخاص الذين أسرّها علىّ إليهم وتترك الأمر لمشيئته يختار ما يريد، أمّا غير علىّ فلا خيرة له فى الاختيار» (۱).

وقال فى ص ۸۱۲: «ليس هناك نصّ صحيح متواتر فى تعيين أئمّتهم ...».

نقول: إنّ عـدد الأئمّـة فى تراثنا الحديثى يكاد يكون متواتراً، فمذهبنا قائم على هذه الحقيقة، وقد حصـرته الروايات الصـحيحة وبطرق كثيرة بـاثنى عشـر إمامـاً، فليس الأمـر مقصوراً على هـذه الروايـة، فهنـاك روايـات شـخّصت لنـا عـددهم، وهناك روايات نصّت على أسمائهم الشريفة، وسوف نقسّم الروايات التى تشير إلى ذلك، وهى كالتالى:

القسم الأوّل: الروايات التى تنصّ على أنّ الأئمّة هم من ولد الحسين (ع)

وهذه الروايات- بهذا العنوان- تجيب على عدّة أسئلة، فهى من جهة تجيب

۱- أُصول مذهب الشيعة، ج ۲، ص ۷۹۹.

ص: ۲۸۲

على نقطة هى مركز التشكيك عند المشكّكين المدّعين عدم وجود نصّ على الأئمّة بعد الإمام الحسين (ع)، بينما هذه الروايات تعتبر نصّاً على العنوان- أى: أولاد الحسين- وأيضاً هى تحدّد نسب الأئمّة بعده وتحصرهم فى هذه الذريّة الطاهرة، فتنفى هذا المنصب عمّن ليس من هذه الذريّة بالخصوص، فكلّ من ادّعى الإمامة من غيرهم فادّعاؤه باطل، ولو كان هاشميّاً قرشيّاً، بل حتّى لو كان من أولاد أمير المؤمنين من غير نسل الحسين (ع).

وأيضاً هذه الروايات تدلّ بالدلالة الالتزاميّة على أنّهم من قريش، بل هى مفسِّرة لذلك الحديث المروى من طرق العامّة: «الاثنا عشر كلّهم من قريش».

ولهذا فما ورد من أنّ الأئمّة من قريش يكون مفسّراً بهذه الروايات، حيث إنّ من كان من أبناء الحسين فهو بالضرورة قرشىّ، وسيأتى البحث فيه.

وأمّا الروايات فهى كالتالى:

۱- ما رواه الشيخ الكلينى بسند صحيح عن علىّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى‌عمير، عن سعيد بن غزوان، عن أبى بصير، عن أبى جعفر (ع) قال: «يكون تسعة أئمّة بعد الحسين بن علىّ، تاسعهم قائمهم» (۱).

۲- وأيضاً ما رواه الشيخ الكلينى بسند صحيح عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن إسحاق بن غالب، عن أبى عبد الله الصادق (ع) من كلام يذكر فيه الأئمّة- إلى أن قال-: «فلم يزل الله تبارك وتعالى يختارهم لخلقه، من وُلد الحسين (ع)، من عقب كلّ إمام، يصطفيهم لذلك

۱- الكافى، ج ۱، ص ۵۳۳.

ص: ۲۸۳

ویجتبیهم، ویرضی بهم لخلقه ویرتضیهم، کلّما مضی منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماماً، علماً وهادیاً ...» (۱).

۳- وروی أیضاً عن الحسین بن محمّد، عن معلّی بن محمّد، عن الوشّاء، عن أبان، عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر (ع) یقول: «نحن اثنا عشر إماماً، منهم حسن وحسین، ثمّ الأئمّة من ولد الحسین (ع)» (۲).

۴- روی الشیخ الصدوق بسند صحیح عن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الولید، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمّد بن عیسی ومحمّد بن الحسین بن أبی الخطّاب والهیثم بن أبی مسروق النهدی، عن الحسن بن محبوب السرّاد، عن علیّ بن رئاب، عن أبی حمزة الثمالی، عن أبی جعفر (ع) قال: سمعته یقول: «إنّ أقرب الناس إلی الله عزّوجلّ وأعلمهم به وأرأفهم بالناس محمّد (ص) والأئمة (علیهم السلام)، فادخلوا أین دخلوا، وفارقوا من فارقوا- عنی بذلک حسیناً وولده (علیهم السلام)- فإنّ الحقّ فیهم، وهم الأوصیاء ومنهم الأئمّة، فأینما رأیتموهم فاتّبعوهم، وإن أصبحتم یوماً لا ترون منهم أحداً فاستغیثوا بالله عزّوجلّ، وانظروا السنّة التی کنتم علیها واتّبعوها، وأحبّوا من کنتم تحبّون، وأبغضوا من کنتم تبغضون، فما أسرع ما یأتیکم الفرج» (۳).

القسم الثانی: ما نصّ علی أسماء الأئمّة: جمیعاً

۵- روی الشیخ الکلینی بسند صحیح عن عدّة من أصحابنا (۴)، عن أحمد بن

۱- الکافی، ج ۱، ص ۲۰۳.

۲- المصدر نفسه، ص ۵۳۳.

۳- إکمال الدین وتمام النعمة، ص ۳۲۸.

۴- قال العلّامة فی الخلاصة: «قال الشیخ الصدوق: محمّد بن یعقوب الکلینی فی کتابه الکافی فی أخبار کثیرة عدّة من أصحابنا .. وقال: کلّما ذکرته فی کتابی المشار إلیه عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن خالد البرقی، فهم علیّ بن إبراهیم ..». ومعلوم أنّ علیّ بن إبراهیم (ثقة) عند جمیع أهل الرجال، خلاصة الأقوال: ص ۴۳۰، الفائدة الثالثة.

ص: ۲۸۴

محمّد البرقی (۱)، عن أبی هاشم داود بن القاسم الجعفری (۲)، عن أبی جعفر الثانی (ع) قال: «أقبل أمیر المؤمنین (ع) ومعه الحسن بن علی (ع) وهو متّکئ علی ید سلیمان، فدخل المسجد الحرام فجلس، إذ قبل رجل حسن الهیئة واللباس، فسلّم علی أمیر المؤمنین، فردّ علیه‌السلام فجلس، ثمّ قال: یا أمیر المؤمنین، أسألک عن ثلاث مسائل، إن أخبرتنی بهنّ علمت أنّ القوم رکبوا من أمرک ما قضی علیهم، وأن لیسوا بمأمونین فی دنیاهم وآخرتهم، وإن تکن الأُخری علمت أنّک وهم شرع سواء!

فقال له أمیر المؤمنین (ع): سلنی عمّا بدا لک.

قال: أخبرنی عن الرجل إذا نام أین تذهب روحه؟ وعن الرجل کیف یذکر وینسی؟ وعن الرجل کیف یشبه ولده الأعمام والأخوال؟

۱- قال النجاشی فی رجاله، ص ۷۶؛ الطوسی فی الفهرست، ص ۶۲: «کان ثقة فی نفسه» وقال العلّامة فی الخلاصة، ص ۶۳: «أبو جعفر، کوفی، ثقة».

۲- قال النجاشی، ص ۱۵۶؛ الطوسی، ص ۳۷۵ فی رجالهما: «کان عظیم المنزلة عند الأئمّة:، شریف القدر، ثقة».

ص: ۲۸۵

فالتفت أمیر المؤمنین (ع) إلی الحسن، فقال: یا أبا محمّد أجبه! قال: فأجابه الحسن (ع)، فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلّا الله ولم أزل أشهد بذلک، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله ولم أزل أشهد بذلک، وأشهد أنّک وصیّ رسول الله (ص) والقائم بحجّته- وأشار إلی أمیرالمؤمنین- ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنّک وصیّه والقائم بحجّته- أشار إلی الحسن-، وأشهد أنّ الحسین بن علیّ وصیّ أخیه والقائم بحجّته بعده، وأشهد علی علیّ بن الحسین أنّه القائم بأمر الحسین بعده، وأشهد علی محمّد بن علیّ أنّه القائم بأمر علیّ بن الحسین، وأشهد علی جعفر بن محمّد أنّه القائم بأمر محمّد، وأشهد علی موسی أنّه القائم بأمر جعفر بن محمّد، وأشهد علی علیّ بن موسی أنّه القائم بأمر موسی بن جعفر، وأشهد علی محمّد بن علیّ أنّه القائم بأمر علیّ بن موسی، وأشهد علی علیّ بن محمّد أنّه القائم بأمر محمّد بن علیّ، وأشهد علی الحسن بن علیّ أنّه القائم بأمر علیّ بن محمّد، وأشهد علی رجل من ولد الحسن [العسکری] لا یکنّی ولا یسمّی حتّی یظهر أمره، فیملأها عدلًا کما ملئت جوراً، والسلام علیک یا أمیر المؤمنین ورحمة الله وبرکاته، ثمّ قام فمضی.

فقال أمیر المؤمنین: یا أبا محمّد، اتّبعه فانظر أین یقصد؟ فخرج الحسین بن علیّ (ع)، فقال: ما کان إلّا أن وضع رجله خارجاً من المسجد، فما دریت أین أخذ من أرض الله، فرجعت إلی أمیر المؤمنین فأعلمته، فقال: یا أبا محمّد أتعرفه؟ قلت: الله ورسوله وأمیرالمؤمنین أعلم. قال: هو الخضر» (۱).

۶- روی الصدوق بسند صحیح عن عبد الله بن جندب (۲)، عن موسی بن

۱- الکافی، ج ۱، ص ۵۲۶.

۲- قال الشیخ الصدوق فی المشیخة فی کتاب من لا یحضره الفقیه، ج ۴، ص ۴۵۸: «ما کان فیه عن عبد الله بن جندب فقد رویته عن محمّد بن علیّ ماجیلویه، عن علیّ بن إبراهیم بن هاشم، عن أبیه، عن عبد الله بن جندب».

ص: ۲۸۶

جعفر (ع) أنّه قال: «تقول فی سجدة الشکر: اللّهمّ إنّی أُشهدک وأشهد ملائکتک وأنبیاءک ورسلک وجمیع خلقک أنّک [أنت] الله ربّی، والإسلام دینی، ومحمّداً نبیّی، وعلیّاً والحسن والحسین، وعلیّ بن الحسین، ومحمّد بن علی، وجعفر بن محمّد، وموسی بن جعفر، وعلیّ بن موسی، ومحمّد بن علیّ، وعلیّ بن محمّد، والحسن بن علیّ، والحجّة بن الحسن بن علیّ (علیهم السلام) أئمّتی، بهم أتولّی، ومن أعدائهم أتبرّأ» (۱).

فهذه الروایة تنصّ علی أسماء الأئمّة (علیهم السلام) فی سجدة الشکر عقیب کلّ صلاة، حیث یشهد المصلّی ربّه والملائکة والخلق بمجمل اعتقاداته التی ینبغی أن یلقاه بها، ومنها تولّیه للأئمّة الطاهرین من أهل البیت (علیهم السلام) وأنّه یتولّاهم، ویتبرّأ من أعدائهم، ولا یخفی الارتباط بین الصلاة وبین ذکر الأئمّة الهادین وفضلهم علی الخلق فی تعلیمهم معالم الدین.

وهناک روایات کثیرة قد بلغت المئات ذکرت هذه الحقیقة.

وذکر «الخزّاز القمّی» ثمانیة وثلاثین طریقاً فی النصّ علی الأئمّة الاثنی عشر وأسمائهم، حیث نقل عن أکثر من خمس وعشرین صحابیّاً وصحابیّة هذا المضمون، فالمسألة مستفیضة، ولعلّها تکاد تکون متواترة ولا تحتاج إلی مراجعة أسانیدها (۲).

۱- من لا یحضره الفقیه، ج ۱، صص ۳۲۹ و ۳۳۰.

۲- کفایة الأثر فی النصّ علی الأئمّة الاثنی عشر، الخزاز القمّی، ص ۱۴۹.

ص: ۲۸۷

وعلى ضوء مـا تقـدّم تمّ بطلان ما ادّعاه القفارى من عـدم وجود النصّ الصـحيح على عـدد الأئمّـة، فهو مجرّد ادّعاء لا دليل عليه، وأنّ القول بسرّية أمر الإمامة ليس صحيحاً؛ لأنّ ادّعاء ذلك يخالف النصوص الصحيحة التى نادى بها رسول الله (ص) فى أكثر من مناسبة، والتى أشار فيها إلى إمامتهم وخلافتهم على رؤوس الأشهاد، وقد بيّنا ذلك فى بحوث سابقة.

ص: ۲۸۸

خلاصة البحث

وقد اتّضح من جميع ما تقدّم بما لا يقبل الشكّ أنّ مسألة المهدويّة والغيبة لا يمكن التشكيك فى مفرداتها، فهى حقيقة ناصعة متواترة، قد تناولتنا كتب الفريقين وبأسانيد صحيحة، ونطق بها رسول الله (ص) قبل أن يتحقّق هذا الوجود المبارك، وقد أجمع عقلاء هذه الأُمّة وعلماؤها على أنّ المهدى مِن ولد فاطمة، ومن ذريّة الحسين، ومن ولد الإمام الحسن العسكرى (عليهم السلام).

وبان وهن وسقوط هذه الشبهات، وانهدم بنيان تلك الدعوات العارية عن الصحّة؛ لأنّ أساسها لم يكن رصيناً بدءً بدعواته بأُسطورة القول بالمهدى والتعارض فى أحاديثه وعدم ولادته، مروراً بقوله: إنّ الشيعة تتطلّع إلى قيام كيان سياسى مستقلّ عن دولة الإسلام، والرغبة فى الاستئثار فى الأموال، وما شابه ذلك، وانتهاء باستبعاده العقلى ببقاء الإمام المهدى (عج) كلّ هذه العصور، ومن ثمّ تشكيكه بعدد أئمّة الشيعة والتى من لوازمها سقوط القول بالمهدويّة.

إذن فالاعتقاد بالإمام المهدى (عج) وغيبته اعتقاد راسخ فى ذهن هذه الأُمّة، و هى تتطّلع لذلك اليوم الذى يرفع فيه لواء الحقّ، ويدفع الظلم عن كاهل الضعفاء، ويضع الموازين فى نصابها الصحيح، ويتحقّق العدل على وجه الأرض، وتنشر راية الإسلام خفّاقة على ربوع المعمورة.

ص: ۲۸۹

ص: ۲۹۰

كلمة خاتمة

خطر الجهل والجمود الفكرى على الدين والشريعة

من جميع ما تقـدّم من بحثنا تبيّن بجلاء ووضوح أنّ مسألة المهدويّة والغيبة ليست وليدة مفاهيم طرحتها الشـيعة- كما صوّرها الدكتور القفارى- بل هى حقيقـة نطق بها رسول الله (ص) منـذ بـدأ الرسالة المحمّديّة، وتناولها المسـلمون على مرّ الأعصار جيلًا بعد جيل على أنّها من مسـلّمات الـدين والشـريعة، وذلك لما ورثوه من نصوص دينيّـة متواترة تنطق بهـذا الأمر، إذن فلماذا هذا الإصـرار على طمس وتشويه هذه الحقيقة الناصعة؟! ولماذا اتّخذ هذا الأمر وسيلة لرمى المسلمين بشتّى أنواع التهم؟!

إنّه الجهل والجمود العقلى والفكرى، فقـد ابتليت الأُمّـة الإسـلاميّة بداء وبيل وخطير على الإسـلام برمّته بسـبب هذا الأمر، فهناك أزمة خانقـة فى الوعى تكاد تجهز وتقتل كلّ ما هو عقلى وعقلانى، ويمكن أن نقسّم- أو نصـنّف- عمليّـة اللاوعى واللامعرفـة وعدم الفهم الصحيح للمفاهيم والنصوص الإسلاميّة واتّباع الحقّ إلى ثلاثة محاور.

الأوّل: الجهل بحقائق الأشياء وعدم إدراكها.

ص: ۲۹۱

والثانی: الجحود والإنکار لما هو واضح بالبدیهة.

والثالث: الجمود والانغلاق.

أمّا الصنف الأوّل: «الجهل»، فقد ابتلی به أمیر المؤمنین (ع)، حیث وصف هذا الصنف فی نهجه الشریف، قائلًا:

«فإن نزلت به- أی: الجاهل- إحدی المبهمات هیّأ لها حشواً رثّاً (۱) من رأیه، ثمّ قطع به، فهو من لبس الشبهات فی مثل نسج العنکبوت، لا یدری أصاب أم أخطأ، جاهل خبّاط (۲) جَهالات، عاش رکاب عشوات لم یَعَضَّ علی العلم بضرس قاطع، یُذری الروایات إذراء الریح الهشیم، لا مَلِیءٌ والله بإصدار ما ورد علیه، ولا هو أهل لما فُوِّض إلیه، لا یحسب العلم فی شیء ممّا أنکره، ولا یری أنّ من وراء ما بلغ مذهباً لغیره. وإن أظلم علیه أمرٌ اکتتم به؛ لِمَا یعلم من جهل نفسه- إلی أن یقول (ع)-: إلی الله أشکو من معشر یعیشون جهّالًا ویموتون ضلّالًا ...» (۳).

فالأمیر (ع) یشکو من هذا الصنف؛ لأنّه یقلب الحقائق فهو لا یدری أصاب أم أخطأ، فإن أصاب خاف أن یکون أخطأ والعکس صحیح.

وأمّا الصنف الثانی: «الإنکار والجحود»، فهذا الصنف أکثر إیلاماً من الأوّل، فهو یعلم یقیناً أنّ الحقّ والصواب متمثّل بالرأی الکذائی مثلًا ولکن «جحدوا بها واستیقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا» وهذه مشکلة تعیق مسألة الوعی والمعرفة.

۱- حشواً رثّاً: کلام مخرجه الذمّ. والرث: الخلق، ضدّ الجدید. وقوله: حشواً: یعنی کثیراً لافائدة فیه. شرح نهج‌البلاغه، ابن أبی الحدید، ج ۱، ص ۲۸۴.

۲- الخبّاط: مبالغة فی الخبط، وهو الضرب علی غیر استواء، کخبط البصیر الأرض بیده، والرصل الشجر بعصاه. أُنظر: مفردات للراغب، ص ۲۷۳ «خبط».

۳- نهج البلاغة، محمّد عبده، ج ۱، صص ۳۵ و ۳۶.

ص: ۲۹۲

وأمّا الصنف الثالث: «الجمود والانغلاق»، فهذه هى «الطامّة الكبرى» ولعلّ هذا الصنف أخطر من سابقيه؛ لأنّنا نستطيع أن نميّزهما ونشخّصهما؛ لأنّ الجاهل والمنكر للحقائق أمرهما واضح ومكشوف، وأمّا الجمود الفكرى، فمن يمثّل هذا الفكر يدّعى أنّه هو الإسلام الصحيح، وينقل الأدلّة من الكتاب والسنّة، كما تقدّم فى بحثه «المهدويّة والغيبة» حيث صوّر الدكتور القفارى هذه الفكرة بأنّها أُسطورة وخرافة، وبثّ كثيراً من الشبهات كما تقدّم فى ثنايا البحث، بحيث ألبس وشبّه الأمر على الناس بأدلّة يدّعى أنّها من الكتاب والسنّة. ثمّ أسّس على هذا الأمر تكفيره ورميه لطوائف المسلمين، كما تقدّم فى البحوث التمهيديّة، حيث قال:

«وقد تبيّن أنّهم كفرة ليسوا من الإسلام فى شىء ...»، أو قوله نقلًا عن شيخه ابن تيميّة: «كثيراً من أئمّة الرافضة وعامّتهم زنادقة وملاحدة ليس لهم غرض فى العلم ولافى الدين»، فهو يرى أنّه الممثّل الصحيح للإسلام، والآخرين كفرة وملاحدة وزنادقة.

فى حين أنّ نتاج هذه المفاهيم هو الجمود الفكرى؛ لأنّهم يفسّرون ويأوّلون الحقائق العلميّة بغير علم، بل نجدها تناقض قواعد الإسلام، فتصدر الفتاوى وتصنّف الناس بالشرك والكفر والفسق والمبتدع وهلم جرّا ...، فأورث لنا ذلك القتل للآخرين والاتّهام لأدنى شبهة.

وخير مثال ما نجده اليوم من قتل للأبرياء نتيجة الفتاوى التى تبيح ذلك من دون تمييز؛ لأنّها أُسّست على ذلك النتاج الفكرى.

بل وصل الأمر إلى أنّ كلّ من يخالفهم فى الفكر (حتّى لو كان من أبناء جلدتهم) فهو لا يخلو إلّا أن يكون مشركاً، أو كافراً، أو فاسقاً، وبذلك يباح دمه وعرضه، فالحقد والكره للآخرين هو نتيجة ما قدّمناه من المحاور الثلاثة.

ص: ۲۹۳

لـذا فالشـيعة عنـد هـذا الفكر «كفّار» فنجـد الـدكتور القفارى ومن سار فى ركبه يـدّعون «أُسـطوريّة الإمام المهـدى (عج)» وغيرها من الحقائق، ويبثّون الشبهات والتشكيكات فى عقائد المسلمين، وذلك لما قدّمناه من ذلك اللاوعى واللامعرفة.

وقـد اتّضـح من سـير بحثنـا أنّ الشـيعة تمثّل الفكر المنفتـح وتتعاطى مع النصوص بروح من الإنصاف، بحيث تجـد هـذا الفكر حرّ فى تعاطيه مع نصوص الشريعة بلا جمود وإخضاع على ظواهر النصوص، وإغلاق باب الفهم، وسد الإدراكات والملاكات العقليّة.

ولعلّ الذى جعل الدكتور القفارى رافضاً لفكرة المهدويّة والغيبة هو ما قدّمناه آنفاً.

أخيراً أسـأل الله تعـالى أن يكون هـذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، وذخراً لنا يوم الـدين، إنّه سـميع مجيب، والحمـد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

يحيى الدوخى/ قم المقدّسة

ص: ۲۹۴

المراجع والمصادر

* القرآن الكريم

* نهج البلاغة

۱. الأئمّة الاثنا عشر، شمس الدين محمّد بن طولون، بيروت، دار صادر.

۲. الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علىّ الطبرسى، النجف الأشرف، دار النعمان للطباعة والنشر، ۱۳۸۶ ه.

۳. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علىّ بن محمّد بن حبيب الماوردى، بيروت، دار الكتب العلميّة، ۱۹۸۲ م.

۴. اختيار معرفة الرجال، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسى، قم، مؤسّسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ۱۴۰۴ ه.

۵. الإرشاد، المفيد، ط ۲، بيروت، دار المفيد، ۱۴۱۴ ه.

۶. إرواء الغليل، محمّد ناصر الدين الألبانى، ط ۲، بيروت، المكتب الإسلامى، ۱۴۰۵ ه.

۷. الاستبصار، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسى، ط ۴، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ۱۳۶۳ ه.

۸. الاستنصار، أبو الفتح محمّد بن علىّ بن عثمان الكراجكى، ط ۲، بيروت، دار الأضواء، ۱۴۰۵ ه.

۹.

ص: ۲۹۵

الاستيعاب فی معرفة الأصحاب، یوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ، ط ۱، بیروت، دار الجیل.

۱۰. إسلامنا، مصطفی الرافعی، ط ۲، بیروت، الدار الإسلامیّة، ۱۴۱۲ ه.

۱۱. الإشاعة فی أشراط الساعة، محمّد بن رسول البرزنجی، بیروت، دار الکتب العلمیّة.

۱۲. الإصابة فی تمییز الصحابة، شهاب الدین أبو الفضل أحمد بن علیّ بن حجر العسقلانی، ط ۱، بیروت، دار الکتب العلمیّة، ۱۴۱۵ ه.

۱۳. أصل الشیعة وأُصولها، محمّد حسین کاشف الغطاء، مؤسّسة الإمام علیّ (ع).

۱۴. الأصول الستة عشر، عدة من الرواة، ط ۲، قم، دار الشبستری للمطبوعات، ۱۴۰۵ ه.

۱۵. أُصول الکافی، أبو جعفر محمّد بن یعقوب الکلینی البغدادی، ط ۵، طهران، دار الکتب الإسلامیّة، ۱۳۶۳ ه. ش.

۱۶. أصول مذهب الشیعة الإمامیّة الاثنی عشریّة، ناصر بن عبد الله بن علیّ القفاری، ط ۳، الجیزة، دار الرضا، ۱۴۱۸ ه.

۱۷. أضواء علی السنّة المحمّدیّة، أبو ریة، محمود المصری، ط ۵، البطحاء.

۱۸. إعلام الموقعین عن ربّ العالمین، شمس الدین محمّد بن أبی بکر بن أیّوب بن القیّم الجوزیّة، بیروت، دار الجیل، ۱۹۷۳ م.

۱۹. إعلام الوری بأعلام الهدی، أبو علی فضل بن الحسن الطبرسی، ط ۱، مؤسسة آل‌البیت (علیهم السلام) لإحیاء التراث، ۱۴۱۷ ه.

۲۰. الأعلام، خیر الدین بن محمود بن محمّد الدمشقی الزرکلی، ط ۵، بیروت، دار العلم للملایین، ۱۹۸۰ م.

۲۱. الإعلان بالتوبیخ لمن ذم التاریخ، محمّد بن عبد الرحمن السخاوی، بیروت، دار الکتب العلمیّة.

۲۲. أعیان الشیعة، محسن الأمین، بیروت، دار التعارف.

۲۳. إلزام الناصب فی إثبات الحجّة الغائب، علیّ الیزدی الحائری، مکتبة أهل البیت (علیهم السلام) الإلکترونیّة.

۲۴.

ص: ۲۹۶

الإمام الصادق، محمد أبو زهرة، القاهرة، دار الفكر العربى.

۲۵. الإمامة والتبصرة من الحيرة، أبو الحسن علىّ بن الحسين القمّى (ابن بابويه)، ط ۱، قم، مدرسة الإمام المهدى (عج)، ۱۴۰۴ ه.

۲۶. بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسى، ط ۳، بيروت، دار إحياء التراث العربى، ۱۴۰۳ ه.

۲۷. بحث حول المهدى، محمّد باقر الصدر، ط ۱، مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة، ۱۴۱۷ ه.

۲۸. البحر العميق، أحمد بن الصدّيق الحسنى المغربى، مخطوط.

۲۹. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى، ط ۱، بيروت، دار إحياء التراث العربى، ۱۴۰۸ ه.

۳۰. البرهان فى علامات صاحب الزمان، علاء الدين علىّ بن حسام الدين المتّقى الهندى، ط ۱، دار الصحابة للتراث، ۱۴۱۲ ه.

۳۱. بيان خطأ البخارى، أبو محمّد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى، ديار بكر تركيا، المكتبة الإسلاميّة.

۳۲. البيان فى أخبار صاحب الزمان، محمّد بن يوسف الكنجى الشافعى، ط ۱، دار المحجّة البيضاء، ۱۴۲۱ ه.

۳۳. تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمّد الحضرمى (ابن خلدون)، بيروت، مؤسّسة الأعلمى للمطبوعات.

۳۴. تاريخ الإسلام، شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد الذهبى، ط ۱، بيروت، دار الكتاب العربى، ۱۴۰۷ ه.

۳۵. تاريخ الخميس، القاضى حسين الديار بكرى، بيروت، دار صادر.

۳۶. تأريخ الشيعة، محمّد حسين المظفّر، النجف الأشرف، مطبعة الزهراء.

۳۷. تاريخ الطبرى، محمّد بن جرير الطبرى، بيروت، مؤسّسة الأعلمى.

۳۸. التاريخ الكبير، محمّد بن إسماعيل بن المغيرة البخارى، ديار بكر تركيا، المكتبة الإسلاميّة.

۳۹.

ص: ۲۹۷

تاریخ بغداد، أبو بکر أحمد بن علیّ بن ثابت الخطیب البغدادی، ط ۱، بیروت، دار الکتب العلمیّة، ۱۴۱۷ ه.

۴۰. تاریخ مدینة دمشق، أبو القاسم علیّ بن الحسن بن هبة الله بن عساکر، بیروت، دار الفکر، ۱۴۱۵ ه.

۴۱. تحفة الأحوذی شرح صحیح الترمذی، أبو العلاء، محمّد عبد الرحمن المبارکفوری، ط ۱، بیروت، دار الکتب العلمیّة، ۱۴۰۱ ه.

۴۲. تذکرة الحفاظ، شمس الدین أبو عبد الله محمّد بن أحمد الذهبی، دار إحیاء التراث العربی.

۴۳. تذکرة الخواص، أبو المظفر یوسف بن قزغلی سبط ابن الجوزی، قم، مؤسّسة أهل البیت (علیهم السلام).

۴۴. التذکرة فی أحوال الموتی وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمّد بن أحمد القرطبی الأنصاری، بیروت، دار الفکر، ۱۴۲۱ ه.

۴۵. تراجم إسلامیّة، محمّد عبد الله عنان، ط ۲، مکتبة الخانجی، ۱۳۹۰ ه.

۴۶. تصحیح اعتقادات الإمامیّة، أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العکبری البغدادی، ط ۲، بیروت، دار المفید، ۱۴۱۴ ه.

۴۷. التعلیقات الرضیة علی الروضة الندیّة، محمّد ناصر الدین الألبانی، ط ۱، القاهرة، دار عفان، ۱۹۹۹ م.

۴۸. تغلیق التعلیق، شهاب الدین أبو الفضل أحمد بن علیّ بن حجر العسقلانی، ط ۱، بیروت، المکتب الإسلامی، دار عمار، ۱۴۰۵ ه.

۴۹. تفسیر البغوی، الحسین بن مسعود الشافعی البغوی، بیروت، دار المعرفة.

۵۰. تفسیر البیضاوی، ناصر الدین عبد الله الشیرازی البیضاوی، بیروت، دار الفکر.

۵۱. تفسیر القرآن الحکیم، محمّد رشید رضا، ط ۲، بیروت، دار المعرفة، ۱۳۴۲ ه.

۵۲. تفسیر القرآن العظیم، أبو الفداء إسماعیل بن کثیر الدمشقی، بیروت، دار المعرفة، ۱۴۱۲ ه.

۵۳.

ص: ۲۹۸

التفسیر الکبیر، أبو عبد الله محمّد بن عمر الشافعی الرازی، ط ۳، بیروت، دار إحیاء التراث العربی.

۵۴. التفسیر الکبیر، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن حسین الشافعی الفخر الرازی، ط ۳، بیروت، دار إحیاء التراث العربی.

۵۵. تفسیر النسفی، أبو البرکات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفی، بیروت، دار النفائس، ۲۰۰۵ م.

۵۶. تهذیب الأحکام، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسی، السیّد حسن الموسوی الخرسان، ط ۳، طهران، دار الکتب الإسلامیّة، ۱۳۶۴ ه. ش.

۵۷. تهذیب التهذیب، شهاب الدین أبو الفضل أحمد بن علیّ بن حجر العسقلانی، ط ۱، بیروت، دار الفکر، ۱۹۸۴ م.

۵۸. تهذیب الکمال فی أسماء الرجال، أبو الحجّاج جمال الدین یوسف بن عبد الرحمن المزی، ط ۴، بیروت، ۱۴۱۳ ه.

۵۹. جامع البیان عن تأویل آی القرآن، محمّد بن جریر الطبری، بیروت، دار الفکر، ۱۴۱۵ ه.

۶۰. جامع الرواة، محمّد بن علیّ الغروی الأردبیلی، قم، مکتبة آیة الله العظمی المرعشی النجفی.

۶۱. الجامع الصغیر، أبو الفضل جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر السیوطی، بیروت، دار الفکر، ۱۴۰۱ ه.

۶۲. الجامع لأحکام القرآن، أبو عبد الله محمّد بن أحمد القرطبی الأنصاری، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، ۱۴۰۵ ه.

۶۳. الجواب الصحیح لمن بدّل دین المسیح، أبو العبّاس أحمد بن عبد الحلیم الحرّانی (ابن تیمیة)، ط ۱، الریاض، دار العاصمة، ۱۴۱۴ ه.

۶۴. الحاوی للفتاوی، أبو الفضل جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر السیوطی، بیروت، دار الکتاب العربی، ۱۴۲۵ ه.

۶۵.

ص: ۲۹۹

الحضارة الإسلاميّة، آدم متز، ط ۳، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، ۱۳۷۷ ه.

۶۶. حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدى، أحمد حسين يعقوب، دار الملاك، ۲۰۰۰ م.

۶۷. الحكومة الإسلاميّة، روح الله الموسوى الخمينى، وزارة الإرشاد.

۶۸. خصائص أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على النسائى، طهران، مكتبة نينوى الحديثة.

۶۹. الخصال، محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمّى (الصدوق)، قم، جماعة المدرّسين، ۱۴۰۳ ه.

۷۰. خلاصة الأقوال، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر الأسدى (العلّامة الحلّى)، ط ۱، مؤسّسة نشر الفقاهة، ۱۴۱۷ ه.

۷۱. الخوارج والشيعة، يوليوس فلهوزن، ط ۵، قاهره، دار الجيل، ۱۹۸۸ م.

۷۲. دائرة معارف القرن العشرين، محمّد فريد وجدى، ط ۳، بيروت، دار المعرفة، ۱۹۷۰ م.

۷۳. الدرّ المنثور فى التفسير بالمأثور، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، بيروت، دار المعروفة، ۱۴۰۹ ه.

۷۴. دراسات فى ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلاميّة، حسين على المنتظرى، ط ۱، المركز العالمى للدراسات الإسلاميّة، ۱۴۰۸ ه.

۷۵. الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علىّ بن حجر العسقلانى، ط ۲، حيدرآباد هند، مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، ۱۳۹۲ ه.

۷۶. دلائل الإمامة، محمّد بن جرير الطبرى، ط ۱، قم، مؤسّسة البعثة، ۱۴۱۳ ه.

۷۷. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، المملكة العربية السعوديّة، دار ابن عفّان للنشر والتوزيع.

۷۸. ديوان فى الإمام المهدى، رضا الهندى، ط ۱، بيروت، دار الأضواء، ۱۴۰۹ ه.

۷۹. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهرانى، ط ۳، بيروت، دار الأضواء، ۱۴۰۳ ه.

۸۰.

ص: ۳۰۰

رجال الطوسی، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسی، مؤسّسة النشر الإسلامی ط ۱، قم، التابعة لجماعة المدرّسین، ۱۴۱۵ ه.

۸۱. رجال النجاشی، أبو العبّاس أحمد بن علیّ بن أحمد النجاشی، ط ۵، قم، مؤسّسة النشر الإسلامی، ۱۴۱۶ ه.

۸۲. روح المعانی، أبو الفضل شهاب الدین محمود الآلوسی البغدادی، ط ۱، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، ۱۴۲۰ ه.

۸۳. زاد المسیر فی علم التفسیر، أبو الفرج عبد الرحمن بن علیّ بن محمّد بن الجوزی، بیروت، المکتب الإسلامی، ۱۴۰۴ ه.

۸۴. سرّ السلسلة العلویّة، أبو نصر سهل بن عبد الله بن داود البخاری، انتشارات الشریف الرضی، ۱۴۱۳ ه.

۸۵. سلسلة الأحادیث الصحیحة، الریاض، محمّد ناصر الدین الألبانی، مکتبة المعارف للنشر والتوزیع.

۸۶. سنن ابن ماجة، محمّد بن یزید القزوینی (ابن ماجة)، بیروت، دار الفکر.

۸۷. سنن أبی داود، أبو داود بن الأشعث السجستانی، ط ۱، دار الفکر، ۱۴۱۰ ه.

۸۸. سنن الترمذی، أبو عیسی محمّد بن عیسی بن سورة الترمذی، ط ۲، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، ۱۴۰۳ ه.

۸۹. السنن الکبری، أبو بکر أحمد بن الحسین بن علیّ البیهقی، بیروت، دار الفکر.

۹۰. السنن الواردة فی الفتن، أبو عمرو عثمان بن سعید المقرئ الدانی، ط ۱، الریاض، دار العاصمة، ۱۴۱۶ ه.

۹۱. سیر أعلام النبلاء، شمس الدین أبو عبد الله محمّد بن أحمد الذهبی، ط ۴، بیروت، مؤسسة الرسالة.

۹۲. السیرة النبویّة، أبو الفداء إسماعیل بن کثیر الدمشقی، بیروت، دار المعرفة، ۱۳۹۶ ه.

۹۳.

ص: ۳۰۱

السیف الصقیل، تقی الدین السبکی، مکتبة زهران.

۹۴. الشجرة المبارکة، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن حسین الشافعی الفخر الرازی، ط ۱، قم، مکتبة آیة الله المرعشی النجفی، ۱۴۰۹ ه.

۹۵. شذرات الذهب فی أخبار من ذهب، ابن العماد عبد الحیّ بن أحمد الحنبلی، بیروت، دار الکتب العلمیّة.

۹۶. شرح إحقاق الحقّ، شهاب الدین المرعشی، قم، مکتبة آیة الله المرعشی، ۱۴۰۶ ه.

۹۷. شرح أُصول الکافی، محمّد صالح المازندرانی، ط ۱، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، ۱۴۲۱ ه.

۹۸. شرح السنّة، الحسین بن مسعود الشافعی البغوی، بیروت، المکتب الإسلامی، ۱۴۰۳ ه.

۹۹. شرح المقاصد فی علم الکلام، سعد الدین مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانی، ط ۱، باکستان، دار المعارف النعمانیّة، ۱۴۰۱ ه.

۱۰۰. شرح صحیح مسلم، أبو زکریا محیی الدین بن شرف النووی، بیروت، دار الکتاب العربی، ۱۴۰۷ ه.

۱۰۱. شرح مشکل الآثار، أحمد بن محمّد بن سلامة الطحاوی، ط ۲، بیروت، مؤسسة الرسالة، ۱۴۰۸ ه.

۱۰۲. شرح نهج البلاغة، أبو حامد بن هبة الله بن محمّد بن أبی الحدید المعتزلی، ط ۱، دار إحیاء الکتب العربیّة، ۱۳۷۸ ه.

۱۰۳. صحیح ابن حبّان، محمّد بن حبّان التمیمی البستی، ط ۲، بیروت، مؤسّسة الرسالة، ۱۴۱۴ ه.

۱۰۴. صحیح البخاری، محمّد بن إسماعیل بن المغیرة البخاری، بیروت، دار الفکر، ۱۴۰۱ ه.

۱۰۵. صحیح مسلم (الجامع الصحیح)، أبو الحسین مسلم بن الحجّاج النیسابوری، بیروت، دار الفکر.

۱۰۶. صحیح وضعیف الجامع الصغیر وزیاداته، محمّد ناصر الدین الألبانی، المکتب الإسلامی.

۱۰۷.

ص: ۳۰۲

صلة تاريخ الطبرى، عريب بن سعد القرطبى، بيروت، مؤسّسة الأعلمى.

۱۰۸. الصواعق المحرقة، أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن علىّ بن حجر الهيتمى المكّى، ط ۱، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ۱۴۱۷ ه.

۱۰۹. ضحى الإسلام، أحمد أمين، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ۱۳۷۱ ه.

۱۱۰. عارضة الأحوذى فى شرح صحيح الترمذى، ابن العربى أبو بكر محمّد بن عبد الله بن محمّد، بيروت، دار الفكر، ۱۴۲۵ ه.

۱۱۱. عبد الله بن سبأ، إبراهيم بيضون، ط ۱، بيروت، دار المؤرّخ العربى، ۱۴۱۷ ه.

۱۱۲. عبد الله بن سبأ، مرتضى العسكرى، توحيد، ۱۴۱۳ ه.

۱۱۳. العبر فى خبر من غبر، شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد الذهبى، بيروت، دار الكتب العلمية.

۱۱۴. العدد القوية، علىّ بن يوسف المطهّر الحلّى، ط ۱، قم، مكتبة آية الله المرعشى العامّة، ۱۴۰۸ ه.

۱۱۵. عقد الدرر فى أخبار المنتظر، يوسف بن يحيى بن علىّ المقدسى الشافعى، موقع الوراق

moc .qarrawla .www.

۱۱۶. العقيدة والشريعة فى الإسلام، جولد تسيهر، طبعة القاهرة، ۱۹۴۶ م.

۱۱۷. علل الشرائع، محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمّى (الصدوق)، النجف الأشرف، منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها، ۱۳۸۵ ه.

۱۱۸. عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب، جمال الدين أحمد بن علىّ الحسنى بن عنبة، ط ۲، النجف الأشرف، المطبعة الحيدريّة، ۱۳۸۰ ه.

۱۱۹. عمدة القارى شرح صحيح البخارى، بدر الدين أبو محمّد محمّد بن أحمد الحنفى العينى، دار إحياء التراث العربى.

۱۲۰. عون المعبود شرح سنن أبى داود، أبو الطيّب محمّد شمس الحقّ العظيم آبادى، ط ۲، بيروت، دار الكتب العلميّة، ۱۴۱۵ ه.

۱۲۱.

ص: ۳۰۳

عیون أخبار الرضا، محمّد بن علی بن الحسین بن بابویه القمّی (الصدوق)، بیروت، مؤسّسهٔ الأعلمی للمطبوعات، ۱۴۰۴ ه.

۱۲۲. الغدیر، عبد الحسین أحمد الأمینی، ط ۴، بیروت، دار الکتاب العربی، ۱۹۷۷ م.

۱۲۳. الغیبهٔ، محمّد بن إبراهیم النعمانی، أنوار الهدی، ۱۴۲۲ ه.

۱۲۴. فتح الباری، شهاب الدین أبو الفضل أحمد بن علیّ بن حجر العسقلانی، ط ۲، بیروت، دار المعرفهٔ.

۱۲۵. فتح الملک العلیّ بصحّهٔ حدیث باب مدینهٔ العلم علیّ، أحمد بن الصدّیق الحسنی المغربی، ط ۳، إصفهان، مکتبهٔ الإمام أمیر المؤمنین علیّ (ع) العامّهٔ، ۱۴۰۳ ه.

۱۲۶. الفتنهٔ الکبری، طه حسین، القاهرهٔ، دار المعارف.

۱۲۷. فرائد السمطین، إبراهیم بن محمّد بن المؤیّد بن عبد الله الجوینی الشافعی، بیروت، مؤسّسهٔ المحمودی.

۱۲۸. فرق الشیعهٔ، أبو محمّد، الحسن بن موسی النوبختی، النجف، المکتبهٔ الرضویّهٔ ۱۳۵۵ ه.

۱۲۹. الفصل فی الملل والأهواء والنحل، أبو محمّد أحمد بن سعید بن حزم الظاهری، قاهره، مکتبهٔ الخانجی.

۱۳۰. الفصول العشرهٔ فی الغیبهٔ، أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العکبری البغدادی، ط ۲، بیروت، دار المفید، ۱۴۱۴ ه.

۱۳۱. الفصول المهمّهٔ فی معرفهٔ الأئمّهٔ، علیّ بن محمّد بن أحمد بن الصبّاغ المالکی، ط ۱، دار الحدیث، ۱۴۲۲ ه.

۱۳۲. الفهرست، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسی، ط ۱، مؤسّسهٔ نشر الفقاههٔ، ۱۴۱۷ ه.

۱۳۳. الفوائد البهیّهٔ فی تراجم الحنفیّهٔ، محمّد بن الحسین اللکنوی، بیروت، دار المعرفهٔ.

۱۳۴. فیض القدیر شرح الجامع الصغیر، محمّد عبد الرؤوف المنّاوی، ط ۱، بیروت، دار الکتب العلمیّهٔ، ۱۴۱۵ ه.

۱۳۵.

ص: ۳۰۴

قاموس الرجال، محمّد تقی التستری، ط ۱، قم، مؤسّسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرّسین، ۱۴۱۹ ه.

۱۳۶. قرب الإسناد، أبو العبّاس عبد الله بن جعفر الحمیری القمّی، ط ۱، مؤسّسة آل البیت (علیهم السلام) لإحیاء التراث، ۱۴۱۳ ه.

۱۳۷. قواعد فی علوم الحدیث، ظفر أحمد العثمانی التهانوی الحنفی، القاهرة، مکتبة المطبوعات الإسلامیّة.

۱۳۸. الکامل فی التاریخ، عزّ الدین أبو الحسن علیّ بن محمّد بن الأثیر الجزری، بیروت، دار صادر، طبعة عام ۱۳۸۶ ه.

۱۳۹. الکامل فی ضعفاء الرجال، عبد الله بن محمّد بن عدی، بیروت، دار صادر.

۱۴۰. کتاب السنّة، أبو بکر عمرو بن أبی عاصم الضحاک الشیبانی، ط ۳، بیروت، المکتب الإسلامی، ۱۴۱۳ ه.

۱۴۱. کتاب الغیبة، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسی، ط ۱، قم، مؤسّسة المعارف الإسلامیة، ۱۴۱۱ ه.

۱۴۲. کتاب الفتن، نعیم بن حمّاد المروزی، بیروت، دار الفکر، ۱۴۱۴ ه.

۱۴۳. الکشف الحثیث عمّن رمی بوضع الحدیث، إبراهیم بن محمّد بن خلیل الحلبی الشافعی سبط ابن العجمی، ط ۱، عالم الکتب- مکتبة النهضة العربیة، ۱۴۰۷ ه.

۱۴۴. کشف الخفاء ومزیل الإلباس، إسماعیل بن محمّد العجلونی الجرّاحی، ط ۲، بیروت، دار الکتب العلمیّة، ۱۴۰۸ ه.

۱۴۵. کشف الغمّة فی معرفة الأئمّة، أبو الحسن علیّ بن عیسی الأربلی، بیروت، دار الأضواء.

۱۴۶. کفایة الأثر فی النصّ علی الأئمّة الاثنی عشر، أبو القاسم علیّ بن محمّد الخزّاز القمّی، انتشارات بیدار، ۱۴۰۱ ه.

۱۴۷. کفایة الطالب فی مناقب أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب، محمّد بن یوسف الکنجی الشافعی، مطبعة الغری.

۱۴۸.

ص: ۳۰۵

الکفایة فی علم الروایة، أبو بکر أحمد بن علیّ بن ثابت الخطیب البغدادی، ط ۱، بیروت، دار الکتاب العربی، ۱۴۰۵ ه.

۱۴۹. کمال الدین وتمام النعمة، محمّد بن علی بن الحسین بن بابویه القمّی (الصدوق)، قم، مؤسّسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرّسین، ۱۴۰۵ ه.

۱۵۰. کنز العمّال فی سنن الأقوال والأفعال، علاء الدین علیّ بن حسام الدین المتّقی الهندی، بیروت، مؤسّسة الرسالة، ۱۴۰۹ ه.

۱۵۱. الکنی والألقاب، شیخ عباس القمّی، طهران، مکتبة الصدر.

۱۵۲. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدین بن مکرم (ابن منظور)، أدب حوزة، ۱۴۰۵ ه.

۱۵۳. لسان المیزان، شهاب الدین أبو الفضل أحمد بن علیّ بن حجر العسقلانی، ط ۲، بیروت، مؤسّسة الأعلمی، ۱۳۹۰ ه.

۱۵۴. لمحات، لطف الله الصافی، قسم الدراسات الإسلامیّة، مؤسّسة البعثة.

۱۵۵. المجدی فی أنساب الطالبین، علیّ بن محمّد العلوی العمری، قم، مکتبة آیة الله العظمی المرعشی النجفی العامّة.

۱۵۶. مجمع البیان فی تفسیر القرآن، أبو علی فضل بن الحسن الطبرسی، ط ۱، بیروت، مؤسّسة الأعلمی للمطبوعات، ۱۴۱۵ ه.

۱۵۷. مجمع الرجال، زکی الدین عنایة الله بن مشرف الدین القهبائی، قم، مؤسّسة إسماعیلیان.

۱۵۸. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدین علیّ بن أبی بکر الهیثمی، بیروت، دار الکتب العلمیّة، ۱۴۰۸ ه.

۱۵۹. مجموع الفتاوی، أبو العبّاس أحمد بن عبد الحلیم الحرّانی (ابن تیمیة)، ط ۲، مکتبة ابن تیمیّة.

۱۶۰. المحلّی، أبو محمّد أحمد بن سعید بن حزم الظاهری، بیروت، دار الفکر.

۱۶۱. مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سلیم الحلّی، النجف الأشرف، المطبعة الحیدریّة، ۱۳۷۰ ه.

۱۶۲.

ص: ۳۰۶

المختصر فی أخبار البشر (تأریخ أبی الفداء)، أبو الفداء إسماعیل بن علیّ بن محمود، القاهرة، مکتبة المتنبی.

۱۶۳. المراجعات، عبد الحسین شرف الدین الموسوی، ط ۲، ۱۴۰۲ ه.

۱۶۴. مرقاة المفاتیح، علیّ بن سلطان محمّد القاری، بیروت، دار الفکر.

۱۶۵. مستدرک الوسائل ومستنبط الوسائل، حسین بن محمّد تقی النوری الطبرسی، ط ۱، بیروت، مؤسّسة آل البیت (علیهم السلام) لإحیاء التراث، ۱۴۰۸ ه.

۱۶۶. المستدرک علی الصحیحین، محمّد بن عبد الله الحاکم النیسابوری، بیروت، دار المعرفة.

۱۶۷. مسند أبی یعلی، أبو یعلی الموصلی، ط ۱، دار المأمون للتراث، ۱۴۱۲ ه.

۱۶۸. مسند أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشیبانی، القاهرة، دار الحدیث.

۱۶۹. مصابیح السنّة، الحسین بن مسعود الشافعی البغوی، دار القلم.

۱۷۰. المصنّف فی الأحادیث والآثار، عبد الله بن محمّد بن أبی شیبة، ط ۱، بیروت، دار الفکر، ۱۴۰۹ ه.

۱۷۱. مطالب السؤول فی مناقب آل الرسول، کمال الدین محمّد بن طلحة الشافعی، قم، مؤسّسة أمّ القری، ۱۴۲۰ ه.

۱۷۲. مع الدکتور العودة فی عبد الله بن سبأ ودوره فی الفتنة الکبری، حسن بن فرحان المالکی، مرکز الدراسات التاریخیّة.

۱۷۳. المعجم الأوسط، أبو القاسم سلیمان بن أحمد الطبرانی، القاهره، دار الحرمین، ۱۴۱۵ ه.

۱۷۴. المعجم الصغیر، أبو القاسم سلیمان بن أحمد الطبرانی، بیروت، دار الکتب العلمیّة.

۱۷۵. المعجم الکبیر، أبو القاسم سلیمان بن أحمد الطبرانی، ط ۲، دار إحیاء التراث العربی، ۱۴۰۴ ه.

۱۷۶. معجم رجال الحدیث، أبو القاسم بن علیّ أکبر الموسوی الخوئی، ط ۵، ۱۴۱۳ ه.

۱۷۷. معجم شیوخ الذهبی، شمس الدین أبو عبد الله محمّد بن أحمد الذهبی، ط ۱، بیروت، دار الکتب العلمیّة، ۱۴۱۳ ه.

۱۷۸.

ص: ۳۰۷

معراج الأُصول فی معرفة آل الرسول، الزرندی الشافعی، مکتبة أهل البیت الإلکترونیّة.

۱۷۹. المغنی، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسی بن قدامة، بیروت، دار الکتاب العربی.

۱۸۰. المقالات والفرق، أبو القاسم سعد بن عبد الله الأشعری القمّی، ط ۱، قم، مرکز انتشارات علمی وفرهنکی، ۱۳۴۱ ه. ش.

۱۸۱. مقاییس اللغة، أبو الحسین أحمد بن فارس، مکتبة الإعلام الإسلامی، ۱۴۰۴ ه.

۱۸۲. مقدّمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح، بیروت، دار الکتب العلمیّة.

۱۸۳. مقدّمة فی أُصول الحدیث، عبد الحقّ الدهلوی، ط ۲، بیروت، دار البشائر الإسلامیّة، ۱۴۰۶ ه.

۱۸۴. الملل والنحل، أبو الفتح محمّد بن عبد الکریم الشهرستانی، بیروت، دار المعرفة، ۱۴۰۴ ه.

۱۸۵. من لا یحضره الفقیه، محمّد بن علی بن الحسین بن بابویه القمّی (الصدوق)، قم، مؤسسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرّسین.

۱۸۶. المنار المنیف، شمس الدین محمّد بن أبی بکر بن أیّوب بن القیّم الجوزیّة، ط ۲، حلب، مکتبة المطبوعات الإسلامیّة، ۱۴۰۳ ه.

۱۸۷. مناقب آل أبی طالب، مشیر الدین أبو عبد الله محمّد بن علیّ بن شهر آشوب، النجف الأشرف، مطبعة الحیدریّة، ۱۳۷۶ ه.

۱۸۸. المناقب، الموفّق بن أحمد الحنفی الخوارزمی، ط ۲، قم، مؤسّسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرّسین، ۱۴۱۴ ه.

۱۸۹. منهاج السنّة النبویّة، أبو العبّاس أحمد بن عبد الحلیم الحرّانی (ابن تیمیة)، ط ۱، مؤسّسة قرطبة، ۱۴۰۶ ه.

۱۹۰. المهدی المنتظر فی ضوء الأحادیث والآثار الصحیحة، عبد العلیم البستوی، ط ۱، المکتبة المکیة، ۱۴۲۰ ه.

۱۹۱. المهدیّة فی الإسلام، سعد محمّد حسن، مصر، دار الکتاب العربی، ۱۳۷۳ ه.

۱۹۲. المواقف، عبد الرحمن بن أحمد الشافعی الإیجی، ط ۱، بیروت، دار الجبل، ۱۹۹۷ م.

۱۹۳.

ص: ۳۰۸

الموضوعات، أبو الفرج عبد الرحمن بن علیّ بن محمّد بن الجوزی، ط ۱، المدینة المنوّره، المکتبة السلفیّة ۱۳۸۶ ه.

۱۹۴. المیزان فی تفسیر القرآن، محمّد حسین الطباطبائی، قم، منشورات جماعة المدرّسین فی الحوزة العلمیة.

۱۹۵. نشأة التشیّع والشیعة، محمّد باقر الصدر، ط ۱، مرکز الغدیر للدراسات الإسلامیّة، ۱۴۱۷ ه.

۱۹۶. النصائح الکافیة، محمّد بن عقیل بن عبد الله العلوی، قم، دار الثقافة للطباعة.

۱۹۷. نظرات فی الکتب الخالدة، حامد حفنی داود، القاهرة، دار العلم للطباعة.

۱۹۸. نظریّة الإمامة لدی الشیعة الاثنی عشریّة، أحمد محمود صبحی، بیروت، دار النهضة العربیّة.

۱۹۹. نظم المتناثر من الحدیث المتواتر، محمّد جعفر الکتّانی، ط ۲، مصر، دار الکتب السلفیّة.

۲۰۰. نقد الرجال، مصطفی بن الحسین الحسنی التفرشی، قم، مؤسّسة آل البیت (علیهم السلام) لإحیاء التراث.

۲۰۱. نهج البلاغة، محمّد عبدة، ط ۱، قم، دار الذخائر، ۱۴۱۲ ه.

۲۰۲. هدی الساری مقدّمة فتح الباری، شهاب الدین أبو الفضل أحمد بن علیّ بن حجر العسقلانی، ط ۱، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، ۱۴۰۸ ه.

۲۰۳. الوافی بالوفیات، صلاح الدین خلیل الصفدی، بیروت، دار إحیاء التراث، ۱۴۲۰ ه.

۲۰۴. وسائل الشیعة إلی تحصیل مسائل الشریعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملی، ط ۲، قم، مؤسّسة آل البیت (علیهم السلام) لإحیاء التراث، ۱۴۱۴ ه.

۲۰۵. وفیات الأعیان، أبو العبّاس شمس الدین أحمد بن محمّد بن أبی بکر بن خلّکان، بیروت، دار الثقافة.

۲۰۶. ینابیع المودّة لذوی القربی، سلیمان بن إبراهیم القندوزی الحنفی، دار الأسوة، ۱۴۱۶ ه.

۲۰۷.

ص: ۳۰۹

الیواقیت والجواهر فی بیان عقائد الأکابر، عبد الوهّاب بن أحمد الشعرانی، مصر، مطبعة البابی الحلبی، ۱۳۷۸ ه.

۲۰۸. مجلّة التمدّن الإسلامی، دمشق شهر ذی القعدة، ۱۳۷۱ ه.

۲۰۹. مجلّة الجامعة الإسلامیّة، السنّة الأُولی، العدد ۳.

۲۱۰. مجلّة المقتطف المصریّة، المجلد ۹۵، ۱۳۳۹ ه.

۲۱۱. مجلّة تراثنا، العدد الثالث، ۱۴۱۳ ه.

۲۱۲. مجلّة الجامعة الإسلامیّة بالمدینة المنورة، العدد الثالث، ۱۳۸۸ ه.

۲۱۳. موقع: الأصلین ten. nielsa. www

۲۱۴. موقع النفیس ten. saefanle. www

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹